كتاب

الضياء الشارق

في رد شبهات الماذق المارق

تأليف

العالم السلفي، والأستاذ الفاضل

الشيخ سليمان بن سحمان

من علماء نجد الأعلام

رحمه الله تعالى

آمين

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه الثقة والعصمة

الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، ولا عدوان إلا على الظالمين ، وأشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له ، إله الاولين والآخرين ، وقيوم السموات والأرضين ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله سيد المرسلين ، وامام المتقين ، وقائد الغر المحجلين ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم باحسان الى يوم الدين .

﴿ أما بعد ﴾ فانى قد وقفت على رسالة مطبوعة مؤلفها رجل من العراق يقال له جميل افندى صدقى الزهاوى ، جمع فيها من الأكاذيب والترهات ، والاضاليل المنكرات مع ما اشتمل عليه كلامه من الفجور ، وقول الزور ، والتجانف للاثم والعدوان ، وصريح الافك والبتهان ، مايمج سماعه أولو العقول السليمة ، والألباب الزاكية المستقيمة ، وسلك فيها مسلك أهل الغى والضلال ، واعتمد فيما يحكيه على ما هو من أمحل المحال ، وأوخم الانتحال ، واتبع فيها اهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل ، حيث لم يتمسكوا من الكتاب والسنة بأوضح برهان وأقوم دليل ، ولم يردوا من حوضهما السلسبيل ، بل عدلوا الى آسن قلوط أهل الفلسفة والتجهيل والتبديل ، وحادوا فيها عن منهج أهل الحق والصدق والعدل والانصاف ، وساروا على طريقة أهل الغى والكذب والانحراف ، وقد قال تعالى (ومن يشاقق الرسول من بعد ماتبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا) فان الله تعالى قد بين الحق بيانا كافياً شافياً ، وأرسل

رسوله محمداً الى الخلق بالحق مبشرا ونذيرا وداعيا ، ونصب الأدلة وأوضح المحجة ، فلم يبق للناس على الله بعد الرسل من حجة ، فمن أجاب داعى الله فقد نجا ، ومن تولى عن الحق معرضاً أفضى به عوجا ، فلما نكب هذا الرجل عن طريقة أهل الحق والتحقيق ، ولجأ فيما ينتحله ويحكيه إلى ركن غير وثيق ، استعنت الله على رد أباطيله ، وتهجين أضاليله وأساطيله ، على سبيل الاختصار والاقتصار وتركت من كلامه مالا طائل فى الجواب عنه ، والله المسئول المرجو الإجابة ، أن يمدنا بالإصابة ، وأن يجزل لنا الأجر والإثابة ، وأن يجعله لوجهه خالصاً ، وأن ينفع به من قرأه ونظر فيه ، وأن يقمع به صاحب الباطل ومبتغيه .

فصل

قال العراقى :

الوهابية ومنشؤها

الوهابية فرقة منسوبة إلى محمد بن عبد الوهاب ، وإبتداء ظهور محمد بن عبد الوهاب كان سنة ١١٤٣ وإنما اشتهر أمره بعد الخمسين ، فأظهر عقيدته الزائغة فى نجد ، وساعده على إظهارها محمد بن سعود أمير الدرعية بلاد مسيلمة الكذاب فجبر أهلها على متابعة ابن عبد الوهاب هذا فتابعوه ، وما زال ينخدع له فى هذا الأمر حى بعد حى من أحياء العرب حتى عمت فتنته ، وكبرت شهرته ، واستفحل أمره فخافه البادية ، وكان يقول للناس : ما أدعوكم إلا الى التوحيد ، وترك الشرك بالله تعالى فى عبادته ، وكانوا يمشون خلفه حيثما مشى حتى اتسع له الملك .

فالجواب ، ومن الله أستمد الصواب ، أن نقول :

أما منشأ دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله وظهورها فى نجد ، فمن المعلوم عند الخاص والعام أنه قد نشأ فى أناس قد اندرست فيهم معالم الدين ، ووقع فيهم من الشرك والبدع ماعم وطم فى كثير من البلاد ، الا بقايا متمسكين بالدين يعلمهم الله تعالى ، وأما الأكثرون فعاد المعروف بينهم منكراً ، والمنكر

معروفا ، والسنة بدعة ، والبدعة سنة ، نشأ على هذا الصغير ، وهرم عليه الكبير ، فقتح الله بصيرة شيخ الاسلام بتوحيد الله الذى بعث الله به رسله وأنبيائه ، فعرف الناس مافى كتاب ربهم من أدلة توحيده الذى خلقهم له ، وما حرم الله عليهم من الشرك الذى لا يغفره الله الا بالتوبة منه ، فقال لهم كما قاله المرسلون لأممهم (أن اعبدوا الله مالكم من اله غيره) فحجب كثيراً منهم عن قبول هذه الدعوة ما اعتادوه ، ونشأوا عليه من الشرك والبدع فنصبوا العداوة لمن دعاهم الى توحيد ربهم وطاعته ، ولمن استجاب له وقبل دعوته ، وأصغى الى حجج الله وبيناته ، كحال من خلا من أعداء الرسل كما قال تعالى (وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً من المجرمين وكفى بربك هاديا ونصيراً) وقال تعالى (وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا) .

• فاذا تمهد هذا فلنذكر ههنا شيئاً يسيرا من حال نشأة الشيخ محمد بن عبدالوهاب التميمي رحمه الله وظهوره ودعوته الى الله ، ليعلم الطالب ، ويتحقق الراغب ، حقيقة ما دعا اليه هذا الإمام ، وما كان عليه من الاعتقاد والفهم التام ، ويتبين للناظر فيها ما بهت به الأعداء من الأكاذيب والافتراء ، التى يرومون بها تنفير الناس عن المحجة والسبيل ، وكتمان البرهان والدليل ، وقد كثر أعداؤه ومنازعوه ، وفشا البهت منهم فيما قالوه ونقلوه ، فربما اشتبه على طالب الانصاف والتحقيق ، والتبس عليه واضح المنهج والطريق ، بما موهوا به من تلك الأكاذيب الشنيعة ، والألقاب الداحضة الوضيعة ، وأن من استصحب الأصول الشرعية وجرى على القوانين المرضية ، عرف أن لكل نعمة حاسدا ، ولكل حق جاحدا ، ولا يقبل فى نقل الاقوال والاحكام ، الا العدول الثقات الضابطون من الانام ، ومن استصحب هذا استراح عن البحث فيما ينقل اليه ويسمع ، ولم يلتفت الى أكثر ما يختلف ويصنع ، وكان من أمره على منهاج واضح ومشرع .

فصل

كان مولده رحمه الله سنة ١١١٥ خمسة عشرة بعد المائة والالف من الهجرة النبوية فى بلد العينة من أرض نجد ونشأ بها وقرأ القرآن بها حتى حفظه وأتقنه قبل بلوغه العشر وكان حاد الفهم سريع الإدراك والحفظ يتعجب أهله من فطنته وذكائه ، وبعد حفظ القرآن اشتغل وجد فى الطلب ، وأدرك بعض الارب ، قبل رحلته لطلب العلم وكان سريع الكتابة ربما كتب الكراسة فى مجلس . قال أخوه سليمان: كان والده يتعجب من فهمه ويعترف بالاستفادة منه مع صغر سنه ووالده هومفتى تلك البلادوجده مفتى البلاد النجدية وآثاره وتصانيفه وفتاويه تدل على علمه وفقهه وكان جده اليه المرجع فى الفقه والفتوى وكان معاصر الشيخ منصور البهوتى الحنبلى خادم المذهب اجتمع به بمكة وبعد بلوغ الشيخ سن الاحتلام قدمه والده فى الصلاة ورآه أهلا للأيتمام ثم طلب الحج الى بيت الله الحرام ، فأجابه والده الى ذلك المقصد والمراد ، وبادر الى قضاء حجة الاسلام ، وأداء المناسك على التمام ، ثم قصد المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ، وأقام بها قريباً من شهرين ، ثم رجع الى وطنه قرية العين ، واشتغل بالقراءة فى الفقة على مذهب الإمام أحمد رحمه الله ثم بعد ذلك رحل يطلب العلم وذاق حلاوة التحصيل والفهم وزاحم العلماء والكبار ورحل الى البصرة والحجاز مرارا واجتمع بمن فيها من العلماء والمشايخ الاخيار وأتى الى الاحساء وهى اذ ذاك آهلة بالمشايخ والعلماء . فسمع وناظر وبحث واستفاد وساعدته الاقدار الربانية بالتوفيق والامداد وروى عن جماعة منهم الشيخ عبد الله بن ابراهيم النجدى ، ثم المدنى وأجازه من طريقين وأول ماسمع منه الحديث المسلسل بالاولية وكتب السماع بالسند المتصل الى عبد الله بن عمرو ابن العاص رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « الراحمون يرحمهم الرحمن أرحموا من فى الارض يرحمكم من فى السماء » وسمع منه مسلسل الحنابلة بسنده الى أنس بن مالك رضى عنه قال : قال رسول الله ﷺ « اذا أراد الله بعبده

خيراً استعمله ، قالوا كيف يستعمله ؟ قال « يوفقه لعمل صالح قبل موته » وهذا الحديث من ثلاثيات أحمد رحمه الله وطالت اقامة الشيخ ورحلته بالبصرة وقرأ بها كثيرا من الحديث والفقة والعربية وكتب من الفقه والحديث واللغة ماشاء الله فى تلك الأوقات .

وكان يدعو الى التوحيد ويظهره لكثير ممن يخالطه ويجالسه ويستدل عليه ويظهر ما عنده من العلم وما لديه وكان يقول ان الدعوة كلها لله لا يجوز صرف شيء منها الى سواه وربما ذكروا بمجلسه اشارة الطواغيت أو شيئاً من كرامات الصالحين الذين كانوا يدعونهم ويستغيثون بهم ويلجئون اليهم فى المهمات فكان ينهى عن ذلك ويزجر ويورد الادلة من الكتاب والسنة ويحذر ويخبر أن محبة الأولياء والصالحين انما هى متابعتهم فيما كانوا عليه من الهدى والدين وتكثير أجورهم بمتابعتهم على ماجاء به سيد المرسلين وأما دعوى المحبة والمودة مع المخالفة فى السنة والطريقة فهى دعوى مردودة غير مسلمة عند أهل النظر والحقيقة .

ولم يزل على ذلك رحمه الله ثم رجع الى وطنه فوجد والده قد انتقل الى بلدة حريملا فاستقر فيها يدعو الى السنة المحمدية ويبديها ويناصح من خرج عنها ويفشيها حتى رفع الله شأنه ورفع ذكره ووضع له القبول وشهد له بالفضل ذووه من المعقول والمنقول وصنف كتابه المشهور فى التوحيد وأعلن بالدعوة الى الله العزيز الحميد وقرىء عليه هذا الكتاب المفيد وسمعه كثير ممن لديه من طالب ومستفيد وشاعت نسخه فى البلاد وطار ذكره فى الغور والانجاد وفاز بصحبته واستفاد من جرد القصد وسلم من الاسر والبغي والفساد وكثر بحمد الله محبوه وجنده وصارمعه عصابة من فحول الرجال وأهل السمت الحسن والكمال يسلكون معه الطريق ويجاهدون كل فاسق وزنديق .

فصل

كان أهل عصره ومصره فى تلك الأزمان قد اشتدت غربة الإسلام بينهم، وعفت آثار الدين لديهم، وانهدمت قواعد الملة الحنيفية، وغلب على الأكثرين ما كان عليه أهل الجاهلية، وانطمست أعلام الشريعة فى ذلك الزمان، وغلب الجهل والتقليد والاعراض عن السنة والقرآن، وشب الصغير وهو لا يعرف من الدين إلا ما كان عليه أهل تلك البلدان، وهرم الكبير على ما تلقاه عن الآباء والأجداد، وأعلام الشريعة مطموسة، ونصوص التنزيل وأصول السنة فيما بينهم مدروسة، وطريقة الآباء والأسلاف مرفوعة الأعلام، وأحاديث الكهان والطواغيت مقبولة غير مردودة ولا مدفوعة، قد خلعوا ربقة التوحيد والدين، وجدوا واجتهدوا فى الاستغاثة والتعلق على غير الله من الأولياء والصالحين، والأوثان والأصنام والشياطين، وعلماؤهم ورؤساؤهم على ذلك مقبلون، ومن البحر الأجاج شاربون، وبه راضون، وإليه مدى الزمان داعون، قد أعشتهم العوائد والمألوفات، وحبستهم الشهوات والإرادات عن الارتفاع إلى طلب الهدى من النصوص المحكمات، والآيات البينات، يحتجون بما رووه من الآثار الموضوعات، والحكايات المختلقة والمنامات، كما يفعله أهل الجاهلية وغبر الفترات. وكثير منهم يعتقد النفع فى الأحجار والجمادات، ويتبركون بالآثار والقبور فى جميع الأوقات (نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون) (الحمد لله الذى خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون ٭ قل إنما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغى بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون).

فأما بلاد نجد. فانه قد بالغ الشيطان فى كيدهم وجد، وكانوا ينتابون قبر زيد ابن الخطاب ويدعونه رغباً ورهباً بفصيح الخطاب، ويزعمون أنه يقضى لهم الحوائج ويرونه من أكبر الوسائل والولائج، وكذلك عند قبر يزعمون أنه قبر ضرار

ابن الأزور وذلك كذب ظاهر ، وبهتان مزور ، وكذلك عندهم نخل فحال ينتابه النساء والرجال ، ويفعلون عنده أقبح الفعال . والمرأة إذا تأخر عنها الزواج ، ولم ترغب فيها الأزواج ، تذهب إليه وتضمه بيديها وتدعوه برجاء وابتهال وتقول : يافحل الفحول ، أريد زوجا قبل الحول . وشجرة عندهم تسمى الطرينية أغرام الشيطان بها ، وأوحى إليهم التعلق عليها ، وأنها ترجى منها البركة ، ويعلقون عليها الخرق لعل الولد يسلم من السوء . وفى أسفل بلدة الدرعية مغارة فى الجبل يزعمون أنها انفلقت من الجبل لامرأة تسمى بنت الأمير أراد بعض الناس أن يظلمها ويضير ، فانفلجت الغار ولم يكن له عليها اقتدار ، وكانوا يرساون إلى هذا المكان من اللحم والخبز ما يقتات به جند الشيطان . وفى بلدتهم رجل يدعى الولاية يسمى تاج يتبركون به ، ويرجون منه العون والافراج ، وكانوا يأتون اليه ويرغبون فيما عنده من المدد بزعمهم ولديه ، فتخافه الحكام والظلمة ، ويزعمون أن له تصرفا وفتكا لمن عصاه وملحمة مع أنهم يحكون عنه الحكايات الشنيعة التى تدل على انحلاله عن أحكام الملة والشريعة . وهكذا سائر بلاد نجد على ماوصفنا من الاعراض عن دين الله ، والجحد لأحكام الشريعة والرد . ومن العجب أن هذه الاعتقادات الباطلة ، والمذاهب الضالة ، والعوائد الجائرة ، والطرائق الخاسرة ، قد فشت وظهرت ، وعمت وطمت ، حتى بلاد الحرمين الشريفين . فمن ذلك ما يفعل عند قبر محجوب وقبة أبى طالب ، فيأتون قبره بالسماعات والعلامات للاستغاثة عند نزول المصائب ، وحلول النوائب ، وكانوا له فى غاية التعظيم ، ولا ما يجب عند البيت الكريم ، فلو دخل سارق ، أو غاصب ، أو ظالم قبر أحدهما لم يتعرض له أحد لما يرون له من وجوب التعظيم ، والاحترام والمكارم . ومن ذلك مايفعل عند قبر ميمونة أم المؤمنين رضى الله عنها فى سرف وكذلك عند قبر خديجة رضى الله عنها ، يفعل عند قبرها ما لا يسوغ السكوت عنه من مسلم يرجو الله والدار الآخرة فضلا عن كونه من المكاسب الدينية الفاخرة ، وفيه من اختلاط النساء بالرجال ، وفعل الفواحش والمنكرات ، وسوء الأفعال ، مالا يقره أهل الإيمان والكمال ، وكذلك سائر القبور المعظمة

المشرفة فى بلد الله الحرام مكة المشرفة ، وفى الطائف قبر ابن عباس رضى الله عنه يفعل عنده من الأمور الشركية التى تشمئز منها نفوس الموحدين ، وتنكرها قلوب عباد الله المخلصين ، وتردها الآيات القرآنية وما ثبت من النصوص عن سيد المرسلين ، منها وقوف السائل عند القبر متضرعا مستكيناً ، وابداء الفاقة إلى معبودهم مستعيناً ، وصرف خالص المحبة التى هى محبة العبودية ، والنذر والذبح لمن تحت ذاك المشهد والبنية ، وأكثر سوقتهم وعامتهم يلهجون بالاسواق اليوم : على الله وعليك يا ابن عباس فيستمدون منه الرزق والغوث وكشف الضر والبأس .

وذكر محمد بن حسين النعيمى الزبيدى رحمه الله أن رجلا رأى ما يفعل فى الطائف من الشعب الشركية والوظائف ، فقال أهل الطائف لا يعرفون الله انما يعرفون ابن عباس ، فقال له بعض من يترشح بالعلم معرفتهم لابن عباس كافية لأنه يعرف الله فانظر إلى هذا الشرك الوخيم ، والغلو الذميم المجانب للصراط المستقيم ، ووازن بينه وبين قوله (واذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان) الآية . وقوله جل ذكره (وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا) وقد لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهود والنصارى باتخاذهم قبور أنبيائهم مساجد يعبد الله فيها فكيف بمن عبد الصالحين ودعاهم مع الله ، والنصوص فى ذلك لا تخفى على أهل العلم ، وكذلك مايفعل بالمدينة المشرفة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام هو من هذا القبيل بالبعد عن منهاج الشريعة والسبيل . وفى بندر جدة ما قد بلغ من الضلال حده وهو القبر الذى يزعمون أنه قبر حواء وصفه لهم بعض الشياطين ، وأكثروا فى شأنه الإفك المبين ، وجعلوا له السدنة والخدم ، وبالغوا فى مخالفة ما جاء به محمد عليه أفضل الصلاة والسلام من النهى عن تعظيم القبور والفتنة بمن فيها من الصالحين ، وكذلك مشهد العلوى بالغوا فى تعظيمه ، وتوقيره ، وخوفه ، ورجائه . وقد جرى لبعض التجار انه انكسر بمال عظيم لأهل الهند وغيرهم وذلك فى سنة عشر ومائتين وألف فهرب إلى مشهد العلوى مستجيراً ، ولائذاً به مستغيثاً ، فتركه أرباب

الاموال ، ويتجاسر أحد من الرؤساء والحكام على هتك ذلك المشهد والمقام واجتمع طائفة من المعروفين واتفقوا على تنجيمه فى مدة سنين فنعوذ بالله من تلاعب الفجرة والشياطين .

وأما بلاد مصر وصعيدها وأعمالها قد جمعت من الامور الشركية ، والعبادات الوثنية ، والدعاوى الفرعونية مالا يتسع له كتاب ، ولا يدنو له خطاب لا سيما عند مشهد احمد البدوى وأمثاله من المعتقدين فى المعبودين ، فقد جاوزوا بهم مادعته الجاهلية لآلهتهم ، وجمهورهم يرى له من تدبير الربوبية والتصريف فى الكون بالمشيئة والقدرة العامة مالم ينقل مثله عن أحد بعد الفراعنة والنماردة ، وبعضهم يقول : يتصرف فى الكون سبعة ، وبعضهم يقول أربعة ، وبعضهم يقول : القطب يرجعون اليه . وكثيرمنهم يرى أن الامور شورى بين عدد ينتسبون اليه ، فتعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً (كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا) وقد استباحوا عند تلك المشاهد من المنكرات والفواحش والمفاسد ما لا يمكن حصره ، ولا يستطاع وصفه ، واعتمدوا فى ذلك من الحكايات والخرفات والجهالات مالا يصدر عن من له أدنى مسكة وحظ من المعقولات فضلا عن النصوص والشرعيات . وكذلك مايفعل فى بلدان اليمن جار على تلك الطريق والسنن ، فى صنعاء وبرع والمخا وغيرها من تلك البلاد ما يتنزه العاقل عن ذكره ووصفه ، ولا يمكن الوقوف على غاياته كشفه ، وناهيك بقوم استخفهم الشيطان ، وعدلوا عن عبادة الرحمن إلى عبادة القبور والشياطين فسبحان من لا يعجل بالعقوبة على الجرائم ، ولا يهمل الحقوق والمظالم ، وفى حضرموت ، والشحر ، وعدن ، ويافع ، ماتستك عن ذكره المسامع ، يقول قائلهم شيء لله عيدروس . شيء لله يا محى النفوس .

وفى أرض نجران من تلاعب الشيطان ، وخلع ربقة الايمان ، مالا يخفى على أهل العلم بهذا الشأن ، من ذلك رئيسهم المسمى بالسيد لقد أتوا من طاعته وتعظيمه ، وتقديمه ، وتصديره ، والغلو فيه بما أفضى بهم إلى مفارقة الملة والاسلام والانحياز الى عبادة الأوثان والأصنام (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من

دون الله ، وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله الا هو سبحانه عما يشركون ﴾
وكذلك حلب ، ودمشق ، وسائر بلاد الشام فيها من تلك المشاهد والنصب والاعلام ، مالا يجامع عليه أهل الايمان والاسلام من اتباع سيد الانام ، وهى تقارب ما ذكرنا فى الكفريات المصرية ، والتلطف بتلك الأحوال الوثنية الشركية وكذلك الموصل وبلاد الأكراد ظهر فيها من أصناف الشرك والفجور والفساد

وفى العراق من ذلك بحره المحيط بسائر الخلجان ، وعندهم المشهد الحسينى قد اتخذه الرافضة وثناً ، بل رباً مدبراً ، وخالقاً ميسراً ، وأعادوا به المجوسية ، وأحيوا به معاهد اللات والعزى ، وما كان عليه أهل الجاهلية ، وكذلك مشهد العباس ، ومشهد على ، ومشهد أبى حنيفة ، ومعروف الكرخى ، والشيخ عبد القادر فانهم قد افتتنوا بهذه المشاهد رافضتهم وسنيهم ، وعدلوا عن أسنى المطالب والمقاصد ، ولم يعرفوا ما وجب عليهم من حق الله الفرد الصمد الواحد

وبالجملة فهم شر تلك الأمصار ، وأعظمهم نفوراً عن الحق واستكبارا ، والرافضة يصلون لتلك المشاهد ، ويركعون ويسجدون لمن فى تلك المعاهد . وقد صرفوا من الأموال والنذور ، لسكان تلك الأجداث والقبور مالا يحصل عشر معشاره للملك العلى الغفور . ويزعمون أن زيارتهم لعلى وأمثاله أفضل من سبعين حجة ، تعالى الله وتقدس فى مجده وجلاله ، ولآلهتهم من التعظيم والتوقير والخشية والاحترام ما ليس معه من تعظيم الله وتوقيره وخشيته وخوفه شىء للاله الحق والملك العلام ، ولم يبق مما عليه النصارى سوى دعوى الولدية . غير أن بعضهم يرى الحلول لأشخاص بعض البرية ، سبحان ربك رب العزة عما يصفون .
وكذلك جميع قرى الشط والمجره على غاية من الجهل والمعروف فى القطيف والبحرين من البدع الرافضية ، والأحداث المجوسية ، والمقامات الوثنية مايضاد ويصادم أصول الملة الحنيفية . فمن اطلع على هذه الأفاعيل وهو عارف بالايمان والاسلام وما فيهما من التفريع والتأصيل ، تيقن أن القوم قد ضلوا عن سواء السبيل ، وخرجوا من مقتضى القرآن والدليل ، وتمسكوا بزخارف الشيطان ، وأحوال الكهان ، وما شابه هذا القبيل ، وازداد بصيرة فى دينه ، وقوى بمشاهدته إيمانه

ويقينه ، وجد فى طاعة مولاه وشكره ، واجتهد فى الانابة اليه وإدامة ذكره ، وبادر الى القيام بوظائف أمره ، وخاف أشد الخوف على ايمانه من طغيان الشيطان وكفره . فليس العجب ممن هلك كيف هلك ، إنما العجب ممن نجا كيف نجا .

فلما تفاقم هذا الخطب وعظم ، وتلاطم موج الكفر والشرك فى هذه الامة وجسم ، واندرست الرسالة المحمدية ، وانمحت منها المعالم فى جميع البرية ، وطمست الآثار السلفية ، وأقيمت البدع الرفضية ، والامور الشركية .

تجرد الشيخ للدعوة الى الله ، ورد هذا الناس الى ما كان عليه سلفهم الصالح فى باب العلم والايمان ، وباب العمل الصالح والاحسان ، وترك التعلق على غير الله من الأنبياء والصالحين وعبادتهم ، والاعتقاد فى الأحجار والاشجار ، والعيون والمغار ، وتجريد المتابعة لرسول الله ﷺ فى الأقوال والأفعال وهجر ما أحدثه الخلوف والأغيار ، فجادل فى الله وقرر حججه وبيناته ، وبذل نفسه لله ، وأنكر على أصناف بنى آدم ، الخارجين عما جاءت به الرسل ، المعرضين عنه ، التاركين له . وصنف فى الرد على من عاند وجادل ، وما حل حتى ظهر الاسلام فى الأرض ، وانتشر فى البلاد والعباد ، وعلت كلمة الله ، وظهر دينه ، وانقمع أهل الشرك والفساد ، واستبان لذوى الألباب والعلوم من دين الاسلام ما هو مقرر معلوم .

فهذه حقيقة حال الشيخ ونشأته ، وظهور دعوته . وهذه حال أهل الامصار فى تلك الأوقات والأعصار ، كما تقدم بيانه لذوى العقول والأبصار . فمن شرح الله صدره للاسلام تبين له صحة ما دعا اليه هذا الامام ، ومن عمى عن طريق رشده وهداه ، واتبع فيما ينتحله ما يهواه ، وتمرد على الله واستكبر وعتا وتجبر . فانما الهداية بيد الله (ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا ، ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور)

وبما ذكرناه يعرف كيفية الجواب عما تقدم من فاتحة كتاب هذا العراقى الى مبدإ نشأة الشيخ وظهور دعوته ، وإنما تركنا الجواب لعدم المصلحة الراجحة فى ذلك .

فصل

قال الملحد فأظهر عقيدته الزائغة فى نجد

(الجواب) أن يقال قد عرف واشتهر واستفاض من تقارير الشيخ ومراسلاته ومصنفاته المسموعة المقروءة، وماثبت بخطه، وعرف واشتهر من أمره ودعوته، وماعليه الفضلاء النبلاء من أصحابه وتلامذته أنه كان على ما كان عليه السلف الصالح، وأئمة الدين أهل الفقه والفتوى فى باب معرفة الله وإثبات صفات كماله، ونعوت جلاله، التى نطق بها الكتاب العزيز، وصحت بها الأخبار النبوية، وتلقتها أصحاب رسول الله ﷺ بالقبول والتسليم يثبتونها ويؤمنون بها، ويمرونها كما جاءت من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، وقد درج على هذا من بعدهم من التابعين، وتابعيهم من أهل العلم والإيمان، وسلف الامة وأئمتها. وكان رحمه الله يدعو الناس إلى الصلوات الخمس والمحافظة عليها حيث ينادى لها، وهذا من سنن الهدى ومعالم الدين كما دل على ذلك الكتاب والسنة، ويأمر بالزكاة والصيام والحج، ويأمر بالمعروف ويأتيه ويأمر الناس أن يأتوه ويأمروا به، وينهى عن المنكر ويتركه ويأمر الناس بتركه والنهى عنه، فمن زعم أن عقيدته وطريقته زائغة، أو عن الحق رائغة، فلعدم معرفته بالعقائد السلفية، والآثار النبوية، بل تنادى عقيدته البيضاء بعقيدة السلف، ولا ينكر صحتها وأفضليتها من خلف منا ومن سلف، بل قد تتبع العلماء مصنفاته رحمه الله من أهل زمانه وغيرهم فأعجزهم أن يجدوا فيها ما يعاب. وأقواله فى أصول الدين مما أجمع عليه أهل السنة والجماعة ولم يعب عليه إلا من خرج عن طريقة أهل السنة والجماعة لالفهم بما كانوا عليه من الشرك والضلال من عبادة غير الله تعالى، بالالتجاء إلى الصالحين ودعائهم، والاستغاثة بهم، لانهم لا يعرفون الا ما نشأوا عليه من هذا الشرك العظيم، والمرتع الوبى الوخيم الذى وجدوا عليه الآباء والجدود الراتعين فى رياض المحرمات والحدود. والاكثر منهم يتدين بالبدع والاهواء، ويرفض ما درج

عليه السلف الصالح من الدين القديم الاولى ، وينتحل ما كان عليه الفلاسفة المتقدمون ؛ وورثتهم من المتكلمين الذين يحرفون الكلم عن مواضعه ، ويتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة ، وابتغاء تأويله وحسبنا الله ونعم الوكيل .

وأما قوله: وساعده على اظهارها محمد بن سعود أمير الدرعية بلاد مسيلمة الكذاب

فأقول : نعم قد استجاب لهذه الدعوة المحمدية والملة الابراهيمية من أهل الإسلام عصابة حصل بهم من العز والمنعة ما هو عنوان التوفيق والاصابة ، فكانوا لطريقته المثلى متبعين ، وبأقواله وأفعاله مقتدين ، لايزالون معه فى اخلاص الدعوة مشمرين ، وفى ادحاض الباطل وأهله مجتهدين ، وبايضاح مناهج الشرك معلنين ، ولها منكرين ، وعنها محذرين ، وفيما يرضى الله مسرعين، ولاهل الدين والحق مكرمين ، ولاهل الضلال موهنين ، وللضلال والفساق مهينين ، ولقبح عقائدهم مبينين ، قائمين فى ذلك لرب العالمين ، ولوجهه الكريم محتسبين، وللنجاة مرتجين (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين)

وقد قال الإمام أحمد بن محمد الحفظى اليمنى فى أرجوزة له ذكر فيها ظهور هذه الدعوة المحمدية ، والطريقة السلفية ، قال فيها :

أحمده مهللا مسبحلا ... محوقلا محيعلا محسبلا
مصلياً على الرسول الشارع ... وآله وصحبه والتابع
فى البدء والختم (وأما بعد) ... فهذه منظومة تعد
حركنى لنظمها الخير الذى ... قدجاءنا فى آخر العصر القذى
لما دعى الداعى من المشارق ... بأمر رب العالمين الخالق
وبعث الله لنا مجددا ... من أرض نجد عالما مجتهدا
شيخ الهدى محمد المحمدى ... الحنبلى الاثرى الاحمدى
فقام والشرك الصريح قدسرى ... بين الورى وقدطغى واعتكر
لايعرفون الدين والتهليلا ... وطرق الإسلام والسبيلا
الا أساميها وباقى الرسم ... والارض لاتخلو من أهل العلم
وكل حزب فلهم وليجة ... يدعونه فى الضيق للتفريجة

وملة الاسلام والاحــــكام   فى غربة وأهلهـــا أيتام
دعا الى الله وبالتهليـــلة   يصرخ بين أظهر القبيـلة
مستضعفا وما له مناصر   ولا له معاونـــ موازر
فى ذلة وقـلة وفى يده   مهفة تغنيه عن مهنده
كأنها ريح الصبا فى الرعب   والحق يعلو بجنود الرب
قد أذكرتنى درّة لعمر   وضرب موسى بالعصا للحجر
ولم يزل يدعو الى دين النبى   ليس الى نفس دعا أو مذهب
يعلم النـاس معانى أشهد   ان لا اله غـير فرد يعبد
محمـــد نبيه وعبده   رسوله اليـــكمو وقصده
أن تعبدوه وحده لا تشركوا   شيئا به والابتداع فاتركوا
ومن دعا دون الاله أحداً   أشرك بالله ولو محمـــدا
ان قلتموا نعبدهم للقربة   أو للشفاعات فتلك الكذبة
وربنا يقول فى كتابه   هذا هو الشرك بلا تشابه
هذى معانى دعوة الشيخ لمن   عاصره واستكبروا عن السنن
فانقسم النـاس فنهم شارد   مخاصم محـارب معاند
ما بين خفاش وبين جعل   شاهت وجوه أهل هذا المثل
وبعد ما استجيب لله فمن   جادل فى الله تردى وافتتن
ومن أجاب داعى الله ملك   ومن تولى معرضا فقد هلك
والسابقون الأولون السادة   آل سعود الكبار القادة
هم الغيوث والليوث والشنف   ونصرة الاسلام والشم الأنف
فأقبلوا والناس عنه أدبروا   وعرفوا من حقه ما أنكروا
حفوا به كأسد العرائن   وكم وكم لله من ضنائن
وابن سعود كأبى أيوب   محمـد الربئيل واليعسوب
قال اذهبوا فأنتموا سيوم   وجند ربى قبـله حيزوم
وقام فاروق الزمان المؤتمن   عبد العزيز من ومن ومن

فسار فى الناس كسيرة الاشج ... ودوخ البر وخاض للثبج
يسوس بالآثار والقرآن ... على طريق العدل والاحسان
يدعو الى الله بحزب غالب ... مجاهد بالاربع المراتب
ونفسه لله والنفيس ... والصدق للقلوب مغناطيس
وبعده قام الامام البارع ... بأمر رب العالمين الوازع
وهو الهزبر الضيغم العدل الولى ... سعود مخ الرأس قلب الهيكل
كم زع بالقرآن والسلطان ... من فارس والروم والزنجان
وفى العراقين له رعود ... ومصر من صولته مرعود
واليمن الميمون كالحجاز ... دوخها بالقهر والمغـازى
والحرمين وهى المطهرة ... قد أصبحت بعداله معطره
بالرفق يدعوه وبالتعطف ... ومن أبى يطره بالمشرفى
ولم يكن فى نزعه من ضعف ... وشاهد الواقع فيه يكفى
فلم أرى من عبقرى يفرى ... فريه من أمراء العصر
وهكذا من يبتدى بنفسه ... مجاهداً فى يومه وأمسه
فانه يطاع لامحـــاله ... فى خارج بيعاً بلا اقاله
ونغمات أمره مترجمة ... ليظهر الحق وتعلو الكلمة
وهو الغيور الشهم ليس يرضى ... ببيضة الاسلام أن ترضا
لا يطلب الدنيا ولا الفسادا ... فى الارض والعلو والعنادا
أو مذهباً أو ذهبـاً يريد ... وانما مطلوبه التوحيد

فصل

وأما تعييره أهل الاسلام بأن بلادهم بلاد مسيلمة الكذاب

فالجواب ان نقول سبحان الله ما اعظم شأنه وأعز سلطانه فانه لا يعير بهذا الكلام الا أشباه الانعام فان سكنى الدار لا تؤثر فان الصحابة سكنوا مصر وبلاد الفرس وفضلهم لا يزال فى مزيد وايمانهم قهر أهل الشرك والتنديد

وعادت تلك البقاع والاماكن من أفضل مساكن أهل التوحيد وقد روى الطبرانى من حديث عبد الله بن عمر رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال « دخل ابليس العراق فقضى فيها حاجته ثم دخل الشام فطردوه ثم دخل مصر فباض فيها وفرخ وبسط عليها عبقريه » ولا يقول مسلم بذم علماء العراق لما ورد فيها وقال شيخنا الشيخ عبد اللطيف رحمه الله تعالى وقد قال لى بعض الازهريين : مسيلمة الكذاب من خير نجدكم فقلت وفرعون اللعين رئيس مصركم فبهت ، وأين كفر فرعون من كفر مسيلمة لو كانوا يعلمون . وقال الشيخ ملا عمران بن على بن رضوان نزيل لنجة فى رده على من عارض الشيخ محمد وعيره بأن بلاده بلاد مسيلمة الكذاب قال بعد كلام سبق :

قد عيروه بانه قد كان فى	وادى حنيفة دار من لم يسعد
قلنا لهم ما ضر مصر بأنها	كانت لفرعون الشقى الاطرد
ان النماردة الفراعنة الأولى	كانوا بأرض الله أهل تمرد
ذا قال أنا رب وذا متنبىء	هم فى بلاد الله أهل تردد
يمنا وشاما والعراق ومصرها	من كل طاغ فى البرية مفسد
فبموتهم طابت وطار غبارها	وزهت بتوحيد الاله المفرد
ان المواطن لا تشرف ساكنا	فيها ولا تهديه ان لم يهتد
من كان لله الكريم موحداً	لو مات فى جوف الكنيف المطرد
وبعكسه من كان يشرك فهو لم	يفلح ولو قد مات وسط المسجد
خرج النبى المصطفى من مكة	وبقى أبو جهل الذى لم يهتد
ان الاماكن لا تقدس أهلها	ان لم يكونوا قائمين على الهدى

وأما كونه أجبر أهلها يعنى أهل الدرعية فمن الكذب والبهتان بل دخلوا فى دين الله أفواجا واستجابوا لمن دعاهم الى الله وأدخلوا سائر أهل نجد ممن لم يقبل دين الله ورسوله فى دين الله قهراً وقسراً وجاهدوهم حتى تبين لهم صحة هذا الدين وذاقوا حلاوته واطمأنوا به وجاهدوا مع الأمير محمد بن سعود من لم يدخل فيه حتى استوسقت له جزيرة العرب ودانت ، ثم أن الذين أنكروا هذه الدعوة

من الدول الكبار والشيوخ وأتباعهم من أهل القرى والامصار أجلبوا على عداوة أهل الاسلام وهم إذ ذاك فى عدد قليل وفى حال تخلف الاسباب عنهم وفقرهم فرموهم عن قوس العداوة فمن أهل نجد دهام بن دواس وابن زامل وآل بجاد أهل الخرج ومحمد بن راشد راعى الحوطة وتركى الهزانى وزيد ومن والاهم من الاعراب والبوادى كذلك العنقرى فى الوشم ومن تبعه وشيوخ قرى سدير والقصيم وبوادى نجد وابن حميد ملك الاحساء ومن تبعه من حاضر وبادى وكلهم تجمعوا لحرب المسلمين مراراً عديدة مع عريعر وأولاده منها نزولهم على الدرعية وهى شعاب لا يمكن تحصنها بالابواب والبنا وقد أشار إلى ذلك العلامة حسين بن غنام رحمه الله تعالى بقوله :

وجاءوا بأسباب من الكيد مزعج   مدافعهم يزجى الوحوش رنينها

فنزلوا البلاد واجتمع من اجتمع من أهل نجد حتى قال من يدعى انه من العلماء وهو من أمثل علمائهم وعقلائهم . لما سئل كيف أشكل عليكم أمر عريعر وفساده وظلمه وأنتم تعينونه وتقاتلون معه فقال لو أن الذى حاربكم ابليس كنا معه والمقصود أن الله تعالى ردهم بغيظهم لم ينالوا خيراً وحمى الله تلك القرية فلم يشربوا من آبارها .

وأما وزير العراق فمشى مراراً عديدة بما يقدر عليه من الجنود والكيد الشديد وأجرى الله تعالى عليهم من الذل مالا يخطر ببال قبل أن يقع بهم ماوقع من ذلك أن ثوينى فى مرة من المرار مشى بجنوده الى الاحساء بعد ما دخل أهلها فى الاسلام فى حال حداثتهم بالشرك والضلال فلما قرب من تلك البلاد أتاه رجل مسكين لا يعرف من غير ممالات أحد من المسلمين فقتله فمات فنصر الله هذا الدين برجل لا يعرف وذلك مما به يعتبر فانقلبت تلك الجنود وتركوا ما معهم من المواشى والاموال خوفا من المسلمين ورعباً فغنمها من حضر وقد قال الشيخ حسين بن غنام فى ذلك :

تقاسمتم الاحساء قبل منالها   فللروم شطر والبوادى لهم شطر

فى أبيات كثيرة

ثم جددوا أسبابا لحرب المسلمين وساروا بدول عظيمة يتبع بعضها بعضاً

وكيد عظيم فنزلوا الاحساء وقائدهم على كيخيا فتحصن من ثبت على دينه فى الكوت وثغر صاهود فنزل بهم وصار يضربهم بالمدافع والقنابر وحفر اللغوب، فاعجزه الله ومن معه ممن ارتد عن الإسلام فولى مدبراً بجنوده ، فاجتمع بسعود ابن عبد العزيز فى ثاج وغزوه الذين معه رحمه الله ، والذين معه من المسلمين أقل من المنتفق أو آل ظفير الذين مع الكيخيا فألق الله الرعب فى قلوبهم على كثرتهم وقوتهم فصارت عبرة عظيمة فطلبوا الصلح على أن يدعهم سعود يرجعون إلى بلادهم فأعطاهم أماناً على الرجوع فذهبوا فى ذل عظيم ، فلما قدم كل منهم مكانه مات سليمان باشا وذلك من نصر الله لهذا الدين فأهلك الله من أنشأ هذه الدول ثم قام على كيخيا فصار هو الباشا فأخذ يجدد آلة الحرب ، فجمع من الكيد والأسباب أعظم مما كان معه فى تلك الكرة ، فلما كملت أسبابه وجمع الجموع فلم يبق إلا خروجه لحرب المسلمين لينتقم من أهل هذا الدين سلط الله صبيين مملوكين عنده يبيتون معه فقتلوه آخر الليل ، فخمدت تلك النيران ، وتفرقت تلك الأعوان ، فما قام لهم قائمة فيالها عبرة ماأظهرها لمن له أدنى بصيرة فاعتبروا يا أولى الأبصار، أين ذهب عقل من أنكر هذا الدين ، وجادل وكابر فى دفع الأدلة على التوحيد وما حل .

وكذلك ماجرى فى حرب أشراف مكة لهذه الدعوة الإسلامية والطريقة المحمدية ، وذلك أنهم من أول من بدأ المسلمين بالعداوة فحبسوا حاجتهم فمات فى الحبس منهم عدد كثير ومنعوا المسلمين من الحج أكثر من ستين سنة ، وفى أثناء هذه المدة سار اليهم الشريف غالب بعسكر كثيف وكيد عنيف ، وقدم أخاه عبد العزيز قبله فى الخروج فنزل قصر بسام فأقام مدة يضرب بالمدافع والقنابر وجر عليه الزحافات فأبطل الله كيده على هذا القصر الضعيف بناؤه ، القليل رجاله ، فرحل منه ووافى غالباً ومعه أكثر الجنود ، ومعه من الكيد مثل ما كان مع أخيه أو يزيد ، فنزلوا جميعاً الشعراء فجد فى حربهم بكل كيد فاعجزه الله تعالى عن ذلك البناء الضعيف الذى لم يتأهب أهله لحرب بالبناء والسلاح فأبطل الله كيده ورده عنهم بعد الاياس ، فسلط الله المسلمين على من كان معه

من الاعراب خصوصاً مطير فأوقع الله بهم فى العداوة ومعهم مطلق الجربا فهزمهم الله تعالى وغنم المسلمون جميع ما كان معهم من الإبل والخيل وسائر المواشى فصار ما ذكرناه من نصر الله وتأييده لاهل هذا الدين عبرة عظيمة، وفى جملة قتلاهم حصان ابليس . وبعد ماذكرناه جد غالب فى الحرب واجتهد، لكن صار حربه للأعراب، ولم يتعد النير فيغزو على من استضعفه ويغير، فأعطى الله أعراب المسلمين الظفر عليه فى عدة وقعات من أعظمها وقعة الخرمة على يد ربيع وغزوه من أهل الوادى وبعض قحطان فهزمه الله تعالى واشتد القتل فى عسكره فأخذوا جميع ما كان معه من المواشى وغيرها، فصار بعد ذلك فى ذل وهوان ففتح الله الطائف للمسلمين، وصار أميره عثمان بن عبد الرحمن فاجتمع فيه دولة للمسلمين وساروا لحرب الشريف ومعهم عبد الوهاب أبو نقطة أمير عسير، وسالم بن شكبان أمير أهل بيشة فنزلوا دون الحرم، فخرج اليهم عسكر من مكة فقتلوه، فطلب الشريف المذكور منهم الامان فلم يقبلوا منه إلا الدخول فى الإسلام والبيعة للامام سعود فأعطاهم البيعة على يد رجال بعثوهم اليه، هذا بعد وقعات تركنا ذكرها كراهة الإطالة لأن القصد بهذا الوضع الاعتبار بما جرى لاهل هذه الدعوة من النصر والتأييد، والظهور على قلة أسبابهم، وكثرة عدوهم وقوته، وذلك من آيات الله وبيناته. على أن ما قام به هذا الشيخ فى حال فساد الزمان الدين الذى بعث الله به المرسلين، وتبين أن هذه الطائفة فى هذه الازمنة هى الطائفة المذكورة فى قوله ﷺ «ولاتزال طائفة من أمتى على الحق منصورة لايضرهم من خذلهم، ولا من خالفهم حتى يأتى أمر الله وهم على ذلك». وقد كانت هذه الطائفة قبل ظهور الشيخ فيما تقدم موجودة فى الشام، والعراق ومصر وغيرها بوجود أهل السنة وأهل الحديث فى القرون المفضلة وبعدها، فلما اشتدت غربة الاسلام، وقل أهل السنة، واشتد النكير عليهم، وسعى أهل البدع فى ايصال المكر اليهم، مَنَّ الله بهذه الدعوة، فقامت بها الحجة، واستبانت المحجة.

والمقصود أن كل من ذكرنا ممن عاداهم من أهل نجد والاحساء وغيرهم

من البوادي أهلكهم الله ولحقتهم العقوبة حتى في الذراري والأموال ، فصارت أموالهم فيئاً لأهل الاسلام ، وانتشر ملكهم وصار كل من بقي في أماكنهم سامعاً مطيعاً لامام المسلمين القائم بهذا الدين ، فانتشر ملك أهل الاسلام حتى وصل الى حدود الشام ، مع الحجاز ، وتهامة ، وعمان ، فصاروا بحمد الله في أمن وأمان ، يخافهم كل مبطل وشيطان ، ففي هذا معتبر لاهل الاعتبار ، مع ما وقع بمن حاربهم من الخراب والدمار ، واستيلاء المسلمين على ما كان لهم من العقار والديار ، فلا يرتاب في هذا الدين بعد هذا البيان الا من عميت بصيرته ، وفسدت علانيته وسريرته ، انتهى من المقامات التي ألفها الشيخ الامام عبد الرحمن ابن حسن مفتي الديار النجدية رحمه الله تعالى

وأما قوله : أما ولادته فقد كانت سنة ألف ومائة واحدى عشرة سنة

فقد قدمنا أنه ولد رحمه الله سنة ١١١٥ خمس عشرة بعد المائة والالف من الهجرة النبوية هذا هو الصحيح

وأما قوله وكان في ابتداء أمره من طلبة العلم يتردد الى مكة والمدينة لاخذه عن علمائها ، وممن أخذ عنه في المدينة الشيخ محمد بن سليمان الكردي والشيخ محمد حياة السندي فأقول :

قد تقدم بيان رحلته وطلبه للعلم ، وعن من أخذ عنه من العلماء في المدينة المنورة ، ومكة المشرفة ، والبصرة ، والاحساء ، وعن علماء نجد بما أغنى عن اعادته

وأما قوله وكان الشيخان المذكوران وغيرهما من المشايخ الذين أخذ عنهم يتفرسون فيه الغواية والالحاد ، ويقولون سيضل الله تعالى هذا ، ويضل به من أشقاه الى آخر ما افترعه هذا العراقي الملحد وافتراه

فالجواب أن هذا النقل كذب وافتراء من غير شك ولا امتراء ، ثم لو فرضنا صحة هذا النقل لم يكن هذا القول عمن لا ينطق عن الهوى ، بل لا يعجز الخصم الذي لا يخاف الله ولا يتقيه عن أكثر من هذا القول وأوخم وأفحش منه وأعظم ، وقد قدمنا من حال الشيخ ودعوته الى الله وحسن سيرته ما يعتبر به من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد

فيالك من آيات حق لو اقتدى بهن مريد الحق كن هواديا
ولكن على تلك القلوب غشاوة فليست وإن أصغت تجيب المناديا

وأما قوله : وكذلك كان أبوه عبدالوهاب وهو من العلماء الصالحين يتفرس فيه الالحاد ، ويحذر الناس منه الخ .

فالجواب أن نقول : وهذا أيضاً من الكذب والبهتان ، والزور والعدوان، بل كان والده يعظمه ويعترف بالاستفادة منه ، ولم ينقل عن والده هذا النقل من يعتد بنقله ، وإنما يرميه بمثل هذا البهت ، وينسبه اليه من جعل زوره وقدحه فى أهل العلم والايمان جسراً يتوصل منه ، ويعبر الى ما انطوى عليه ، وزينه له الشيطان من عبادة الصالحين والتوسل بهم ، وعدم الدخول تحت أمر أولى العلم وترك القبول منهم ، والاستغناء بما نشأ عليه أهل الضلال واعتادوه من العقائد الضالة ، والمذاهب الجائرة .

وأما نسبة ذلك الى أخيه سليمان فلا مانع من ذلك لولا وجوب رد خبر هذا الفاسق وعدم قبوله الا بعد التبين ، ثم لو فرضت صحته فمن سليمان وما سليمان ، وهذه دلائل السنة والقرآن تدفع فى صدره ، وتدرأ فى نحره ، وقد اشتهر ضلاله ومخالفته لأخيه مع جهله وعدم ادراكه لشيء من فنون العلم . قال شيخنا الشيخ عبد اللطيف رحمه الله وقد رأيت له رسالة يعترض على الشيخ ، وتأملتها فاذا هى رسالة جاهل بالعلم والصناعة ، مزجى التحصيل والبضاعة ، لا يدرى ما طحاها ، ولا يحسن الاستدلال بذلك على من فطرها وسواها ، هذا وقد منَّ الله وقت تسويد هذا بالوقوف على رسالة لسليمان فيها البشارة برجوعه عن مذهبه الأول ، وأنه قد استبان له التوحيد والايمان ، وندم على ما فرط من الضلال والطغيان ، وهذا نصها .

بسم الله الرحمن الرحيم

من سليمان بن عبد الوهاب الى الاخوان أحمد بن محمد التويجرى ، وأحمد ومحمد ابنا عثمان بن شبانه. سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد فأحمد اليكم الله

الذى لا اله الا هو ، وأذكركم ما منّ الله به علينا وعليكم من معرفة دينه ، ومعرفة ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من عنده ، وبصرنا به من العمى ، وأنقذنا به من الضلالة . وأذكركم بعد أن جئتونا فى الدرعية من معرفتكم الحق على وجهه وابتهاجكم به ، وثنائكم على الله الذى أنقذكم ، وهذا دأبكم فى سائر مجالسكم عندنا ، وكل من جاءنا بحمد الله يثنى عليكم والحمد لله على ذلك ، وكتبت لكم بعد ذلك كتابين غير هذا أذكركم وأعظكم ، ولكن يا اخوانى معلومكم ما جرى منا من مخالفة الحق واتباعنا سبيل الشيطان ، ومجاهدتنا فى الصد عن اتباع سبل الهدى . والآن معلومكم لم يبق من أعمارنا الا اليسير ، والأيام معدودة ، والأنفاس محسوبة ، والمأمول بنا أن نقوم لله ونفعل مع الهدى أكثر مما فعلنا مع الضلال ، وأن يكون ذلك لله وحده لاشريك له لا لما سواه ، لعل الله يمحو عنا سيئات ما مضى ، وسيئات ما بقى ، ومعلومكم عظم الجهاد فى سبيل الله ، وما يكفر من الذنوب ، وأن الجهاد باليد ، واللسان ، والقلب ، والمال ، وتفهمون أجر من هدى الله به رجلا واحداً ، والمطلوب منكم أكثر مما تفعلون الآن : وأن تقوموا لله قيام صدق ، وأن تبينوا للناس الحق على وجهه ، وأن تصرحوا لهم تصريحا بيناً بما أنتم عليه أولا من الغى والضلال ، فيا اخوانى الله الله فالأمر أعظم من ذلك ، فلو خرجنا نجأر الى الله فى الفلوات ، وعدّنا الناس من السفهاء والمجانين فى ذلك ، لما كان ذلك بكثير منا وأنتم رؤساء الدين والدنيا فى مكانكم أعز من الشيوخ والعوام كلهم تبع لكم فاحمدوا الله على ذلك ، ولا تعلثوا بشىء من الموانع ، وتفهمون أن الآمِرَ بالمعروف والناهى عن المنكر لابد أن يرى ما يكره ولكن أرشدكم فى ذلك الى الصبر كما حكى عن العبد الصالح فى وصيته لابنه فلا أحق من أن تحبوا لله ، وتبغضوا لله ، وتوالوا لله ، وتعادوا لله ، وترى يعرض فى هذا أمور شيطانية ، وهى أن من الناس من ينتسب لهذا الدين ، وربما يلقى الشيطان لكم أن هذا ما هو بصادق وأن له ملحظ دنيوى ، وهذا أمر ما يطلع عليه الا الله ، فاذا أظهر أحد الخير فاقبلوا منه ووالوه ، فاذا ظهر من أحد شر وإدبار عن الدين فعادوه واكرهوه ولو أحب حبيب ، وجامع الأمر فى هذا أن الله خلقنا

لعبادته وحده لا شريك له ، ومن رحمته بعث لنا رسولا يأمرنا بما خلقنا له ، ويبين لنا طريقه ، وأعظم ما نهانا عنه الشرك بالله وعداوة أهله وبغضهم، وتبيين الحق ، وتبيين الباطل ، فمن التزم ماجاء به الرسول فهو أخوك ولو أبغض بغيض ومن نكب عن الصراط المستقيم فهو عدوك ولو هو ولدك أو أخوك ، وهذا شيء أذكركموه مع انى بحمد الله تعلمون ماذكرت لكم ، ومع هذا فلا عذر لكم عن التبيين الكامل الذى لم يبق معه لبس ، وان تذاكروا دائما فى مجالسكم ماجرى منا ومنكم أولا ، وان تقوموا مع الحق أكثر من قيامكم مع الباطل فلا أحق من ذلك ولا لكم عذر لأن اليوم الدين والدنيا ولله الحمد مجتمعة فى ذلك فتذاكروا ما أنتم فيه أولا من أمور الدنيا من الخوف والاذى ، واعتلاء الظلمة والفسقة عليكم ، ثم رفع الله ذلك كله بالدين وجعلكم السادة والقادة ، ثم أيضاً ما منَّ الله به عليكم من الدين، انظروا الى مسألة واحدة فما نحن فيه من الجهالة كون البدوى تجرى عليه أحكام الاسلام مع معرفتنا أن الصحابة قاتلوا أهل الردة وأكثرهم متكلمين بالاسلام ، ومنهم من أتى بأركانه ، ومع معرفتنا انه من كذب بحرف من القرآن كفر ولو كان عابداً ، وأن من استهزأ بالدين أو بشيء منه فهو كافر ، وأن من جحد حكماً مجمعاً عليه فهو كافر الى غير ذلك من الاحكام المكفرات، وهذا كله مجتمع فى البدوى وأزيد ، ونجرى عليه أحكام الاسلام اتباعا لتقليد من قبلنا بلا برهان . فيا اخوانى تأملوا وتذكروا فى هذا الاصل يدلكم على ماهو أكبر من ذلك ، وانا اكثرت عليكم الكلام لوثوقى بكم انكم ما تشكون فى شيء فيما تحاذرون ، ونصيحتى لكم ولنفسى والعمدة فى هذا أن يصير دأبكم فى الليل والنهار أن تجأروا الى الله تعالى أن يعيذكم من شرور أنفسكم وسيئات أعمالكم وأن يهديكم الى الصراط المستقيم الذى عليه رسله وأنبياؤه ، وعباده الصالحون وأن يعيذكم من مضلات الفتن ، والحق واضح وابلج ، وماذا بعد الحق الا الضلال ، فالله الله ترى الناس الى فى جهاتكم تبع لكم فى الخير والشر ، فان فعلتوا ماذكرت لكم ماقدر أحد من الناس يرميكم بشر ، وصرتوا كالاعلام هداية للحيران ، فان الله سبحانه وتعالى هو المسؤول أن يهدينا واياكم سبل السلام ،

والشيخ وعياله وعيالنا طيبين ولله الحمد ويسلمون عليكم ، وسلموا لنا على من يعز عليكم والسلام . وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه ، اللهم اغفر لكاتبها ولوالديه ، ولذريته ، ولمن نظر فيه ودعا له بالمغفرة والمسلمين والمسلمات أجمعين اهـ .

وأما تأليفه الرد على أخيه فنعم وذلك فى حال ضلالته ونفوره عن دين الاسلام ، فلما هداه الله وتبين له صحة مادعا اليه الشيخ من توحيد الله وافراده بالعبادة ، وترك عبادة ماسواه تبين له سوء عمله وزيغه وضلاله ، فرجع عما كان يعتقده من الضلال والعمى إلى طريقة أهل الحق والهدى كما صرح به فى رسالته المتقدم ذكرها والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم .

فصل

وأما قوله وكان محمد هذا بادىء بدأته كما ذكره بعض المؤلفين مولعاً بمطالعة أخبار من ادعى النبوة كاذباً كمسيلمة الكذاب وسجاح والاسود العنسى وطليحة الاسدى وأضرابهم ، فكان يضمر فى نفسه دعوة النبوة الا أنه لم يتمكن من اظهارها .

(فالجواب) أن نقول (ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا) فان هذا معلوم كذبه بالاضطرار لا يمترى فيه من له أدنى معرفة بمقادير الائمة الأخيار ومن طالع كتب الشيخ ومصنفاته ورسائله وتأمل حال نشأته ودعوته الى الله تبين له أن هذا من الكذب والافتراء وانه من وضع أعداء الله ورسوله الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا ويسعون فى الأرض فسادا والله لا يحب الفساد (يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم ، ويأبى الله الا أن يتم نوره ، ولو كره الكافرون) وهذا العراقى الملحد لما لم يكن له حيلة فى دفع ما منّ الله به من ظهور الاسلام أخذ فى رد ماجاء به من البينات والهدى بالكذب والافتراء وقبله أناس أتوا بأعظم الأسباب ، وزجوا الخلق فى لجة الضلال والارتياب ، وضجوا على دعوة الحق بالتكذيب والاكذاب ، وعجوا مطبقين على الشيخ بأنه ساحر أو مفتر أو

كذاب وحكموا بكفره واستحلال دمه وماله وجميع من له من الاصحاب وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فأخذتهم فكيف كان عقاب وصنفوا فى رد هذا الدين مصنفات ولفقوا من الاكاذيب على الشيخ وأكثروا من الترهات ولم يكن لهم قصد ولا مرام الا تنفير الخواص والعوام فأتوا بهذه المجونات والخرافات التى لاتروج الا على من أعمى الله بصيرة قلبه من أهل تلك القلوب المقفلات (أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا فان الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات) وسيقف هو واياهم بين يدى عدل لا يظلم ولا يجور فيجازى كلا بعمله يوم النشور وحسبنا الله ونعم الوكيل .

قال العراقى الملحد : وكان يسمى جماعته من أهل بلده الانصار ويسمى متابعيه من الخارج المهاجرين وكان يأمر من حج حجة الاسلام قبل اتباعه أن يحج ثانية قائلا أن حجتك الاولى غير مقبولة لانك حججتها وانت مشرك ويقول لمن أراد أن يدخل فى دينه اشهد على نفسك أنك كنت كافراً واشهد على والديك أنهما ماتا كافرين واشهد على فلان وفلان ويسمى له جماعة من أكابر العلماء الماضين أنهم كانوا كفارا فان شهد بذلك قبله والا أمر بقتله وكان يصرح بتكفير الامة منذ ستمائة سنة ويكفر كل من لا يتبعه وان كان من أتقى المسلمين ويسميهم مشركين ويستحل دماءهم وأموالهم ويثبت الايمان لمن اتبعه وان كان من أفسق الناس وكان عليه ما يستحقه من الله يتنقص النبى ﷺ كثيرا بعبارات مختلفة منها قوله أنه طارش وهو فى لغة العامة بمعنى الشخص الذى يرسله أحد الى غيره والعوام لا يستعملون هذه الكلمة فيمن له حرمة عندهم ومنها قوله انى نظرت فى قصة الحديبية فوجدت فيهم كذا وكذا من الكذب الى غير ذلك من الالفاظ الاستخفافية حتى ان بعض أتباعه يقول بحضرته ان عصاى هذه خير من محمد لأنى أنفع بها ، ومحمد قد مات فلم يبق فيه نفع وهو يرضى بكلامه وهذا كما تعلم كفر فى المذاهب الاربعة .

فالجواب عن هذه المطاعن كلها أن نقول (سبحانك هذا بهتان عظيم) بل هذا من افك الوضاعين الذين شرقوا بهذا الدين وأنكرته قلوبهم فموهوا بهذه

الأوضاع على الجهال والطغام وصادفت قلوبا قد ملئت بالشرك وعداوة أهل الإسلام فكانوا لما يديه هؤلاء يصدقون (ولتصغى اليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة وليرضوه وليقترفوا ماهم مقترفون) .

(وأما قوله) ومنها أنه كان يكره الصلاة على النبي ﷺ وينهى عن ذكرها ليلة الجمعة وعن الجهر بها على المنابر ويعاقب من يفعل ذلك عقابا شديدا حتى إنه قتل رجلا أعمى مذؤناً لم ينته عما أمره بتركه من ذكر الصلاة على النبي ﷺ بعد الأذان ويلبس على اتباعه قائلا إن ذلك محافظة على التوحيد

(فالجواب أن نقول) أما النهى عن الصلاة على النبي ﷺ بأى لفظ كان فلم ينه عنه بل هو من الكذب والبهتان .

وأما الجهر بالصلاة على النبي ﷺ بعد الاذان وعلى المنابر يوم الجمعة غير الامام الذى يخطب فهو بدعة محدثة وإزالة المنكر والبدعة وتغييرها واجب بدلائل الاحاديث الصحيحة فان ذلك لم يكن على عهد الصحابة رضى الله عنهم ولا التابعين وقد قال ﷺ فى الحديث الصيح « من أحدث فى أمرنا هذا ماليس منه فهو رد » وفى لفظ « من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد » .

(وأما قوله) وكان قد احرق كثيراً من كتب الصلاة على النبي ﷺ كدلائل الخيرات وغيرها .

(فالجواب أن نقول) أما مسألة منع الناس من قراءة دلائل الخيرات فقد أجاب عنها الشيخ محمد بن عبد الوهاب فى رسالته التى كتبها الى عبد الرحمن ابن عبد الله حيث قال : وأما دلائل الخيرات فله سبب وذلك انى أشرت على من قبل نصيحتى من اخوانى أن لا يصير فى قلبه أجل من كتاب الله ويظن أن القراءة فيه أجل من قراءة القرآن وأما احراقه والنهى عن الصلاة على النبي ﷺ بأى لفظ كان فهذا من البهتان اه .

(وأما قوله) وكذلك احرق كثيراً من كتب الفقه والتفسير والحديث مما هو مخالف لأباطيله وكان يأذن لكل من اتبعه أن يفسر القرآن بحسب فهمه فأقول وهذا كله من الكذب والبهتان والزور والعدوان وقد قال الشيخ

ملا عمران نزيل لنجة فى رد مفتريات بعض هؤلاء الوضاعين فيما افتروه على الشيخ من الأكاذيب فأحببت أن اذكرها لاشتمالها على بعض ما ذكره هذا العراقى قال رحمه الله تعالى

جاءت قصيدتهم تروح وتغتدى ... فى سب دين الهاشمى محمد
قد زخرفوها للعوام بقولهم ... ان الكتاب هو الهدى فبه اقتد
لو أن ناظمها تمسك بالذى ... قد قال فيها أولا اذ يبتدى
بهدى ووفق ثم حاز سعادة ... لا شك فيها عند كل موحد
لكنه قد زاغ عما قاله ... متأولا فيه بتأويل رد
فأتت كشهد فيه سم ناقع ... من ذاق منه فنى الهلاك المبعد
اذ شبه الشيخ الامام المهتدى ... بأخى مسيلمة الكفور المعتدى
فهو الذى ان مات معتقداً بذا ... ياويله ماذا يلاقى فى غد
ماذا يجيب وما يقول ومن له ... يوم القيامة وهو خصم محمد
قد شبه التوحيد بالكفر الذى ... شهد الكتاب وسنة احمد
الشيخ شاهد بعض أهل جهالة ... يدعون أصحاب القبور الهمد
تاجاً وشمسان ومن ضاهاهما ... من قبة أو تربة أو مشهد
يرجون منهم قربة وشفاعة ... ويؤملون كذاك أخذاً باليد
ورأوا لعباد القبور تقرباً ... بالنذر والذبح الشنيع المفسد
ما أنكر القراء والأشياخ ما ... شهدوا من الفعل الذى لم يحمد
بل جوزوه وشاركوا فى أكله ... من كان يذبح للقبور ويفتدى
فأتاهم الشيخ المشار اليه بالنصح المبين وبالكلام الجيد
يدعوهمو لله أن لا تعبدوا ... الا المهيمن ذا الجلال السرمد
لاتشركوا ملكا ولا من مرسل ... كلا ولا من صالح أو سيد
فتنافروا عنه وقالوا : ليس ذا ... الا عجيب عندنا لم يعهد
ماقاله آباؤنا أيضا ولا ... أجدادنا أهل الحجى والسؤدد

انا وجدنا جلة الآبا على هذا فنحن بما وجدنا نقتدى
فالشيخ لما ان رأى ذا الشأن من أهل الزمان اشتد غير مقلد
ناداهمو يا قوم كيف جعلتموا لله أنداداً بغير تعدد
قالوا له : بل ان قلبك مظلم لم تعتقد فى صالح متعبد
قد عيروه بأنه قد كان فى وادى حنيفة دار من لم يسعد
قلنا لهم ماضر مصر بأنها كانت لفرعون الشقى الأطرد
ان النماردة الفراعنة الأولى كانوا بأرض الله أهل تمرد
ذا قال : أنا رب وذا متنبىء هم فى بلاد الله أهل تردد
يمنا وشاما والعراق ومصرها من كل طاغ فى البرية مفسد
فبموتهم طابت وطار غبارها وزهت بتوحيد الاله المفرد
ان المواطن لم تشرف ساكنا فيها ولا تهديه ان لم يهتد
من كان لله الكريم موحداً لو مات فى جوف الكنيف المطرد
وبعكسه من كان يشرك فهو لم يفلح ولو قد مات وسط المسجد
خرج النبى المصطفى من مكة وبقى أبو جهل الذى لم يهتد
ان الاماكن لا تقدس أهلها ان لم يكونوا قائمين على الهد
لو أنصفوا لرأوا له فضلا على اظهار ما قد ضيعوه من اليد
ودعوا له بالخير بعد مماته ليكافئوه على وفاق المرشد
لكنهم قد عاندوا وتكبروا ومشوا على منهاج قوم حسد
ورموه بالبهتان والافك الذى هم يعملون به ومنهم يبتد
كمقالهم هو للتابع قاطع بدخول جنات وحور خرّد
حاشا وكلا ليس هذا شأنه بل انه يرجو بها لموحد
قالوا له : أشقى الورى مع كونه ينهى عن الأنداد للمتفرد
قالوا له : يا سالكا طرق الردى لمَ لا تسير على الطريق الأرشد
وهمو يرون الشمس ظاهرة لهم لكن أعمى القلب ليس بمهتد
قالوا له : يا كافرا يا فاجرا ما ضره قول العداة الحسد

قالت قريش قبلهم للمصطفى ذا ساحر ذا كاهن ذا معتد
قد أتهموه بأنه يغتال فى تأذينه ليجىء أهل المسجد
فاذا أتوا قتلوا بغير جناية تالله هذا إفك أفاك رد
قالوا يعم المسلمين جميعهم بالكفر . قلنا : ليس ذا بمؤكد
بل كل من جعل العديل لربه ونهى قصد فذاك كالمتهود
قالوا له : غشاش أمة أحمد وهو النصيح بكل وجه يبتدي
هل قال : الا وحدوا رب السما وذروا عبادة ما سوى المتفرد
وتمسكوا بالسنة البيضا ولا تتنطعوا بزيادة وتردد
هذا الذى جعلوه غشا وهو قد نطقت به الرسل الكرام لمن هدى
من عهد آدم ثم نوح هكذا تترى إلى عهد النبى محمد
وكذلك الخلفاء بعد نبيهم والتابعون وكل حبر مهتد
منهاجهم هذا عليه تمسكوا من كان مستنا بهم فليقد
عجبا لمن يتلوا الكتاب ويدعى علم الحديث مسلسلا فى المسند
ويقول للتوحيد غشا ان ذا خطر على من قال فلتشهد
ويجدد الاسلام والايمان معتقداً بأن الشيخ خير مجدد
ماذنبه فى الناس إلا أنه هد القباب وتلك سيرة أحمد
ماصح عهد ثقيف لما عاهدوا إلا بهدم اللات لو لم يعبد
ما اللات إلا كان عبدا صالحا لتّ السويق لطائف متعبد
لما توفى عظموا لضريحه كصنيع عباد القبور النكد
اذ كان حياً قادرا قاموا باطعام له وبكسوة وتفقد
وإذا توارى عنهموا فى قبره جعلوه ندا للاله السيد
ولقد رأى الفاروق يوما قبة نصبت على قبر تشد بأعمد
فأشار نحوها دعوه يظله عمل له ان لم يكن عمل ردى
وحديث أبى الهياج فيه كفاية لذوى البصائر والعقول النقد
فى طمس تمثال وقبر مشرف جاء الحديث به الصحيح لمسند

لما نفى الاطراء منهم والغلو ... قالوا أتيت بذا الجفاء المبعد
لو كان حبك للنبي محققا ... لفعلت فعلتنا لعلك تهتدى
أما الدلائل فهو لم يذكر بها ... صلوات أزكى العالمين الأمجد
إلا التظاهر بالغلو وجعلها ... درساً يكرر فى كتاب مفرد
فترى لهم حرصاً على تجويدها ... خطاً وتزويقاً وحسن مجلد
لا يعتنون بمصحف لهمو كما ... هم يعتنون براتب وبمولد
فلو اعتنى رب الدلائل بالذى ... يأتى عقيب تشهد المتشهد
لكفاه كل مؤونة وتكلف ... ومشى على النهج القويم الارشد
سأل النبى من الصحابة سائل ... كيف الصلاة عليك كالمسترشد
فأجاب يرشده بما قد جاء فى ... قول المصلى دبر كل تشهد
لوحت فيه ولم أصرح حيث لم ... يدخل على وزن القريض المنشد
هذا الكلام على الدلائل ليس ما ... قد قاله من شذ عن ذا المقصد
وكذاك فى روض الرياحين الذى ... فيها الغلو بصالح وبسيد
والله قد ذم الغلو فقال يا ... أهل الكتاب بغلظة وتهدد
اذ قال لا تغلو بنهى لازم ... فى دينكم فالحكم لم يتردد
وكذا الرسول نهى وأخبر أنه ... فيه الهلاك لراهب متعبد
عجبا لهم لو كان فيهم منصف ... لرأى المحب محمداً لمحمد
من حيث أن الاتباع مقارن ... للحب فى نص الكتاب الأمجد
قالوا : صبأتم نحوه ، قلنا لهم : ... الحق شمس للبصير المهتدى
ما بيننا نسب نميل به ولا ... حسب يقربنا له بتودد
أيضاً ولا هو جارنا الادنى الذى ... نمتار نعمته ولم نسترفد
لكنها شمس الظهيرة قد بدت ... لذوى البصائر فاهتدى من يهتدى
فالعالمون العاملون المنصفو ... ن له أقروا بالفضائل واليد
لكن قليل منهمو فى عصرنا ... كالشعرة البيضا بجلد اسود
والله قد ذم الكثير وقال فى ... حق القليل مقالة لم تجحد

بسباوص فاتلها متدبرا تلق الصحيح بها نخذه تهتد
فان اعتراكم فى الذى قد قاله شك وريب واختلاف يبتدى
فزنوا بميزان الشريعة قوله تجدوه حقاً ظاهراً للمقتدى
ولئن وجدتم فاسقا أو جافيا أو جاهلا فى العلم كالمتردد
قد زل يوما أو هفا لا تنسبوا هفواته لجناب ذاك المرشد
فالآل والاصحاب ماذا ضرهم من بعدهم تكدير صافى المورد
من بعد ذاك الاجتماع على الهدى ظهروا ذوى فرق وأهل تبدد
ماذا يضر السحب نبح الكلب أم ماذا يضر الصحب سب الملحد
ثم الصلاة على النبى محمد أزكى الورى أصلا وأطيب محتد
والآل والاصحاب جمعاً كلما قد ذب عن ذا الدين كل موحد

فصل

قال العراقى :

تمسك ابن عبد الوهاب فى تكفير الناس بآيات نزلت فى المشركين فحملها على الموحدين

(الجواب أن يقال) هذا كذب بحت فانه لا يكفر رحمه الله أهل التوحيد ولا يحمل الآيات النازلة فى المشركين على الموحدين ، وإنما يكفر من أشرك بالله فى عبادته واتخذ معبودا سواه ، مع أن هذا المعترض لم يذكر الآيات التى زعم أن الشيخ رحمه الله تمسك بها فى تكفير الناس حتى ننظر هل كان محقا فى ذلك القول أو مبطلا ضالا ؟ ويقال أيضاً : ان منع تنزيل القرآن وما دل عليه من الاحكام على الاشخاص والحوادث التى تدخل تحت العموم اللفظى فهو من أضل الخلق وأجهلهم بما عليه أهل الاسلام وعلماؤهم قرنا بعد قرن ، وجيلا بعد جيل ، ومن أعظم الناس تعطيلا للقرآن وهجرا له وعزلا له عن الاستدلال به فى موارد النزاع ، وقد قال تعالى (فان تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول) الآية . والرد إلى هو الرد الى كتابه ، والرد الى الرسول رد الى سنته ، وقد

قال تعالى (وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله) وقد قال تعالى (لأنذركم به ومن بلغ) فنصوصه وأحكامه عامة لا خاصة بخصوص السبب ، وما المانع من تكفير من فعل كما فعلت اليهود من الصد عن سبيل الله والكفر به مع معرفته وهذا العراقى لا يبدى قولة فى اعتراضه وتلبيسه الا هى أكبر من أختها فى الجهالة والضلالة ولو كان يعرف الكتاب العزيز وما دل عليه من الأحكام والاعتبار لأحجم عن هذه العبارات التى لا يقولها الا أفلس الخلق من العلم والايمان

(وأما قوله) وروى البخارى فى صحيحة عن عبد الله بن عمر رضى الله عنه فى وصف الخوارج انهم انطلقوا الى آيات نزلت فى الكفار فجعلوها فى المؤمنين وفى رواية أخرى عن ابن عمر انه ﷺ قال « أخوف ما أخاف على أمتى رجل متأول للقرآن يضعه فى غير موضعه » فهـــذا وما قبله صادق على ابن عبد الوهاب وأتباعه

(فالجواب أن يقال) هذا الوصف هو المنطبق عليك وعلى من نحا نحوك من أهل الضلال حيث زعمت ان كتاب الله وسنة رسوله ظواهر ظنية لا تعارض اليقينيات فتأول إما إجمالا ويفوض أمرها الى الله وإما تفصيلا كما هو رأى الكثيرين فالذى يتأول القرآن ويضعه فى غير موضعه ويصرفه عن القول الراجح الى القول المرجوح بالتحكم والهوى — لان كتاب الله وسنة رسوله عندكم أدلتهما ظنية لا تعارض نتائج عقول الفلاسفة وورثة المجوس والصائبة وطواغيت اليونان ومن أخذ بأقوالهم من المتكلمين بل قد صرحت أن العقل يقدم على النقل — فمن قدم معقول هؤلاء على كتاب الله وسنة رسوله فقد خرج من الدين وفارق جماعة المسلمين وأما ابن عبد الوهاب فهو وأتباعه لا يتأولون القران ولا يضعونه فى غير موضعه بل يعملون بمحكمه ويؤمنون بمتشابهه ولا يتأولون ماتشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله كما تفعلون أنتم فى تأويل آيات الصفات وأحاديثها وحاصل مقصود هذا العراقى ونقله تشبيه أهل الاسلام والتوحيد بالخوارج فى تكفيرهم من عبد الانبياء والأولياء والصالحين ودعاهم مع الله — لان عباد القبور عنده هم أهل التوحيد وأهل الاسلام — من جنس الخوارج

الذين يكفرون أهل القبلة ، هذا حاصل كلامه ومضمون خطابه وهذا داء قديم فى أهل الشرك والتعطيل ، مَن كفرهم بعبادة غير الله وتعطيل أوصافه وحقائق أسمائه قالوا له أنت مثل الخوارج يكفرون بالذنوب ويأخذون بظواهر الآيات ومعلوم أن الذنوب تتفاوت وتختلف بحسب منافاتها لأصل الحكمة المقصودة بايجاد العالم وخلق الجن والانس وبحسب ما يترتب عليها من هضم حقوق الربوبية وتنقص رتبة الالهية وقد كفر الله ورسوله ﷺ بكثير من جنس الذنوب كالشرك وعبادة الصالحين وأخبر انه أكبر الكبائر كما فى الصحيحين من حديث ابن مسعود رضى الله عنه قال قلت يا رسول الله أى الذنوب أعظم ؟ قال « أن تجعل لله نداً وهو خلقك » قال قلت ثم أى ؟ قال « ان تقتل ولدك خشية أن يطعم معك » قال قلت ثم أى ؟ قال « ان تزانى حليلة جارك » فانزل الله تعالى (والذين لايدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله إلا بالحق ولا يزنون) الآية فمن انكر التكفير جملة فهو محجوج بالكتاب والسنة ومن فرق بين ما فرق الله ورسوله من الذنوب ودان بحكم الكتاب والسنة وإجماع الأمة فى الفرق بين الذنوب والكفر فقد أنصف ووافق أهل السنة والجماعة ونحن لم نكفر أحداً بذنب دون الشرك الأكبر الذى اجمعت الأمة على كفر فاعله إذا قامت عليه الحجة وقد حكى الاجماع على ذلك غير واحد كما حكاه فى الاعلام لابن حجر الشافعى

وأما قوله ويظهر من أقواله وأفعاله أنه كان يدعى أن ما أتى به دين جديد

فالجواب أن نقول بل الذى يظهر من أفعاله وأقواله خلاف ما يزعمه هؤلاء الضلال فانه كان رحمه الله على الدين العتيق الذى كان عليه السلف الصالح والصدر الأول من الدعوة الى دين الله كما قال رحمه الله فى رسالته الى عبد الله بن محمد ابن عبد اللطيف الاحسائى قال : واما ماذكرتم عنى فانى لم آته بجهالة بل أقول ولله الحمد والمنة وبه القوة اننى هدانى ربى الى صراط مستقيم دينا قيما ملة ابراهيم حنيفاً وما كان من المشركين ولست ولله الحمد ادعو الى مذهب صوفى أو فقيه أو متكلم أو امام من الأئمة الذين أعظمهم مثل

ابن القيم والذهبي او ابن كثير أو غيرهم بل ادعو الى الله وحده لاشريك له وادعو الى الله سنة رسول الله ﷺ التى وصى بها أول أمته وآخرهم وأرجو انى لا أرد الحق اذا أتانى بل أشهد الله وملائكته وجميع خلقه إن أتانى منكم كلمة من الحق لأقبلنها على الرأس والعين ولأضربن الجدار بكل ماخالفها من أقوال أئمتى حاشا رسول الله ﷺ فانه لا يقول الا الحق اه فهذا نص كلامه رحمه الله كما ترى لم يقل فيه ولا فى غيره من كلامه ان ما أدعوكم اليه دين جديد بل كان رحمه الله يجدد ما اندرس من معالم الدين العتيق ويوطد أساس الملة المحمدية التى انطمست أعلامها وأقوت رسومها كما قال الامير محمد بن اسمعيل الصنعانى رحمه الله فى أبيات له قال فيها :

قفى واسألى عن عالم حل سوحها ... به يهتدى من ضل عن منهج الرشد
محمد الهادى لسنة أحمد ... فياحبذا الهادى وياحبذا المهدى
لقد أنكرت كل الطوائف قوله ... بلا صدر فى الحق منهم ولا ورد
وما كل قول بالقبول مقابل ... ولا كل قول واجب الرد والطرد
سوى ما أتى عن ربنا ورسوله ... فذلك قول جل ياذا عن الرد
وأما أقاويل الرجال فانها ... تدور على قدر الأدلة فى النقد
وقد جاءت الأخبار عنه بأنه ... يعيد لنا الشرع الشريف بما يبدى
وينشر جهراً ماطوى كل جاهل ... ومبتدع منه فوافق ماعندى
ويعمر أركان الشريعة هادما ... مشاهد ضل الناس فيها عن الرشد
اعادوا بها معنى سواع ومثله ... يغوث وود بئس ذلك من ود
وقد هتفوا عند الشدائد باسمها ... كما يهتف المضطر بالصمد الفرد
وكم عقروا فى سوحها من عقيرة ... أهلت لغير الله جهراً على عمد
وكم طائف حول القبور مقبل ... ومستلم الأركان منهن باليد

وقال الشيخ الامام عالم الأحساء أبو بكر حسين بن غنام رحمه الله تعالى فى أبيات له

لقد رفع المولى به رتبة الهدى ... بوقت به يعلى الضلال ويرفع

سقاه نمير الفهم مولاه فارتوى وعاد بتيار المعارف يقطع
فأحيا به التوحيد بعد اندراسه وأوهى به من مطلع الشرك مهيع
سما ذروة المجد التى ما ارتقى لها سواه ولا حاذى فناها سميدع
وشمر فى منهاج سنة أحمد يشيد ويحيى ما تعفى ويرفع
يناظر بالآيات والسنة التى أمرنا اليها فى التنازع نرجع
فاضحت به السمحاء يبسم ثغرها وأمسى محياها يضىء ويلمع
وعاد به نهج الغواية طامسا وقد كان مسلوكا به الناس تربع
وجرت به نجد ذيول افتخارها وحق لها بالالمعىّ ترفع
فآثاره فيها سوام سوافر وأنواره فيها تضىء وتسطع

وبهذا يظهر لكل ذى عقل سليم ، ودين مستقيم ، انه لم يكن يدعو الى دين جديد كما يزعمه هؤلاء المارقون عن دين الاسلام

وأما قوله ولذلك لم يقبل من دين النبى ﷺ إلا القرآن وقبوله إياه انما كان ظاهراً

فالجواب أن نقول وهذا أيضاً من نمط ما قبله من المفتريات ، ورعونات الخزعبلات والخرافات

وأما قوله : والدليل على ذلك انه هو واتباعه كانوا يأولون القرآن بحسب اهوائهم لا بحسب مافسره النبى ﷺ واصحابه ، والسلف الصالح ، وأئمة التفسير ، وما كان يقول بأحاديث النبى ﷺ ، وأقاويل الصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين ، ولا بما استنبطه الأئمة من الكتاب والسنة ولا يأخذ بالاجماع ولا القياس الصحيح ، وكان يدعى الانتساب إلى مذهب الامام احمد كذباً وتستراً ، وقد رد عليه أضاليله كثير من علماء الحنابلة وألفوا فى ذلك رسائل عديدة حتى اخوه سليمان بن عبد الوهاب ألف رسالة فى الرد عليه كما ذكرناه . وكان يقول لعماله اجتهدوا بحسب نظركم واحكموا بما ترونه مناسباً للدين ، ولا تلتفتوا لهذه الكتب المتداولة ، فان فيها الحق والباطل وقتل كثيراً من العلماء والصالحين لانهم لم يوافقوه على ما ابتدعه

فالجواب أن نقول : قد اجاب عن هذه الاكاذيب والمفتريات الشيخ عبد الله بن الشيخ محمدبن عبدالوهاب فقال رحمه الله : وأما ما يكذب علينا ستراً للحق ، وتلبيساً على الخلق بأنا نفسر القرآن برأينا ، ونأخذ من الحديث ماوافق فهمنا من دون مراجعة شرح ، ولا نعول على شيخ ، وانا نضع من رتبة نبينا محمد ﷺ بقولنا النبي رمة في قبره ، وعصا أحدنا انفع منه ، وليس له شفاعة ، وان زيارته غيرمندوبة ، وانه كان لايعرف معنى لاإله الا الله حتى انزل عليه ، (فاعلم انه لا إله الا الله) مع كون الآية مدنية ، وانا لانعتمد أقواله ، وتلف مؤلفات أهل المذاهب لكون فيها الحق والباطل ، وانا مجسمة ، وانا نكفر الناس على الاطلاق من بعد الستمائة الا من هو على ما نحن عليه . ومن فروع ذلك إنا لانقبل بيعة احد حتى نقرر عليه بأنه كان مشركا ، وان ابويه ماتا على الاشراك بالله ، وانا ننهى عن الصلاة على النبي ﷺ ، ونحرم زيارة القبور المشروعة مطلقاً ، وانا لا نرى حقاً لأهل البيت ، وانا نجبرهم على تزويج غير الكفء لهم ، وانا نجبر بعض الشيوخ على فراق زوجته الشابة لتنكح شابا اذا ترافعوا الينا ولا وجه لذلك ، فجميع هذه الخرافات واشباهها لما استفهمنا عنها من ذكرنا جوابنا عليه في كل مسألة سبحانك هذا بهتان عظيم . فمن روى عنا شيئاً من ذلك ونسبه الينا فقد كذب علينا وافترى ، ومن شاهد حالنا وحضر مجلسنا وتحقق ما عندنا علم قطعاً أن جميع ذلك وضعه علينا ، وافتراه أعداء الدين واخوان الشياطين تنفيراً للناس عن الاذعان لاخلاص التوحيد لله تعالى بالعبادة وترك أنواع الشرك الذى نص الله على انه لا يغفره ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء .

فهذا واشباهه مما تقدم ذكره عن هذا العراقي وأمثاله من الكذب على شيخ الاسلام وعلم الهداة الاعلام لايعتمد عليه ويصدقه في ذلك إلا ضال مضل .

فصل

قال العراقى : قال العلامة السيد العلوى الحداد إن المحقق عندنا من اقواله وأفعاله ما يوجب خروجه عن القواعد الاسلامية لما انه استحل أموراً مجمعاً على تحريمها معلومة من الدين بالضرورة بلا تأويل سائغ ، وهو مع ذلك ينتقص الأنبياء والمرسلين ، والأولياء والصالحين ، وانتقاصهم عمداً كفر بالاجماع عند الأئمة الأربعة .

والجواب أن يقال هذا كله كذب وافتراء . وهذا الرجل المسمى بالحداد ليس هو من العلماء المشهورين بالعلم والدين والصلاح ، بل كان من الغالين فى الانبياء والمرسلين ، والأولياء والصالحين ، لأنه زعم ان من أمر بتوحيد الله بالعبادة واخلاصها لله وحده دون من سواه ، فقد تنقص الأنبياء والأولياء والصالحين ، وقد كان من المعلوم بالضرورة من دين الاسلام أن من صرف لغير الله شيئاً منها كان مشركا سواء كان ذلك الغير من الأنبياء والصالحين ، فلو كان هذا عالماً ، أو كان يعرف قواعد الاسلام ومبانيه العظام مافاه بمثل هذه الورطات وبهرج بهذه الخرافات ، بل هذا يدل على جهله وعدم معرفته وعلمه . ومن كان هذا حاله وهذه أقواله فلا يعول عليه ، ولا يلتفت اليه ، ولا يعتمد على قوله ونقله إلا اشباه الانعام السائمة ، فلو ذكر عدو الله شيئاً مما نسبه الى الشيخ مما يوجب خروجه عن القواعد الاسلامية لبينا بطلان قوله ولكنه عدل الى هذه المخرقة السامجة ؟

فصل

قال العراقى : ثم انه صنف لابن سعود رسالة سماها كشف الشبهات عن خالق الارض والسموات كفر فيها جميع المسلمين وزعم أن الناس كفار منذ ستمائة سنة ، وحمل الآيات التى نزلت فى الكفار من قريش على أتقياء الأمة ،

واتخذ ابن سعود ما يقوله وسيلة لاتساع الملك وانقياد الأعراب له ، فصار ابن عبد الوهاب يدعو الناس الى الدين ، ويثبت فى قلوبهم أن جميع من هو تحت السماء مشرك بلا مراء ، ومن قتل مشركا فقد وجبت له الجنة ، وكان ابن سعود يمتثل كل ما يأمر به ! فاذا أمره بقتل انسان أو أخذ ماله سارع الى ذلك وكان ابن عبد الوهاب فى قومه كالنبي فى أمته لا يتركون شيئاً مما يقوله ، ولا يفعلون شيئاً الا بأمره ، ويعظمونه غاية التعظيم ، ويبجلونه غاية التبجيل ، وما زالت أحياء العرب وقبائلها تطيعه حتى اتسع بذلك ملك ابن سعود وملك أولاده بعده ، وحارب الشريف غالباً رحمه الله خمس عشرة سنة حتى عجز عن حربه ، ولم يبق أحد الا صار من حزبه ، ودخل مكة بالصلح سنة ألف ومائتين وعشرين ، واستمر فيها سبع سنين الى أن جهزت الدولة العلية عساكرها المنصورة عليه ، ووجهت الأمر الى وزيرها المفخم محمد على باشا صاحب مصر فأتاه بجيوش باسلة ، وطهر الأرض منه ومن أتباعه ، ثم جهز ابنه ابراهيم باشا فوصل بجيوشه الى الدرعية سنة ألف ومائتين وثلاث وثلاثين فافنى وأباد من بقي منهم .

والجواب أن نقول : نعم صنف الشيخ رحمه الله تعالى كشف الشبهات ، وذكر الأدلة من الكتاب والسنة على بطلان ما أورده أعداء الله ورسوله من الشبهات فأدحض حججهم ، وبين تهافتهم ، وكان كتاباً عظيم النفع على صغر حجمه ، جليل القدر ، انقمع به أعداء الله ، وانتفع به أولياء الله ، فصار علماً يقتدى به الموحدون ، وسلسبيلا يرده المهتدون ، ومن كوثره يشربون ، وبه على أعداء الله يصولون ، فلله ما أنفعه من كتاب ، وما أوضح حججه من خطاب ، لكن لمن كان ذا قلب سليم ، وعقل راجح مستقيم .

وأما قوله (عن خالق الأرض والسموات) فأقول لم أسمع بهذه الكلمة الا عن هذا العراقى ، وأما قوله كفر فيها جميع المسلمين .

فأقول حاشا وكلا ما كفر فيها مسلماً ، وانما كفر من أشرك بالله وعدل به أحداً سواه .

وأما قوله : وزعم أن الناس كفار منذ ستمائة سنة فأقول هذا كذب لم يثبت عنه هذا اللفظ فى هـذه الرسالة ولا فى غيرها ، بل قد أجاب عن هذه المسألة وغيرها فى رسالته لعدو الله عبد الله بن سحيم حيث قال فالمسائل التى شنع بهـا منها ما هو من البهتان الظاهر وهى قوله انى مبطل كتب المذاهب ، وقوله : انى أقول ان الناس من ستمائة سنة ليسوا على شىء ، وقوله انى أقول أن اختلاف العلمـاء نقمـة ، وقوله انى أكفر من توسل بالصالحين ، وقوله انى أكفر البوصيرى لقوله يا أكرم الخلق الخ .

وقوله انى أقول لو أقدر على هـدم حجرة الرسول لهدمتها ولو أقدر على الكعبة لأخذت ميزابها وجعلت لها ميزاباً من خشب وقوله انى أنكر زيارة قبر النبى ﷺ وقوله انى أنكر زيارة قبر الوالدين وغيرهم وانى أكفر من يحلف بغير الله فهذه اثنا عشرة مسألة جوابى فيها أن أقول سبحانك هذا بهتان عظيم ولكن قبله من بهت محمداً ﷺ انه يسب عيسى ابن مريم ويسب الصالحين تشابهت قلوبهم وبهتوه بأنه يزعم أن الملائكة وعيسى وعزير فى النار فأنزل الله فى ذلك (ان الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون) .

وأما قوله وحمل الآيات التى نزلت فى الكفار من قريش على أتقياء الامة فقد تقدم الجواب على هذه الدعوى الباطلة فيما تقدم وأما قوله وبث فى قلوبهم أن جميع من هو تحت السماء مشرك بلا مراء ومن قتل مشركاً فقد وجبت له الجنة فأقول هذا كذب وافتراء كما تقدم بيانه .

فصل

ثم ذكر العراقى محاربة آل سعود الشريف غالبا وعجزه عن مناوأتهم ودخولهم مكة بالصلح الى قوله ثم جهزت الدولة العلية الى آخره .

فأقول قد ذكرنا فيما تقـدم ما أوقع الله بمن عادى المسلمين من العقوبات وان أخر أمرهم صار الى تباب كما ذكره شيخنا رحمه الله فى المقامات ثم قال شيخنا رحمه الله تعالى « وأما الدولة التركية المصرية فابتلى الله بهم جميع المسلمين لما

ردوا حاج الشامى عن الحج بسبب أمور كانوا يفعلونها فى المشاعر فطلبوا منهم أن يتركوها وأن يقيموا الصلاة جماعة فما حصل منهم ذلك فردهم سعود رحمه الله تدبناً فغضبت تلك الدولة التركية وجرى عندهم أمور يطول عدها ولا فائدة فى ذكرها فأمروا محمد على صاحب مصر أن يسير اليهم بعسكره وبكل ما يقدر عليه من القوة والكيد فبلغ سعود ذلك فأمر ابنه عبد الله أن يسير لقتالهم وأمره أن ينزل دون المدينة فاجتمعت عساكر الحجاز على عثمان بن عبد الرحمن المضايفى وأهل بيته وقحطان وجميع العربان فنزلوا بالجديدة فاختار عبد الله ابن سعود القـــدوم عليهم والاجتماع بهم وذلك أن العسكر المصرى فى ينبع، فاجتمع المسلمون فى بلد حرب وحفروا فى مضيق الوادى خندقا وعبئوا الجموع وصار فى الخندق من المسلمين أهل نجد وصار عثمان ومن معه من أهل الحجاز فى الجبل فوق الخندق فحين نزل العسكر ارتدت خيولهم وعلموا أنه لا طريق لها الى المسلمين فأخذوا يضربون بالقبوس فدفع الله شر تلك القبوس الهائلة عن المسلمين ان رفعوها مرت ولا ضرت وان خفضوها اندفنت فى التراب فهذه عبرة وذلك أن أعظم ما معهم من الكيد أبطله الله فى الحال ثم مشوا على عثمان ومن معه فى الجبل فتركهم حتى قربوا منه فرموهم بما احتسبوهم به وما أعدوه لهم حين أقبلوا عليهم فما أخطأ لهم بندق فقتلوا العسكر قتلا ذريعا وهذه أيضا من العبر لان العسكر الذى جاءهم أكثر منهم باضعاف ومع كل واحد من الفرود والمزندات فما أصابوا رجلا من المسلمين وصار القتـــل فيهم وهذه أيضا عبرة عظيمة هذا كله وأنا أشاهده ثم مالوا الى الجانب الأيمن من الجبال بجميع عسكرهم من الرجال وأما الخيل فليس لها فيه مجال فانهزم كل من على الجبل من أهل بيشه وقحطان وسائر العربان إلا ما كان من حرب فلم يحضروا واشتدوا على المسلمين لما صاروا فى أعلى الجبل فصاروا يرامون المسلمين من فوقهم فحمى الوطيس آخر ذلك اليوم ثم من الغد فاستنصر أهل الاسلام ربهم الناصر لمن ينصره فلما قرب الزوال من اليوم الثانى نظرت فاذا برجلين قد أتيا فصعدا طرف ذلك الجبل فما سمعنا لهم بندقا ثارت إلا أن الله كسر ذلك البيرق ونحن ننظر فتتابعت الهزيمة

على جميع العسكر فولوا مدبرين وجنبوا الخيل والمطرح وقصدوا طريقهم الذى جاءوا معه فتبعهم المسلمون يقتلون ويسلبون هذا ونحن ننظر الى تلك الخيول قد حارت وخارت وظهر عليهم عسكر من الفرسان من جانب الخندق ومعهم بعض الرجال فولت تلك الخيول مدبرة فتبعتهم خيول المسلمين فى اثرهم وليس معهم زاد ولا مزاد فانظر الى هذا النصر العظيم من الإله الحق رب العباد لأن الله هزم تلك العساكر العظيمة برجلين فهـــذه ثلاث عبر لكن أين من يعتبر فأخذوا بعد ذلك مدة من السنين

ثم بعد ذلك سار طوسون كبير ذلك العسكر الذى هزمه الله فقصد المدينة فوراً وأمر سعود على عبد الله ومن معه من المسلمين أن ينهضوا لقتالهم فوجدوهم قد هجموا على المدينة ودخلوها وأخرجوا من كان بها من أهل نجد وعسير فحج المسلمون تلك السنة فأقبل ذلك العسكر ونزل رابغ ونزل المسلمون وادى فاطمة فخان لهم شريف مكة وضمهم اليه وجاءوا مع الخبيث على غفلة من المسلمين فعلم المسلمون أنهم لا مقام لهم مع ما جرى من الخيانة فرجعوا الى أوطانهم فخاف عثمان وهو بالطائف أن يكون الحرب منهم ومن الشريف عليه لما يعلم من شدة عداوتهم فخرج بأهله وترك لهم الطائف أيضا مخافة أن يجتمعوا على حربه وليس معه إلا القليل من عشيرته ولا يأمن أهل الطائف أيضاً فنزل المسلمون بتربه بعد ذلك نحواً من شهر ثم رجعوا حين أكلوا ما معهم من الزاد فجرى بعد ذلك وقعات بينهم وبين المسلمين ولا فائدة فى الاطالة بذكرها والمقصود أن استيلائهم على المدينة ومكة والطائف كان بأسباب قدرها الملك الغلاب

فيريك عزته ويبدى لطفه والعبد فى الغفلات عن ذا الشأن

وفيها من العبر أن الله ابطل كيد العدو وحمى الحوزة وعافى المسلمين من شرهم وصار المسلمون يغزونهم فيما قرب من المدينة ومكة فى نحو من ثلاث سنين أو أربع فتوفى الله سعود رحمه الله وهم غزاة على من كان معينا لهذا العسكر من البوادى فأخذوا وغنموا فبقى لهم من الولاية ما كانوا عليه أولا إلا ما كان من مكة والطائف وبعض الحجاز وبعد وفاة سعود رحمه الله تجهزوا

للجهاد على اختلاف كان من أولئك الاولاد فصار المسلمون جانبين جانباً مع عبد الله وجانبا مع فيصل اخيه فنزل الحناكية عبدالله ونزل فيصل تربة باختيار وأمر من أخيه له فوافق أن محمد على حج تلك السنة فواجه فيصل هناك فطلب منه أن يصالحه على الحرمين فأبى فيصل واغلظ له الجواب وفيما قال :

لا اصلح الله منا من يصالحكم حتى يصالح ذئب المعز راعيها

فأخذت محمد على العزة والانفة فصار الى بسل والظاهر أنه كان حريصا على الصلح فاستعجل فيصل بمن معه فساروا اليه فى بسل وقد استعد لحربهم خوفا مما جرى منهم فاقبلوا وهم فى منازلهم فصارت عليهم العساكر والخيول فولوا مدبرين لكن الله أعز المسلمين فحبس عنهم تلك الدول والخيول حتى وقفوا على التلول فسلم اكثر المسلمين من شرهم واستشهد منهم القليل ولا بد فى القتال من أن ينال المسلم أو ينال منه قال الله تعالى : (وتلك الايام نداولها بين الناس) الآيات وقال تعالى (وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير ، فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله) الى قوله (والله يحب الصابرين) الآيات

وقد قال هرقل لابى سفيان فما الحرب بينكم وبينه قال : سجال ، ينال منا وننال منه فهذه سنة الله فى العباد زيادة للمؤمنين فى الثواب وتغليظاً على الكافرين فى العقاب . وأما عبد الله فرجع بمن معه فلم يلق كيداً دون المدينة فتفكر فى حماية الله لهذه الطائفة مع كثرة من عاداهم وناوأهم ومع كثرة من أعان عليهم ممن ارتاب فى هذا الدين وكرهه وقبل الباطل وأحبه فما اكثر هؤلاء لكن الله قهرهم بالاسلام ففى هذا المقام عبرة وهو أن الله أعزهم وحفظهم من شر من عاداهم فلله الحمد والمنة

وبعد ذلك رجع محمد على الى مصر وبعث الشريف غالب الى اصطنبول وامر ابنه طوسون أن ينزل الحناكية دون المدينة وأمر العطاس أن يسعى بالصلح بينهم وبين عبد الله بن سعود ويركب له من مكة وأراد الله أن أهل الرس يخافون لانهم صاروا فى طرف العسكر فاستلحقوا لهم بجماعة من المغاربة وطوسون على الحناكية وصار فى أولاد سعود نوع من العجلة فى الأمور

فأمروا على الرعايا بالمسير الى الرس فنزلوا الرويضة فتحصن أهل الرس بمن عندهم فارجبت تلك العجلة ان استفزعوا أهل الرس أهل الخناكية فلما جاء الخبر باقبالهم نصرة لاهل الرس ارتحل المسلمون يلتمسون من أعانهم من حرب ما بينهم وبين المدينة فصادفوا خزنة العسكر فقتلوهم وأخذوا ما معهم فهذا مما يسره الله من النصر من غير قصد ولا دراية فرجع المسلمون الى عنيزة والعسكر نزلوا الشبيبية قريبا منهم ويسر الله للمسلمين سبباً آخر وذلك من توفيق الله ونصره وجهزوا جيشاً وخيلا فأغاروا على جانب العسكر فخرجوا عليهم فهزمهم الله وقتل المسلمون فيهم قتلاً كثيراً فألقى الله الرعب فى قلوبهم على كثرة من أعانهم وقوة اسبابهم وذلك من نصر الله لهذا الدين فرجعوا الى الرس خوفا من هجوم المسلمين عليهم فتبعهم المسلمون ونزلوا الحجناوى فقدم العطاس على الامر الذى عمده عليه محمد على فوجـــد الحال قد تغير ابتداء فمنعوه مما جاء له ثم إنهم سعوا فى الصلح والمسلمون على الحجناوى وكل يوم يجرى بين الخيل طرات فمل اكثر المسلمين من الاقامة فلم يبق منهم إلا شرذمة قليلة فجاء منهم اناس يطلبون الصلح فاصلحهم عبد الله رحمه الله تعالى وطلبوا منه ان يبعث معهم رجلا من أهل بيته خوفا أن يعرض لهم أحد من المسلمين فى طريقهم فمشى معهم محمد بن حسن بن مشارى الى المدينة

والمقصود أن الله سبحانه أذلهم وألقى الرعب فى قلوبهم وحفظ المسلمين من شرهم بل غنمهم مما بأيديهم من حيث بذلهم المال بشرائهم الهجن فاشتروا من المسلمين الذلول بضعفى ثمنها ـ إلى أن قال رحمه الله ـ فلو ساعد القدر وتم هذا الصلح لكان الحال غير الحال لكن ما أراده الله تعالى وقع على كل حال ، لكن جرى من عبد الله بن سعود رحمه الله تعالى ما أوجب نقض ذلك الصلح وهو أنه بعث عبد الله بن كثير لغامد وزهران بخطوط مضمونها أن يكونوا فى طرفه وفى أمره فبعثوا بها إلى محمد على فلم يرض بذلك وقال إنهم من جملة ما وقع عليهم الصلح فهذا هو سبب النقض وانشأ عسكراً مع ابراهيم باشا ونزل الخناكية ثم ذكر وقعة الماوية ثم قدومه الى الدرعية واخذ فى حصارها قدر

ثمانية أشهر وهو يضربهم بالقنابر والقبوس ثم انتهى الامر الى الصلح فاعطاهم العهد والميثاق على مافى البلد من رجل أو مال حتى الثمرة التى على النخل لكن لم يف لهم بما صالحهم عليه وغدر باناس منهم سليمان بن عبد الله وبعد هذا تشتت أهل البلد عنها وقطع النخل وهدم المساكن إلاالقليل وبعث بعبد الله بن سعود لمصر واتبعه عياله واخوانه وكبار آل الشيخ وبعدذلك حج فسلط الله على عسكره الفنا ولم يصل الى مصر الا القليل فلما وصل مصرحل بهم عقوبات أهل الاسلام فمشى على السودان ولا اظفره الله فرجع مريضاً ، ثم ان محمد على بعث ابنه اسماعيل وتمكن منهم بصلح فلما رأوا منه الخيانة بأخذ عبيد وجوارا حرقوه بالنار فى بيته ومن معه من العسكر ثم بعد ذلك بعث لهم دفتردار ولا حصل منهم شيئاً

« فأما عسكر الحجاز التى وصلت مصر قبل ابراهيم باشا حسين بك الذى صار فى مكة وعابدين بك الذى صار فى اليمن فسيرهم محمد على قبل هذا الحرب الى موره وجريد لما خرجوا على السلطان فاستمده السلطان على حربهم فأمده بهذين العسكرين فهلكوا عن آخرهم ولم يفلت منهم عين تطرف وذلك أن موره وجريد فى الاصل ولاية للسلطان فخرجوا عليه فهلك من عسكر السلطان والعساكر المصرية فى حربهم مالا يحصى وهذه عقوبة أجراها الله عليهم بسبب ما جرى منهم على أهل الاسلام حتى العرناووط فى جبلهم عصوا على السلطان قبل حادثة موره وجريد . وبعد هذا الامر اشتد الامر على السلطان وبعث يستنصر محمد على فبعث عسكراً كبيرهم قارىء على فهلكوا فى البحر قبل أن يصلوا ثم ان السلطان بعث نجيب أفندى لمحمد على يطلب منه أن يسير بنفسه فبعث اليه يعتذر بالمرض وأن ابراهيم باشا يقوم مقامه وقبل ذلك بعث حسين بك الذى سبا أهل نجد وقتل منهم البعض فى ثرمدا وفزع للسلطان قبل مسير ابراهيم باشا بعسكره الذى كان معه فى نجد وتبعه ابراهيم باشا يمده ونزلوا موره لحرب أهلها فأذلهم الله لهم فقتلوا فيهم قتلاً عظيماً

« فأما عسكر حسين بك فلم يقدم مصر منه الا صبى . وأما ابراهيم باشا

فاشترى نفسه منهم بالاموال فانظر الى هذه العقوبات العاجلة التى أوقعها الله على الآمر والمأمور واكثر الناس لا يدرى بهذه الامور . وهذا الذى ذكرناه فيه عبرة عظيمة وشاهد لأهل هذا الدين أن الله لما سلط عليهم عدوهم ونال منهم مانال صارت العاقبة السلامة والعاقية لمن ثبت على دينه واستقام على دين الاسلام

، ثم ان الله تعالى اوقع بعدوهم ماذكرنا واعظم لكن ذكرنا الواقع على سبيل الاختصار لقصد الاعتبار (فاعتبروا يا اولى الأبصار) . ثم ان الله اجرى على من اعانهم من أهل نجد ممن شك منهم فى هذا الدين واكثر الطعن على المسلمين أن الله تعالى أفناهم وهذه أيضا من العبر لم يبق أحد ممن اظهر شره وانكاره وعداوته للمسلمين الا وهو جل بالهلاك والذهاب » اه

ثم ذكر رحمه الله ظهور خالد واسماعيل وذلك بعد أن رد الله الكرة للمسلمين وجمعهم الله على تركى بن عبد الله ثم على ابنه فيصل وذكر رحمه الله ماجرى من تسلط العساكر المصرية على أهل هذه الدعوة المحمدية وما جرى من الملاحم العظيمة مما يطول عده وتمكنهم من فيصل وأخذهم له وارساله لمصر ثم صار فى هذه العساكر من الذهاب والعذاب والفساد لما أوقع الله الحرب بين السلطان ومحمد على وذلك من العقوبات ، ثم رد الله الكرة لأهل نجد وجمعهم الله بالامام فيصل فرجعوا كما كانوا أولا على ما كانوا عليه قبل حرب هؤلاء الدول

والمقصود بما ذكرنا الاعتبار بأن الله حفظ هذا الدين ومن تمسك به وأيدهم بالنصر على ضعفهم وقلتهم واوقع بأسه بهذه الدول على قوتهم وكثرتهم واسباب كيدهم ثم ان الله تعالى اهلك تلك الدول بما اجرى عليهم من حرب النصارى فى بلاد الروم فكل دولة مشت على نجد والحجاز لم يبق منهم اليوم عين تطرف وكانوا لا يحصى عددهم الا الله فهلكوا فى حرب النصارى فصارت العاقبة العافيه والظهور لمن جاهدهم فى الله من الموحدين فجمع الله لهم بعد تلك الحوادث العظيمة من النعم والعز والنصر مالا يخطر بالبال ولا يدور فى الخيال

ومن عجيب ما اتفق عليه لأهل الدعوة أن محمد بن سعود عفا الله عنه لما وفقه الله لقبول هذا الدين ابتدأ بعد تخلف الاسباب وعدم الناصر شمر فى نصرته ولم يبال بمن خالفه من قريب أو بعيد حتى ان بعض أناس ممن له قرابة به عذله عن هذا المقام الذى شمر اليه فلم يلتفت الى عذل عاذل ولا لوم لائم ولا رأى مرتاب بل جدّ فى نصرة هـذا الدين فملكه الله تعالى فى حياته كل من استولى عليه من القرى ثم بعد وفاته صار الأمر فى ذريته يسوسون الناس بهذا الدين ويجاهدون فيه كما جاهدوا فى الابتداء فزادت دولتهم وعظمت صولتهم على الناس بهـذا الدين الذى لا شك فيـه ولا التباس فصار الامر فى ذريته لاينازعهم فيه منازع ولا يدافعهم عنه مدافع وأعطاهم الله القبول والمهابة وجمع الله عليهم من أهل نجد وغيرهم ممن لا يمكن اجتماعهم على امام واحـد الا بهذا الدين وظهرت آثار الإسلام فى كثيرمن الأقاليم النجدية وغيرها مما تقدم ذكره وأصلح الله بهم ما أفسدت تلك الدول التى حاربتهم ودافعتهم عن هـذا الدين ليطفئوه فأبى الله ذلك وجعل لهم العز والظهور ، انتهى ماذكره الشيخ

والمقصود أن هذا العراقى ذكر ان الدولة المصرية أفنت المسلمين وأبادتهم ولم يبق منهم أحـد وقد أبقى الله وله الحمـد والمنة من آل سعود من أقام هـذا الدين وجاهد فيـه وأحيا ما اندرس من معالمه بعد تلك الدول ونسأل الله أن يديم ذلك وأن يجعلهم أئمة هدى وأن يوفقهم لما وفق له الخلفاء الراشدين الذين لهم التقدم فى نصرة هذا الدين والحمد لله رب العالمين .

فصل

قال العراقى : ومن قبائح ابن عبد الوهاب الشنيعة أنه منع الناس من زيارة قبر النبى ﷺ فبعد منعـه خرج أناس من الاحساء وزاروه ﷺ فلما رجعوا مروا على ابن عبد الوهاب فى الدرعية فأمر بحلق لحاهم واركبهم مقلوبين الى الاحساء .

(والجواب) أن هذا كذب وافتراء فان الشيخ قال فى جواب اثنى عشرة

مسألة منها انكاره زيارة قبر النبي ﷺ مانصه :

فهذه اثنتا عشرة مسألة جوابى فيها أن أقول (سبحانك هذا بهتان عظيم) وقد تقدم ذكرها . وأما كونه حلق لحا اناس من أهل الاحساء فهو من تصرف هذا العراقى فانه لم يذكرها إمام ضلالتهم أحمد بن زينى دحلان فى مفترياته وهم إنما يمشون على ما اقترحه لهم وافتراه (فبعداً للقوم الظالمين)

وأما قوله قد أخبر النبي ﷺ عن هؤلاء الخوارج فى أحاديث كثيرة فكانت من أعلام نبوته عليه الصلاة والسلام لأن فيها اخباراً بالغيب فمنها قوله عليه الصلاة والسلام « الفتنة من هنا » وأشار إلى المشرق وقوله ﷺ « يخرج اناس من قبل المشرق يقرؤون القرآن لايجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية لا يعودون فيه حتى يعود السهم الى فوقه - يعنى موضع الوتر - سيماهم التحليق » وفى رواية زيادة على ذلك « هم شر الخليقة طوبى لمن قتلهم أو قتلوه يدعون إلى كتاب الله وليسوا منه فى شىء » وقوله ﷺ « اللهم بارك لنا فى شامنا ، اللهم بارك لنا فى يمننا » قالوا : يارسول الله وفى نجدنا ؟ قال « هناك الزلازل والفتن وبها يطلع قرن الشيطان » . وقوله ﷺ « يخرج ناس من المشرق يقرؤون القرآن لايجاوز تراقيهم كلما قطع قرن نشأ قرن حتى يكون آخرهم المسيح الدجال سيماهم التحليق » وفى قوله ﷺ « سيماهم التحليق » تنصيص عن هؤلاء القوم الخارجين من المشرق التابعين لمحمد ابن عبد الوهاب فيما ابتدعه .

فالجواب أن يقال لقد - والله - أمكن الرامى من سواء الثغرة ، وعلى نفسها تجنى براقش . فان قوله ﷺ الفتنة هنا الفتنة هنا ، وأشار الى المشرق مراده مشرق المدينة وهو العراق كما يأتى ذلك فى الأحاديث وفى كلام أهل العلم .

فأما قوله : فمنها قوله ﷺ « الفتنة من هنا الفتنة من هنا ، وأشار إلى المشرق

أقول روى البخارى فى كتاب الفتن من حديث ابن عمر ولفظه هكذا عن سالم عن أبيه عن النبي ﷺ أنه قام الى جنب المنبر فقال « الفتنة هنا الفتنة هنا من حيث يطلع قرن الشيطان - أو قال - قرن الشمس » وفى رواية عنه أنه سمع رسول الله ﷺ وهو مستقبل المشرق يقول « الا ان الفتنة هاهنا من حيث

يطلع قرن الشيطان» وفى رواية عنه قال ذكر النبي ﷺ « اللهم بارك لنا فى شامنا اللهم بارك لنا فى يمننا » قالوا وفى نجدنا قال اللهم بارك لنا فى شامنا اللهم بارك لنا فى يمننا » قالوا وفى نجدنا فأظنه قال فى الثالثة « هناك الزلازل والفتن وبها يطلع قرن الشيطان » ولمسلم من رواية عكرمة بن عمار عن سالم سمعت ابن عمر يقول سمعت رسول الله ﷺ يشير بيـــده نحو المشرق ويقول « ها ان الفتنة هاهنا - ثلاثاً - حيث يطلع قرن الشيطان » وله من طريق حنظلة عن سالم مثله قال « ان الفتنة هاهنا ثلاثاً » وله من طريق فضيل بن غزوان سمعت سالم ابن عبد الله بن عمر يقول « يا أهل العراق ما أسألكم عن الصغيرة وأركبكم للكبيرة سمعت أبي يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول « ان الفتنة تجيء من ههنا وأومى بيده نحو المشرق من حيث يطلع قرن الشيطان » كذا فيه بالتثنية فتبين من هذا الحديث الصحيح أن المراد بالمشرق العراق ولا بدع فهو منبع كل فساد ومنشأ كل الحاد ، قال الخطابى : نجد من جهة المشرق ومن كان بالمدينة كان نجده بادية العراق ونواحيها فهى مشرق أهل المدينة ، واصل نجد ما ارتفع من الأرض وهو خلاف الغور فانه ما انخفض منها . وقال الحافظ فى الفتح : وقال غيره « كان أهل المشرق يومئذ أهل كفر فأخبر ﷺ أن الفتنة تكون من تلك الناحية فكان كما أخبر وأول الفتن كان من قبل المشرق فكان ذلك سبباً للفرقة بين المسلمين ، وذلك مما يحبـــه الشيطان ويفرح به وكذلك البدع نشأت من تلك الجهة » انتهى ، وقال القسطلانى انما أشار عليه الصلاة والسلام الى المشرق لأن أهله يومئذ أهل كفر فأخبر أن الفتنة تكون من تلك الناحية وكذا وقعت فكانت وقعة الجمل ووقعة صفين ثم ظهور الخوارج فى أرض نجد والعراق وما وراءها من المشرق وكان أصل ذلك وسببه قتل عثمان ابن عفان رضى الله عنه وهذا من أعلام نبوته ﷺ انتهى .

فتبين مما ذكره الشراح أن المراد من قوله من قبل المشرق أنه العراق ونواحيه لأن به كانت وقعة الجمل ووقعة صفين وهى لم تكن إلا فى ناحية العراق وخروج الخوارج انما كان من البصرة والكوفة فأين هذه الأماكن من

اليمامة لو كانوا يعلمون ولكن الأمر كما قيل * رمتني بدائها وانسلت * وقال الداودى : ان نجدا من ناحية العراق ذكر هذا الحافظ ابن حجر ، ويشهد له ما فى مسلم عن ابن غزوان سمعت سالم بن عبد الله سمعت ابن عمر يقول يا أهل العراق ما أسألكم عن الصغيرة وأركبكم للكبيرة سمعت رسول الله ﷺ يقول « إن الفتنة تجيء من ههنا وأومى بيده الى المشرق » فظهر أن هذا الحديث خاص لأهل العراق لأن النبي ﷺ فسر المراد بالاشارة الحسية وقد جاء صريحا فى الكبير للطبرانى النص على أنها العراق وقول ابن عمر وأهل اللغة وشهادة الحال كل هذا يعين المراد ومن المعلوم بالضرورة أن وقعة الجمل وصفين لم تكن بأرض اليمامة ولا كان خروج الخوارج على علىّ رضى الله عنه الا بجر وراء من جهة العراق ونواحيها .

وأما قوله فى الحديث الآخر يخرج ناس من قبل المشرق يقرؤون القرآن الخ

فأقول الحديث أخرجه البخارى فى كتاب التوحيد عن معبد بن سيرين عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال « يخرج ناس من قبل المشرق ويقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية لا يعودون فيه حتى يعود السهم الى فوقه » قيل ما سيماهم قال « التحليق - أو قال - التسبيد » وقد وقع مصداق ما أخبر به ﷺ من خروج هؤلاء المارقين على هذه الصفة التى أخبر بها رسول الله ﷺ وكان خروجهم من جهة العراق كما ذكره الشراح ، قال الحافظ فى الفتح فى آخر كتاب التوحيد تحت قوله ﷺ « يخرج ناس من قبل المشرق » تقدم فى كتاب الفتن أنهم الخوارج وبيان مبدأ أمرهم وماورد فيهم وكان ابتداء خروجهم فى العراق وهى من جهة المشرق بالنسبة الى مكة المشرفة انتهى . وأخرج البخارى عن بشير بن عمرو قال : قلت لسهل بن حنيف هل سمعت النبى ﷺ يقول فى الخوارج شيئاً ؟ قال : سمعته يقول : وأهوى بيده قبل العراق « يخرج منه قوم يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الاسلام مروق السهم من الرمية »

وأما قوله ﷺ « اللهم بارك لنا فى شامنا وفى يمننا » الحديث

فالجواب أن يقال وصف أهل اليمامة بهذا كذب على رسول الله ﷺ فانه لم يصف أهل نجد وأهل اليمامة بهذا ولا دخل فى وصفه من يؤمن بالله ورسوله منهم ولا من غيرهم بل الموصوف باجماع المسلمين هم الحرورية الخارجون على الذين قاتلهم علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه من أهل الكوفة والبصرة وما يليها من بنى يشكر ومن طى وتميم وغيرهم من قبائل العرب ودارهم ومسكنهم بالعراق ولا يختلف فى هذا ، ودولتهم وشوكتهم كانت هناك دون النهر ولذلك نسبوا اليه وقيل أهل النهروان وحروراء بلدة هناك نسبوا اليها فقيل الحرورية وبعض ألفاظ الحديث فى بعض الطرق دال على تلك الخصوصية كما وقع فى رواية البخارى عن أبى سعيد «يخرجون على حين فرقة من الناس» قال أبو سعيد شهدت لسمعته من النبى ﷺ وأشهد أن علياً قتلهم وأنا معه حين جىء بالرجل على النعت الذى نعته النبى ﷺ وفى رواية لمسلم عن أبى سعيد «تمرق مارقه عند فرقة من المسلمين يقتلها أولى الطائفتين بالحق» وكذلك الحديث الذى أورده العراقى (الزهاوى) من قوله ﷺ «يخرج من المشرق يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم كلما قطع قرن نشأ قرن حتى يكون آخرهم مع المسيح الدجال» قال بعض المحققين من أهل العلم فى رده شبه دحلان : لم أقف على هذا اللفظ ولكن أخرج معناه النسائى من حديث أبى برزة وأخرج ابن ماجه معناه من حديث ابن عمر ولفظه أن رسول الله ﷺ قال «ينشأ نشء يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم كلما خرج قرن قطع» قال ابن عمر حتى يخرج فى عراضهم الدجال وفى مجمع الزوائد عن عبد الله بن عمرو قال سمعت رسول الله ﷺ يقول «يخرج ناس من قبل المشرق يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم كلما قطع قرن نشأ قرن حتى يكون مع بقيتهم الدجال» رواه الطبرانى واسناده حسن . انتهى

وأما قوله : وفى قوله ﷺ «سيماهم التحليق» تنصيص على هؤلاء القوم الخارجين من المشرق التابعين لمحمد بن عبد الوهاب فيما ابتدعه لأنهم كانوا يأمرون من اتبعهم أن يحلق رأسه ، ولا يتركونه اذا تبعهم حتى يحلقوا رأسه ، ولم يقع مثل ذلك من إحدى الفرق الضالة التى مضت قبلهم ، وكان

ابن عبد الوهاب يأمر بحلق رؤوس النساء أيضاً من اتبعه ، وفى مرة أمر امرأة دخلت فى دينه أن تحلق رأسها فقالت له لو أمرت بحلق اللحى للرجال لساغ أن تأمر بحلق رؤوس النساء ، فان شعر الرأس للنساء بمنزلة اللحية للرجل فلم يجد لها جوابا

فالجواب أن نقول : قد تقدم أن التحليق من صفة الخوارج الذين يخرجون من العراق كما هو معروف مشهور فى الأحاديث وكلام العلماء .

وأما قوله إن الشيخ وأتباعه يأمرون من اتبعهم أن يحلق رأسه فهذا من الكذب والبهتان ، والظلم والعدوان

وأما حكايته عن المرأة التى زعم أن الشيخ أمرها بحلق رأسها فمن الخرافات والمجونات التى لا يستجيز صبيان المكاتب حكايتها ، ولا يحكيها إلا هؤلاء الذين سلب الله عقولهم ، وأنطقهم بما يضحك منه المجاذيب الذين لا يعقلون

وأما قوله ولم يقع مثل ذلك من إحدى الفرق الضالة التى مضت قبلهم

فأقول هذا مما يبين شدة غباوة هذا العراقى وجهله ، وعدم إدراكه ومعرفته وشدة كلب عداوته لأهل الاسلام ، فان التحليق من صفة الخوارج كما مر فى الاحاديث ، وهم خرجوا على علىّ رضى الله عنه وهم من أكبر الفرق الضالة فى القرن الاول ، وظهور دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى دين الله فى القرن الحادى عشر ، أفلا يستحى هذا العراقى ممن وقف على كلامه من سوء قصده ومرامه حيث قال : ولم يقع مثل ذلك من إحدى الفرق الضالة وهو قد وقع للخوارج ، ومن شدة غباوته أنه يكتب هذا فى صفة الخوارج ثم يقول : ولم يقع مثل هذا اللهم إلا أن يكون توهم أن الذين خرجوا على علىّ وقاتلهم فى النهروان ليسوا بخوارج ، وإنما الخوارج عنده من أخلصوا العبادة لله بجميع أنواعها ، ودعوا الناس إلى ذلك ، ونهوا عن الاعتقاد فى الانبياء ، والاولياء والصالحين ، والاحجار ، والاشجار ، وترك التعلق عليهم ، والالتجاء اليهم فى الرغبات والطلبات ، وأنه لا يستغاث بهم فى كشف الكربات والملمات إلى غير ذلك من الفواحش والمنكرات

وأما قوله وكان ابن عبد الوهاب يأمر بحلق رؤوس النساء إلى آخره

فأقول هذا من الكذب الواضح الذى لا يمترى فيه عاقل ، بل هو تزوير الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا وقد خاب من افترى ، وشاهد الحال يكفى فى رد هذه الخرافات

واما قوله ومن الاحاديث قوله ﷺ «يخرج فى آخر الزمان فى بلد مسيلمة رجل يغير دين الاسلام »

فأقول هذه رواية بلا سند فلا اعتداد بها ، بل هذا من موضوعات هؤلاء الغلاة ، ولو كان لها أصل لعزاها إلى كتاب من الكتب المعتمدة ، وقد قال امام ضلالة هؤلاء الغلاة دحلان فى شبهاته ومفترياته ما نصه : وفى بعض التواريخ بعد ذكر قتال بنى حنيفة قال : ويخرج فى آخر الزمان فى بلد مسيلمة رجل يغير دين الاسلام ، فنسبها إلى بعض التواريخ غير مسندة إلى تاريخ معلوم ولا إلى رسول الله ﷺ بسند يعتمد عليه ، وهذا الجاهل أسند هذه المقالة إلى رسول الله ﷺ بغير سند لعظم غباوته وجراءته ، وقد قال ﷺ « من كذب علىّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار »

فصل

فاذا وضح لك ما تقدم ذكره فاعلم أنه لا يكون من الخوارج وعلى مذهبهم إلا من يستن بسنة هؤلاء الذين خرجوا على علىّ رضى الله عنه وسلك مسلكهم من قتل أهل الاسلام ، وترك أهل الاوثان ، وتكفير من لا يعتقد معتقدهم ، وإباحة دمه ، وماله ، وأهله ، وأن عثمان وعلياً وأصحاب الجمل وصفين وكل من رضى بالتحكيم كفار ، وأن من أتى كبيرة فهو كافر مخلد فى النار أبداً ، وأن من لم يخرج ويحارب المسلمين فهو كافر ولو اعتقد معتقدهم ، وابطال رجم المحصن ، وقطع يد السارق من الابط ، وايجاب الصلاة على الحائض فى حال حيضها ، وكفر من ترك الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ان كان قادراً وان لم يكن

قادراً فقد ارتكب كبيرة ، وحكم مرتكب الكبيرة عندهم حكم الكافر ، وسائر معتقداتهم الفاسدة ، وأعمالهم الزائغة

فاذا تبين لك هذا فالشيخ رحمه الله واتباعه لا يعتقدون شيئاً من عقائدهم ، ولا يعملون بشيء من أعمالهم ، بل مذهبهم فى أصول الدين مذهب أهل السنة والجماعة ، وطريقتهم طريقة السلف التى هى الطريق الاسلم ، بل والاعلم والاحكم ، وهم فى الفروع على مذهب الامام أحمد بن حنبل رحمه الله ، ومن روى عنهم من تلك الخرافات والاوضاع ، أو نسبه اليهم فقد كذب عليهم وافرى ، وهذا ظاهر لمن طالع كتابه المسمى كتاب التوحيد وسائر الرسائل المؤلفة للشيخ .

فصل

قال العراقى : ومن قبائح ابن عبد الوهاب احراقه كثيراً من كتب العلم ، وقتله كثيراً من العلماء وخواص الناس وعوامهم ، واستباحة دمائهم وأموالهم ، ونبشه لقبور الاولياء ، وقد أمر فى الاحساء أن تجعل بعض قبورهم محلا لقضاء الحاجة ومنع الناس من قراءة دلائل الخيرات ، ومن الراتب والاذكار ، ومن قراءة المولد الشريف ومن الصلاة على النبي ﷺ فى المنابر بعد الاذان ، وقتل من فعل ذلك ، ومنع الدعاء بعد الصلاة ، وكان يصرح بكفر المتوسل بالانبياء ، والملائكة ، والاولياء ، ويزعم أن من قال لأحد : مولانا وسيدنا فهو كافر .

فالجواب أن نقول : قد تقدم الجواب عن هذه المفتريات وبينا أنها كذب وزور ، وتعنت وفجور إلا أنا لم نجب عن دعواه نبش قبور الاولياء وجعلها محلا لقضاء الحاجة ومنع الناس من الرواتب والاذكار ، وأن الشيخ يقول لمن قال لأحد : مولانا وسيدنا فهو كافر .

فأما دعواه أن الشيخ نبش قبور الاولياء فهذا كذب والذى جرى من الشيخ رحمه الله وأتباعه هدم البناء الذى على القبور والمسجد المجعول فى المقبرة على القبر الذى يزعمون أنه قبر زيد بن الخطاب رضى الله عنه وذلك كذب ظاهر فان قبر زيد رضي الله عنه ومن معه من الشهداء لا يعرف أين موضعه ،

بل المعروف أن الشهداء من أصحاب رسول الله ﷺ قتلوا فى أيام مسيلمة فى هذا الوادى ، ولا يعرف أين موضع قبورهم من قبور غيرهم ، ولا يعرف قبر زيد من قبر غيره ، وانما كذب ذلك بعض الشياطين وقال للناس هذا قبر زيد فافتتنوا به وصاروا يأتون اليه من جميع البلاد بالزيارة ، ويجتمع عنده جمع كثير ويسألونه قضاء الحاجات ، وتفريج الكربات ، فلأجل ذلك هدم الشيخ ذلك البناء الذى على قبره ، وذلك المسجد الذى على المقبرة اتباعا لما أمر الله به ورسوله من تسوية القبور فى النهى والتغليظ فى بناء المساجد عليها كما يعرف ذلك من له أدنى مسكة من المعرفة والعلم ، وأما كونه نبش القبر فكل هذا كذب وزور وتشنيع على الشيخ عند الناس بالباطل والفجور وكذلك قوله : وقد أمر فى الاحساء أن تجعل بعض قبورهم محلا لقضاء الحاجة كذب وافتراء .

وأما قراءة مولد النبى ﷺ بوقت محدود وطريقة معلومة وكتب مخصوصة لها فلا شك فى كونها بدعة محدثة ، فأى محذور فى المنع منها ؟ وأما الدعاء بعد الصلاة فان كان بالالفاظ الواردة فى الاحاديث الصحيحة من الاذكار من غير رفع اليدين كما ورد فى الصحيحين وغيرهما من الكتب فالشيخ لايمنع منه ولا أحد من أتباعه بل ولا أحد من أهل الحديث ، وان كان الدعاء بغير الألفاظ المأثورة وكما يفعله الناس اليوم فقال شيخ الإسلام لما سئل عن ذلك (الجواب) الحمد لله ، لم يكن النبى ﷺ يدعو هو ولا المأمومون عقيب الصلوات الخمس كما يفعله الناس عقيب الفجر والعصر ولا نقل ذلك عن أحد ولا استحب ذلك أحد من الأئمة ، ومن نقل عن الشافعى أنه استحب ذلك فقد غلط عليه ، ولفظه الموجود فى كتبه ينافى ذلك ، لكن طائفة من أصحاب أحمد وأبى حنيفة وغيرهما استحبوا الدعاء بعد الفجر والعصر ، قالوا : لان هاتين الصلاتين لاصلاة بعدهما فتعوض بالدعاء بعد الصلاة ، واستحب طائفة من أصحاب الشافعى وغيره الدعاء عقيب الصلوات الخمس وكلهم متفقون على أن من ترك الدعاء لم ينكر عليه ومن أنكر عليه فهو مخطىء باتفاق العلماء فان هذا ليس مأموراً به لا أمر إيجاب ولا أمر استحباب فى هذا الموطن بل الفاعل أحق بالانكار فان المداومة على ما لم يكن النبى ﷺ يداوم عليه فى الصلوات الخمس ليس مشروعا بل مكروه

كما لو داوم على الدعاء عقيب الدخول فى الصلاة أو داوم على القنوت فى الركعة الأولى فى الصلوات الخمس أو داوم على الجهر بالاستفتاح فى كل صلاة ونحو ذلك فانه مكروه ، وإذا كان القنوت فى الصلوات الخمس قد فعله النبى ﷺ أحيانا ، وكان عمر يجهر بالاستفتاح أحياناً وجهر رجل خلف النبى ﷺ بنحو ذلك فأقره عليه ، فليس كل ما شرع فعله أحياناً تشرع المداومة عليه ، ولو دعا الامام والمأموم أحياناً عقيب الصلاة لأمر عارض لم يعدّ هذا مخالفة للسنّة كالذى يداوم على ذلك ، والأحاديث الصحيحة تدل على أن النبى ﷺ كان يدعو دبر الصلوات قبل السلام ويأمر بذلك كما قد بسطنا الكلام على ذلك وذكرنا ما فى ذلك من الأحاديث وما يظن أن فيه حجة للمنازع فى غير هذا الموضع ، وذلك لأن الداعى يناجى ربه فاذا انصرف مسلماً انصرف عن مناجاته ، ومعلوم أن سؤال السائل لربه حال مناجاته هو الذى يناسب دون سؤاله بعد انصرافه ، كما أن من يخاطب ملكا أو غيره فان سؤاله له وهو مقبل على مخاطبته أولى من سؤاله بعد انصرافه عنه . انتهى .

وأما مسألة قول القائل : مولانا وسيدنا فالشيخ لا يمنع من قال ذلك على الوجه الذى يعرفه الناس من لفظ السيد الشريف والفاضل والكريم والحليم ومتحمل أذى قومه والزوج والرئيس والمقدم ، وكذلك لفظ المولى بالمنعم والمعتق والناصر والمحب والتابع والخال وابن العم والحليف إلى غير ذلك ، وانما نهى ومنع عن اطلاق لفظ السيد والمولى فيمن يعتقدون فيه نوعاً من الربوبية أو الألوهية كمن يقول : يا سيدى أو يا مولاى فلان أغثنى أو أدركنى أو ارزقنى أو أنا فى حسبك ونحو هذا ، فمن قال هذا بهذا المعنى فهو كافر يستتاب فان تاب وإلا قتل ، فان الله سبحانه انما أرسل الرسل وأنزل الكتب ليعبد ولا يدعى معه إله آخر .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى فى الرسالة السنية : فاذا كان على عهد رسول الله ﷺ ممن انتسب الى الاسلام من مرق منه مع عبادته العظيمة فليعلم أن المنتسب الى الاسلام والسنة فى هذه الازمان قد يمرق أيضاً

من الاسلام لأسباب منها الغلو فى بعض المشايخ ، بل الغلو فى علىّ بن أبى طالب بل الغلو فى المسيح عليه السلام ، فكل من غلا فى نبى أو رجل صالح وجعل فيه نوعاً من الإلهية مثل أن يقول : ياسيدى فلان انصرنى ، أو أغثنى أو ارزقنى أو أنا فى حسبك ، ونحو هذه الأقوال فكل هذا شرك وضلال يستتاب صاحبه فان تاب وإلا قتل إلى آخر كلامه رحمه الله

فصل

قال العراقى الزهاوى البغدادى :

الوهابية وحديث بغيها

إن زعيم الوهابية اليوم هو عبد الرحمن بن فيصل من أولاد محمد بن سعود الباغى الذى حاد عن طاعة الخلافة العظمى الاسلامية سنة ١٢٠٥ واستمرت له وقائع مع الشريف غالب الى ١٢٢٠ حتى عجز الشريف عن حربه جهزت الدولة العلية عليه عساكرها وناطت الأمر بوزيرها المرحوم محمد على باشا صاحب مصر وولده المرحوم ابراهيم باشا فأبادهم سنة ١٢٣٣ كما ألمعنا اليه فى مقالتنا السابقة مما هو مسطور فى كتب التاريخ ، وعبد الرحمن هذا كان قبل ثلاثين سنة تقريباً أميرا على الرياض ، فلما استولى عليها المرحوم أمير نجد محمد بن رشيد هرب عبد الرحمن بن سعود إلى بعض السواحل البحرية ، وأخيرا التجأ إلى الكويت وبقى هناك يعيش فى فقر مدقع لا يرحمه أحد إلى أن عطفت عليه الدولة العلية وأجرت له جراية أزالت ما كان فيه من الفقر وصار يعيش فى أرغد عيش على نفقتها فى تلك الديار .

(والجواب أن يقال) نعم قد كان زعيم الوهابية اليوم الامام المعظم والرئيس المفخم عبد الرحمن بن فيصل وابنه عبد العزيز بن عبد الرحمن هو قائد الجيوش الاسلامية وكان عبد الرحمن من أولاد محمد بن سعود الذى رفع الله به أعلام الشريعة المحمدية والملة الابراهيمية ، بعد أفول شموسها ، وانطماس معالمها

ودروسها ، فبغت عليه الدولة المصرية لما استوثقت له البلاد العربية ، وأظهر دين الله الذى بعثه الله به رسله ، وأنزل به كتبه ، وكان قد جرى من أولاد سعود رحمه الله بعض التقصير فى الأوامر الدينية فتسلط عليهم بسبب ما اقترفوه من الذنوب هؤلاء الباغون المعتدون كما تقدم بيانه مما لا فائدة فى اعادته ، ثم رد الله الكرة للمسلمين وجمعهم الله بالامام فيصل بن تركى بعد ما بغت عليه العساكر المصرية ، ونقلوه إلى مصر بعد محاربات عديدة ، وأمور هائلة شديدة ، ثم توفى رحمه الله سنة ١٢٨٢ هـ.

(وأما قوله) وعبد الرحمن هذا كان قبل ثلاثين سنة تقريباً أميراً على الرياض فأقول ليس الأمر كذلك وما آفة الأخبار الا رواتها بل كان الأمير على أهل نجد بعد وفاة الامام فيصل ابنه الاكبر عبد الله بن فيصل واستمرت له الولاية مدة سنين ثم كان بينه وبين أخيه سعود محاربات ومنافسات على المملكة يطول عدها وكان محمد بن رشيد من أمراء آل سعود على جهة الجبل وما يليه من القرى والبوادى فلما ضعفت الممالك النجدية وتضعضع أمرها باختلاف آل سعود بينهم وثاب أولاد سعود على عمهم عبد الله بن فيصل استنجد عبد الله بمحمد بن رشيد على أولاد أخيه سعود فسار الى الرياض وحصرها أياما قلائل ثم وقعت المصالحة بينه وبين أهل الرياض وبينه وبين أولاد سعود على الخرج من أعمال الرياض وارتحل ابن رشيد راجعا إلى الجبل بعبد الله بن فيصل ثم بعد ذلك غدر بأولاد سعود وقتلهم وصار الأمر فى يده بالبغى والعدوان على أهل تلك الأماكن والبلدان وكان الامام عبد الرحمن بن فيصل حال ولاية ابن رشيد على الرياض ساكنا فيها والأمير عليها من جهة محمد بن رشيد أخوه محمد ابن فيصل والمتصرف فيها بأوامر محمد بن رشيد أحد أمرائه المسمى سالم ابن سبهان وكان رجلا فاجرا لا يخاف الله ولا يتقيه فأراد الخديعة والمكر بعبد الرحمن بن فيصل والغدر به كما غدر بأولاد سعود فلما تحقق الامام عبد الرحمن خبره هجم عليه وأخذه قسراً وقهراً وحبسه ثم بعد ذلك قدم ابن رشيد وحاصر الرياض نحوا من شهر ثم رجع خائباً حسيراً لم يدرك

مقصوده فلما لم يحصل على طائل بالمحاربة أخذ يخادع أهل الرياض ويعدهم ويمنيهم حتى انخدع له بعض الأشرار لما يحصل لهم بعد ذلك منه بسبب غدرهم من الانتقام والدمار فلما تحقق الامام عبد الرحمن ذلك الخبر وتقرر عنده واشتهر خرج بأولاده وأهله إلى (قطر) ثم ارتحل إلى الكويت فسكن بها واستقر ، هذا ملخص الأمر لا كما يزعمه هذا العراقى ثم توفى محمد بن رشيد سنة ١٣١٥ الف وثلاثمائة وخمس عشرة وتولى بعده ابن أخيه عبد العزيز ابن متعب وجرى بينه وبين مبارك بن صباح ما جرى من المحاربة وكانت الدائرة لابن رشيد على ابن صباح غير أنه لم يقتل من قومه هذا العدد المذكور بل كان القتلى قريباً من ثلاثمائة رجل أو أقل .

وأما قوله وبقى هناك يعيش فى فقر مدقع لا يرحمه أحد الى أن عطفت عليه الدولة وأجرت له جراية أزالت ما كان فيه من الفقر الى آخر كلامه .

فأقول لما كان لهذا العراقى الحظ الوافر من الكذب على الأموات ولم يكتف بذلك أخذ يكذب على الاحياء بما هو معلوم كذبه بالاضطرار فان الامام عبد الرحمن كان فى بلد الكويت فى أرغد عيش وأنعم بال وكان جميع من يصل إلى تلك البلاد من أهل نجد فى مضيفه حتى يرحلوا بالجوائز والصلات الجزيلة من الامام وانما أخذ معاش الدولة ليسكن بذلك لكونه إذ ذاك فى طرفهم والولاية لهم فيه ظاهراً ولأن الكويت قريباً من بلاد نجد والأخبار تصل اليه بسرعة وأيضا كان فيه آمنا من تسلط الأعداء فليس لأحد عليه فيه اتصال بما يكره لا من جهة الدولة ولا من جهة ابن رشيد فلذلك استحب سكنى الكويت على غيره من الأماكن .

وقد كان قائد الجيوش الاسلامية الهمام المقدم القمقام المفخم والهزبر الغشمشم عبد العزيز بن عبد الرحمن إذ ذاك حديث السن لكنه مع ذلك يروم من الأمور معاليها وينبئ بهمته الى هاماتها وأعاليها وطلب من أبيه عبد الرحمن ابن فيصل أن يأذن له فى الاغارة على البوادى من أهل نجد ممن كان فى ولاية ابن رشيد ليتقوى بما يأخذه منهم على محاربة ذلك العدو المريد والفاجر العنيد

عبد العزيز ابن متعب بن رشيد فأذن له فى الخروج والغزو وأعانه ابن صباح بسلاح فأخذ يغير على البوادى النجدية حتى أثخنهم قسرا وأخذهم قهراً ولم يكن ابن رشيد إذ ذاك كما يزعمه العراقى مشغولا ببعض الغزوات لكنه قد بهت مما فعل هذا الرئيس الهمام والفارس المقدام فأعمل الفكرة والحيلة فى حفظ القرى والامصار بأن جعل فيها بأمر الدولة العثمانية من يمنع عشائر ابن سعود عن الميرة منها والقدوم اليها فانه كان اذا قفل من غزوته نزل قريبا من الاحساء ليمتار منها ويتزود فمنعته الدولة من القدوم اليها للميرة وامتنع بعض قواد الاعراب عن مساعدته لاجل ذلك فلما تحقق عبد العزيز ما أعمله من الحيلة وتعذر الوصول إلى بعض تلك الاقطار للامتيار اقتضى رأيه أن يسير الى الرياض فهجم عليها ليلا بشرذمة قليلة نحواً من ثلاثين رجلا فقتل أمير ابن رشيد وذويه بعد أن ألقى بنفسه ومن معه على ثغر الرياض من باب صغير فى عرض باب القصر ووقاه الله شر رماة من فيه من الرجال فلما فرغ من أمر ذلك القصر أحكم سور البلد فى مدة يسيرة وحفظه بالرجال وأخذ يغير على البوادى من كل معاند له ومعادى وكف الله أكف الظالمين ولم ينتهزوا الفرصة بالمبادرة الى الرياض قبل استحكام الأمر ثم جمع ابن رشيد جموعه من الحاضرة والبادية وأقبل بتلك الجنود العاتية حتى نزل بقرية من قرى الوشم فمكث بها قريبا من أربعين يوما يخادع أهل الرياض ويعدهم ويمنيهم بالأوعاد وهيهات دون ذلك خرط القتاد ثم ارتحل ونزل بماء يقال الحسى فمكث به قريبا من شهر وفى تلك الايام والامام عبد العزيز فى الرياض ثم اقتضى رأيه الميمون أن يسير الى الحوطة من ديار بنى تميم لكى يستنجح أمر ابن رشيد والى ما يصير اليه أمره بعد ارتحاله عن أرض الرياض فارتحل ابن رشيد من الحسى وعمد الى الخرج لأجل حصارها فامتنعوا منه ثم مشى عبد العزيز حفظه الله بأهل الحوطة وما يليها من القرى ومن معه من أهل الرياض حتى وصل الى بلد الخرج فدخلها ليلا ثم لما كان من الغد برز له وجرت بينه وبين ابن رشيد مقاتلة فى مدة ثلاثة أيام فهزم الله ابن رشيد وجنوده وقتل منهم عبد العزيز خلقا كثيراً ورجع ابن رشيد خاسئاً حسيراً .

وأما قول العراقى أنه حاصر الرياض سنة فمن الكذب الواضح فانه لم يقدم اليها فضلا عن أن يحاصرها لكنه بعد ذلك بمدة نحواً من خمسة أشهر قصد الرياض وكان عبد العزيز بن عبد الرحمن قد سار بجنوده الى الكويت لاظهار أهله منها وجدّ ابن رشيد فى السير حتى وصل الى الرياض ليلا ولم يشعر به أحد حتى كان وقت السحر وهو قد أحدق بالبلاد وحفظ أطرافها بالخيل والجنود وأمر على بعض قومه أن يقتحموا فى البلد فيسر الله أن رجلا من أهل البادية أقبل قاصداً الى الرياض فرآه وهو قد قرب منها فدخلها ليلا وصاح بأهل البلد فنهض أهل البلد وقصدوا السور وأشعلوا النيران فى البروج وهم قد أحدقوا بها لكن قذف الله فى قلوبهم الرعب فاحجموا عن الاقتحام والزحام فلما علم أن أهل البلد قد شعروا به أرسل الى قومه ان يكفوا وأن يرجعوا الى معسكرهم وأمر البادية ومن معهم من المحاضرة المحدقين بالبلاد أن يأخذوا ما وجدوا فى النخيل من الأدباش وقتلوا فى النخيل عشرة انفار فلما كان من الغد بعد ارتفاع الشمس أقبل بجنوده ونزل على الرياض فظهر عليه بعض الابطال من الرجال وصار بينهم قتال ثم لما كان من اليوم الثانى قذف الله فى قلبه الرعب فارتحل من الرياض لم يحصل على طائل وقد قتل من قومه نحواً من خمسين رجلا ثم سار الى شقراء فحاصرها مدة نحوا من نصف شهر فلما علم أن عبد العزيز ابن عبدالرحمن قد وصل الى الرياض راجعاً من الكويت ارتحل من الوشم ونزل القصيم ولما رأى ابن رشيد أن أمور ابن سعود قد استصعبت عليه وعشائر نجد التجأت اليه لم يجد مندوحة عن الالتجاء الى الدولة العثمانية والاستنصار بها فلما عزم على ذلك الأمر جعل فى القصيم جنوداً من قومه وأمّر عليهم ماجد ابن حمود وحفظ الحصن الذى فى (بريدة) بالرجال والازواد وحفها بالاجناد وبعث سرية من قومه وأمّر عليهم حسين ابن جراد الى بادية حرب وأمره أن يسير بهم الى قرى الوشم وينزل بها هناك حتى يقدم اليهم بالعساكر العثمانية وأرسل رسله الى باشات بغداد بعد أن قرب من تلك البلاد فاستجاشها وأثارها بالبخاشيش فأمدوه بالاجناد فعند ذلك انتهز الفرصة الامام عبد الرحمن فأمر

ابنه عبد العزيز فأغار بالجيوش الاسلامية والجنود الحنيفية على حسين بن جراد ومن معه من تلك الاجناد من حرب ومن اجتمع عليها من الأمداد فأخذهم الله وقتل منهم مقتلة عظيمة ثم رجع بتلك المغانم الجسيمة هذا وماجد بن حمود الرشيدى مع جنوده قريبا من عنيزة فلجأ اليها ونزل قريباً منها لأجل حماية أهلها فسار اليهم عبد العزيز فدخل عنيزة عنوة ليلا وقتل أمير ابن رشيد الذى كان فيها ثم سار بجنوده آخر الليل فهجم على ماجد بن حمود ومن معه من الجنود فأخذهم الله تعالى وهرب ماجد بمن نجا معه الى الجبل وسار عبدالعزيز الى بريدة فدخلها عنوة وحاصر الحصن الذى فيها نحواً من شهر ثم فتحه الله صلحا . هذا ملخص ما جرى فى تلك الوقعات .

فصل

قال العراقى : ولمـا رأت الدولة العلية اعتـــداء عبد الرحمن هذا وبغيه وتطاوله على صادقها ومخلصها الأمير ابن رشيد ونزع عبد الرحمن الى الاجانب أرسلت كتبة من عساكرها المنصورة صحبة الأمير ابن رشيد لقطع دابر أولئك المارقين وقمع بغيهم واعتدائهم واطفاء شرر فتنتهم المستطير فصادمت العساكر المنصورة الجماعة الباغية حزب ابن سعود قرب بلدة البكيرية من بلاد القصيم . فوقعت بين الجمعين ملحمة كبرى انجلت عن هزيمة الفئة الباغية جماعة ابن سعود وامتلاك العساكر أحد عشر راية من راياتهم . وقد كان والحق يقال لحضرة الأمير ابن رشيد وجيشه فى هذه الملحمة خدمة فى قمع الأعداء تشكر وبسالة يخلد ذكرها ولا تنكر وأما المنهزمون فهم اليوم متحصنون ببعض تلك البلاد والعساكر المنصورة مع جيوش الأمير ابن رشيد محدقون بهم ومجدون فى تنكيلهم وكبح جماحهم . وفقهم الله تعالى لذلك .

والجواب أن يقال ليس الأمر كما زعم هذا العراقى بل حقيقة الحالة أنه لمـا رأت الدولة العثمانية أنه قد وقع بين العرب حروب عديدة وملاحم شديدة طمعت فى بلاد العرب بواسطة الانتصار لابن رشيد كما أخذت الأحساء والقطيف

بغياً وعدواناً بواسطة الانتصار لعبد الله بن فيصل على أخيه سعود : وقد كان من المعلوم أنها لاتمشي مع أحد لحظ نفسه وإنما تمشي لحظ نفسها ولكن لايشعر تائه بمصابه لأنه ما دخل الامر من بابه :

فجاءوا بأسباب من الكيد مزعج مدافعهم يزجي الوحوش رنينها

وظنوا أنهم لمن عاداهم من الناس سيقهرون وأنهم لمن حاربهم سيغلبون (الله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون) فأقبل بتلك العساكر والعربان يقودهم البغي والعدوان والاشر والبطر والطغيان (يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون) حتى نزل بأدنى قرى القصيم وأنزل الله عليهم بها من رجزه عقاصا عظيما ووباء وخيما فقتل بعض أولئك الطغام وبقي منهم خلق كثير وجم غفير ولم يعتبروا بما حل بهم ودها ، ومانزل بهم من النوى ، فنهض اليهم الامام عبد العزيز بمن معه من المسلمين وهم لا يبلغون معشار أولئك المعتدين ونزل البصر فارتحل ابن رشيد ونزل بالشيحيات وسار عبد العزيز بالمسلمين فنزل البكيرية فلما كان من الغد وانتصف النهار ، ولم يلق كيداً من أولئك الاشرار ، وظن المسلمون انه لا يكون في ذلك الوقت مقاتلة من الأغيار ، فتفرقوا في النخيل والاشجار ، فانتهز ابن رشيد هذه الفرصة وعبأ عساكره وجنوده ، ونشر راياته وبنوده ، وجاؤوا كما قال الله تعالى : (بطرا ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله) فوقعت بين الطائفتين وقعة عظيمة ، وملحمة كبيرة جسيمة ، وكان المسلمون قد نهضوا اليهم على غير تعبئة وكانت العساكر والجنود الطاغية قد نهضوا بأجمعهم في نحر أهل الرياض ومن معهم من أهل النواحي غير أهل القصيم فانكشف المسلمون بعد أن جاءتهم الخيل من خلفهم (وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين) قال الله تعالى : (وتلك الايام نداولها بين الناس) الآية . ولم يقتل من المسلمين على التحقيق إلا نحواً من ثمانين رجلا وقد قتل من العسكر وجند ابن رشيد خلق كثير ولما كان في آخر النهار قبل غروب الشمس ظهرت جموع أهل القصيم وهم لايعلمون بانكشاف أهل العارض لانهم في خبت منخفض فحملوا على العساكر العثمانية

والجنود الرشيدية وقد اجتمع بأهل القصيم من أهل الرياض عصابة فى ذلك اليوم فهزموهم شر هزيمة وقتلوا فى ذلك اليوم منهم مقتلة عظيمة ، وأخذوا كثيراً من مضارحهم وخيامهم ومدافعهم وقد قتل من العسكر ومن أهل الجبل نحواً من خمسمائة مقاتل فلما علم أهل القصيم بانكشاف المسلمين تركوا ما أخذوه مما لايطيقون حمله ورجعوا الى أوطانهم وأماكنهم ولم يتراجع الفريقان الا بعد أيام فرجع ابن رشيد وعسكره الى معسكرهم فى الشيحيات واستولى على البكيرية واجتمع المسلمون فى عنيزة ثم نهض اليهم عبد العزيز بالمسلمين وقدم جمعاً الى البكيرية فهجموا عليها ليلا وهرب من فيها من جند ابن رشيد وملكوا صورها وقصورها فلما كان آخر الليل التقى الجمعان قريباً من البكيرية فهزمهم المسلمون هزيمة عظيمة ونزل المسلمون البكيرية فرجف الله بابن رشيد وعساكره فارتحلوا منهزمين وركبتهم خيول المسلمين يأخذون ويقتلون حتى نزل بالشنانة من أعالى قرى القصيم ونزل عبد العزيز الرس ولم يكن بينهم مزاحفة انما هو بالخيل مناوشة ومراوحة ثم لما طال المقام وخاف ابن رشيد تفرق قومه لطول المقام ولأن المسلمين لا يدعونهم ينتشرون لرعى ابلهم وجيوشهم وأكلوا ما فى الشنانة حتى النخيل فارتحل من الشنانة ونزل بماء يقال له المقوعى فنهض المسلمون الى قصر هناك قريباً منهم يقال له قصر ابن عقيل فالتقى الجمعان وتصادم الفريقان وكانت الدائرة للمسلمين على ابن رشيد وذويه وهزموهم شر هزيمة وأخذوا من الاموال والمتاع والابل والغنم مالايحصى ، ولايعد ولايستقصى ، وأخذوا نحواً من عشرة أيام يغدون ويروحون الى المعركة يأخذون من الاموال والمتاع مالا يخطر بالبال ولا يدور فى الخيال فلله الحمد وله الشكر وله الثناء الحسن الجميل لانحصى ثناء عليه بل هو كما أثنى على نفسه وفوق مايثنى عليه أحد من خلقه .

وأما زعمه أن عبد الرحمن بن فيصل تطاول على مخلص الدولة وصادقها ابن رشيد فنعم هو مخلصها وصادقها ونحن ان شاء الله مخلصون لله فى عبادته الصادقون فى جهاد أعدائه فانه هو وعمه الذين بغوا علينا فأبادهم الله تعالى بأيدينا فلله الحمد لا نحصى ثناء عليه .

وأما دعوى هذا العراق نزوع الامام عبد الرحمن الى الأجانب ويعنى بالاجانب طائفة النصارى الانكليز فعاذ الله من ذلك ويأبى الله والمؤمنون إلا منابذتهم ومعاداتهم ومحاربتهم وكيف يكون ذلك وقد قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزواً ولعباً من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء واتقوا الله إن كنتم مؤمنين ، وإذا ناديتم إلى الصلاة اتخذوها هزواً ولعباً) الآية . وقال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء ، بعضهم أولياء بعض ، ومن يتولهم منكم فانه منهم) الآية . وقال تعالى : (ترى كثيراً منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم ، وفى العذاب هم خالدون) الآية . وانما ينزع اليهم ويتخذهم أولياء من حكم قوانينهم والتزمها على نفسه ونفذها فى رعيته وجعل وزراءه ووكلاءه منهم ، وجعل لهم قناصل فى أماكنه ودياره ؛ فنعوذ بالله من رين الذنوب ، وانتكاس القلوب ، وإذا تحقق المنصف ماذكرناه ، واتضح له ما بيناه ، مما كان وجرى وما حصل من الامور بعد تلك الوقعات ، والدواهى المعضلات ، بقدوم المشير أحمد فيضى باشا بجنوده وعساكره وعسكر المدينة إلى القصيم مما لو ذكره العراق لأوضحناه على جليته عرف أن البسالة كل البسالة التى يجب أن تشكر وتذكر ، وان ينشر ذكرها فى الخافقين ولا ينكر ، مقامات الرئيس المفخم ، والمقدام المعظم ، والهزبر الغشمشم ، عبد العزيز بن الامام المكرم ، عبد الرحمن بن فيصل لا من نعتوه بها ممن ليس لها بأهل :

لقد منّ مولانا وأفضل وارتضى — لنا ملكا منا سميّ المناقب
فشام المعالى وارتضاها وأمّها — بهمته العليا وجردٍ شوازب
وبيض قواضٍ يختلى الهام حدّها — وقود الهجان اليعملات النجائب
فتى همه العليا وشأو مرامها — فأم إلى هاماتها والغوارب
فتى ليس يثنى همه ومرامه — طوال العوالى أوطوال السباسب
يخوض عباب الموت والموت ناقع
اذا استعرت نار الوغى فى الكتائب

ويركب هول الخطب والخطب معضل ... وقد هابه شوس الملوك المصاعب
يرد لهـام الجيش وهو عرمرم ... ويحطمه بالمرهفات السوالب
لقد فات أبناء الزمان وفاقهم ... بنيل المعالى الساميات المراتب
وجود وإقدام اذا احتنك الفضا ... وضاق بجال الصافنات السلاهب
وأحجم أهلوها بيوم عصبصب ... به النقع يسمو كارتكام السحائب
هناك لا تلقاء الا كضيغم ... هزبر أبى شبلين حجن المخالب
ترى جثث الابطال صرعى بغابه ... تراوحها الاشبال من كل ساغب
كذا الملك الشهم الهمام فانما ... كماة العدى جزرا له بالقواضب
ترى عافيات الطير يعصبن فوقه ... لتحظى باشلاء العـدو المشاغب
وتتبعه غرثى السـباع لعلها ... تروح بطانا من لحوم المحـارب
وقد وثقت ان لا تعود خوامصاً ... وان لهـا جزراً كماة الكتائب
فنلنا المنى من بعد ان كادت العدى ... تحيط بنـا من كل قطر وجانب
بعبد العزيز بن الامام ابن فيصل ... حليف العلى نسل الكرام الاطايب
فلله من ندب همام مهذب ... أغاظ العدى من عجمها والاعارب
ومن المعىّ أحوذى ومصقع ... بليغ بمـا قد شاءه فى المقانب
يقود أسوداً فى الحروب ضياغما ... تغير على الاعـدا كأسد سواغب
حنيفية فى دينهـا حنفية ... وليس لهم الا العلى من مآرب
سما بهمو نحو المعالى سميدع ... أبىّ وفىّ فاضل ذو مناقب
اذا هو أعطى ذمة لم يخس بهـا ... وما كان ذا غدر وليس بكاذب
فان رمت أخباراً له ووقائعاً ... فسل شمرا عنهـا بصدق المضارب
وحرباً وسل عنهـا مطيرا وغيرهم ... من العجم والاعراب من كل ناكب
فمزّقهم أيدى سبا فتفرقوا ... فمـا بين مقتول وما بين هارب
وما بين منـكوب وقد خال أنه ... بقوته قد حاز كل المـآرب
فمـا نال الا الخزى والعار والردى ... وآب حسيرا خاسئاً غير راغب
بلطف من المولى له وإعانة ... على كثرة الاعدا له والمحارب

وعز واسعاف على كل من بغى | عليه وتسديد لدى كل نائب
ونصر له بالرعب فى كل مأزق | من الملك العلام مولى المواهب
اذا أمَّ أمرا واعتلى متسامياً | تمزقت الاعداء من كل جانب
وما ذاك الا أنه لا ترده | طوال العوالى أو طوال السباسب
ولا غرو من هذا ولا بدع إنما | حواها من الشوس الكرام الاطايب
ومن والد سامى الذرى ذى مآثر | حسان وأخلاق يفاع المراتب
له فتكات بالاعادى شهيرة | يقصر عن تعدادها كل كاتب
أدام لنا ربى بهم كل بهجة | على السنن الحاوى لكل المطالب
وسنة خير العالمين محمد | نبى الهدى السامى لأعلى المناقب
عليه صلاة الله ثم سلامه | بعدّ وميض البرق جنح الغياهب
وأصحابه والآل ما حن راعد | وما انهل وبل من خلال السحائب

فصل

قال العراقى :

عقيدة الوهابية

لما رأى ابن عبد الوهاب ان قاطنى بلاد نجد بعيدون عن عالم الحضارة لم يزالوا على البساطة والسذاجة فى الفطرة ، قد ساد عليهم الجهل حتى لم يبق للعلوم العقلية عندهم مكانة ولا رواج وجد هنالك من قلوبهم ما هو صالح لأن يزرع فيه بذور الفساد مما كانت نفسه تنزع اليه وتمنيه به من قديم الزمان ، وهو الحصول على رياسة عظيمة ينالها باسم الدين ، إذ كان لحاه الله يعتقد ان النبوات لم تكن إلا رياسة وصل اليها دهاة البشر حتى ساعدتهم الظروف عليها بين ظهرانى قوم جاهلين ليس لهم من العلم نصيب ، وحيث ان الله تعالى قد أرتج باب النبوة بعد خاتم الانبياء سيدنا محمد ﷺ لم يجد للوصول الى أمنيته طريقا بين أولئك الانعام إلا أن يدعى انه مجدد فى الدين مجتهد فى أحكامه فحمله هذا

الامر أن كفر جميع طوائف المسلمين وجعلهم مشركين ، بل أسوء حالا ، وأشد كفراً وضلالا ، فعمد الى الآيات القرآنية النازلة فى المشركين فجعلها عامة شاملة لجميع المسلمين الذين يزورون قبر نبيهم ﷺ ويستشفعون به الى ربهم نابذاً وراء ظهره كل ماخالف أمانيه الباطلة وسولته له نفسه بالسوء من أحاديث سيد المرسلين ، وأقوال أئمة الدين والمجتهدين حتى انه لما رآى الاجماع مصادما لما ابتدعه أنكره من أصله وقال لا أرى للناس بعد كتاب الله الذى جمع فأوعى كل رطب ويابس وتغافل عما جاء به كتاب الله من قوله تعالى : (ومن يتبعْ غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا) .

(والجواب أن يقال) : ما أعظم جراءة هذا العراقى على الكذب وتعمد الفجور ، وقول الزور وهذه حال كل متمرد كفور ، وقد قدمنا من حال نشأة الشيخ ودعوته الى الله ما يبين افك هذا العراقى وتمرده وفجوره ، وانه انما أخذ هذه المجونات والمخرقة والاكاذيب والزندقة من كتب قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل ، وأشربت قلوبهم عداوة هذا الدين وأهله ومن دعا اليه وكراهته وكراهة من دان به ، فأخذوا يضعون هذه الاوضاع ليصدوا عن سبيل الله من آمن به ويبغونها عوجا ، ومن أعظم مفتريات هؤلاء الكفرة أعداء الله ورسوله حيث انبعث أشقاها ، وتفوه بما لفقوه أغواها ، حيث زعم أن الشيخ يزرع فى قلوب أهل نجد بذور الفساد ، مما كانت نفسه تنزع اليه وتمنيه به من قديم الزمان وهو الحصول على رآمة عظيمة ينالها باسم الدين ، اذ كان يعتقد ان النبوات لم تكن الا رآسة وصل اليها دهاة البشر حين ساعدتهم الظروف عليها بين ظهرانى قوم جاهلين .

وهذا القول لا يقوله ويحكيه عن الشيخ من يؤمن بالله واليوم الآخر ويعلم أنه موقوف بين يدى الله تعالى وقد كان من المعلوم أن هذا الاعتقاد من عقائد الملاحدة الذين يقولون ان الكتب المنزلة فيض فاض من العقل الفعال على النفس المستورة الفاضلة الزكية فتصورت تلك المعانى وتشكلت فى النفس بحيث يتوهمها اصواتا تخاطبه وربما قوى ذلك ببعض الحاضرين فيرونها ويسمعون

خطابها ولا حقيقة لشيء من ذلك فى الخارج وهذا يكون عندهم بتجرد النفوس عن العلائق واتصالها بالمفارقات من العقول والنفوس المجردة وهذه الخصائص تحصل عندهم بالاكتساب ولهذا طلب النبوة من تصوف على مذهب هؤلاء ، وهؤلاء عندنا وعند الشيخ رحمه الله اكفر من اليهود والنصارى وابعد عن الاسلام من غيرهم من طوائف الكفر .

ولما توهم هذا الملحد أن الشيخ ينتحل هذا المذهب الملعون قال : وحيث ان الله قد ارتج باب النبوة بعد خاتم الانبياء سيدنا محمد ﷺ لم يجد للحصول على امنيته طريقا بين أولئك الانعام الا أن يدعى أنه مجدد فى الدين مجتهد فى أحكامه .

فيقال لهذا الملحد قد كان من المعلوم بالضرورة من دين الاسلام وبما ورد فى الكتاب والسنة أن النبى ﷺ خاتم النبين لا نبى بعده فمن توهم حصولها لأحد بعده فهو كافر ولكن قد اخبر صلى الله عليه وسلم « ان الله يبعث لهذه الامة على رأس كل قرن من يجدد لها أمر دينها » وفى الحديث : « ما جعل الله من نبوة الا كانت بعدها فترة » وهذا معلوم معروف عند أهل العلم كما قال الامام أحمد فى خطبته « الحمد لله الذى جعل فى كل زمان فترة من الرسل بقايا من أهل العلم يدعون من ضل الى الهدى ويصبرون منهم على الاذى يحيون بكتاب الله الموتى ، ويبصرون بنور الله أهل العمى ، فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه ، ومن ضال تائه قد هدوه ، فما أحسن أثرهم على الناس ، وما أقبح أثر الناس عليهم » الى آخر كلامه ، وقد شهد أهل العلم والفضل من أهل عصره أنه أظهر توحيد الله وجدد دينه ، ودعا اليه كما تقدم ذكره عن الامام حسين ابن غنام ومحمد بن اسماعيل الصنعانى ومحمد بن أحمد الحفظى وغيرهم من علماء أهل الامصار ، وقد كان من المعلوم عند كل عاقل خبر الناس وعرف أحوالهم وسمع شيئاً من أخبارهم وتواريخهم أن أهل نجد وغيرهم ممن تبع دعوة الشيخ واستجاب لدعوته من سكان جزيرة العرب كانوا على غاية من الجهالة والضلالة ، والفقر والعالة ، لا يستريب فى ذلك عاقل ، ولا يجادل فيه عارف ، كانوا من

أمر دينهم فى جاهلية ، يدعون الصالحين ، ويعتقدون فى الاشجار والاحجار ، والغيران يطوفون بقبور الأولياء ، ويرجون الخير والنصر من جهتها ، وفيهم من كفر الاتحادية والحلولية ، وجهالة الصوفية ما يرون أنه من الشعب الايمانية والطريقة المحمدية ، وفيهم من اضاعة الصلوات ، ومنع الزكاة ، وشرب المسكرات ما هو معروف مشهور ، فمحا الله بدعوة الشيخ شعار الشرك ومشاهده ، وهدم بيوت الكفر والشرك ومعابده ، وكبت الطواغيت والملحدين ، وألزم من ظهر عليه من البوادى وسكان القرى بما جاء به محمد ﷺ من التوحيد والهدى ، وكفر من أنكر البعث واستراب فيه من أهل الجهالة والجفا ، وأمر باقامة الصلاة وإيتاء الزكاة ، وترك المنكرات ، ونهى عن الابتداع فى الدين ، وأمر بمتابعة السلف الماضين فى الاصول والفروع من مسائل الدين حتى ظهر دين الله واستعلن واستبان بدعوته منهاج الشريعة والسنن ، وقام قائم الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وحدّت الحدود الشرعية ، وعزرت التعازير الدينية ، وانتصب علم الجهاد ، وقاتل لاعلاء كلمة الله أهل الشرك والفساد حتى سارت دعوته ، وثبت نصحه لله ، ولكتابه ، ولرسوله ، ولأئمة المسلمين وعامتهم ، وجمع الله به القلوب بعد شتاتها ، وتألفت بعد عداوتها ، وصاروا بنعمه الله اخواناً فأعطاهم الله بذلك من النصر والعز والظهور مالا يعرف مثله لسكان تلك الفيافى والصخور ، وقهروا سائر العرب من عمان إلى عقبة مصر ، ومن اليمن الى العراق والشام ، ودانت لهم عربها فأصبحت نجد تضرب اليها أكباد الابل فى طلب الدنيا والدين ، وتفتخر بما نالها من العز والنصر والاقبال . وبالجملة فلا يقول مثل هذا فى الشيخ رحمه الله الا رجل مكابر لا يتحاشى من البهت والافتراء ، والى الله ترجع الأمور ، وعنده تنكشف السرائر .

ولما كان هذا العراقى الملحد من جملة من نشأ على عقائد الملاحدة أعداء الله ورسوله ومن نحا نحوهم من المتكلمين الذين يزعمون أن العقل مقدم على النقل وأن نصوص الكتاب والسنة ظواهر ظنية ، وأن معقولاتهم التى هى نخاتة الأفكار ، وزبالة الأذهان ، وريح المقاعد هى البراهين اليقينية ، واعتقد

أن من لم يكن على هذا المذهب الملعون أنه قد خرج عن عالم الحضارة ، ولم يزل على البساطة والسذاجة فى الفطرة ، وقد كان من المعلوم أن جفاة العرب أسلم فطرة وأصح عقولا من هؤلاء الملاحدة ، ولذلك لما دخلوا فى دين الله وعرفوا هذا الدين كانوا على طريقة السلف فى باب معرفة الله وأسمائه وصفاته، وفى باب العمل والعبادة ، وتقديم كتاب الله وسنة رسوله على قول كل أحد كائناً من كان ، وجمع الله لمن طلب العلم منهم من العلوم والمعارف ما لا يعرفه هؤلاء من سائر العلوم والفنون مع أن كثيراً من علوم هؤلاء الخارجين عن طريقة أهل الاسلام من العلوم التي لا ينتفع بها فى معرفة ما جاءت به الرسل وأنزلت به الكتب ، انما هى أوضاع اليونان والفلاسفة ، والمجوس والصابئين ، ولذلك كان الغالب على من دخل فى هذه العلوم الحيرة والشك نعوذ بالله من الخروج عن الصراط المستقيم .

وأما قوله فحمله هذا الامر أن كفر جميع طوائف المسلمين وجعلهم مشركين بل اسوأ حالا ، وأشد كفراً وضلالا ـ يعنى ـ أن الشيخ ادعى أنه مجدد لدين الله مجتهد فى أحكامه فحمله على أن كفر جميع طوائف المسلمين .

فأقول : أما كونه مجددا لدين الله فهو من المعلوم بالضرورة ولا ينكره الا مكابر فى الحسيات ، مباهت فى الضروريات ، وأما كونه كفر جميع طوائف المسلمين فجعلهم مشركين ، فهذه العبارة تدل على تهور فى الكذب ووقاحة تامة وفى الحديث : « ان مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى اذا لم تستح فاصنع ماشئت » . وصريح هذه العبارة أن الشيخ كفر جميع هذه الامة من المبعث النبوى الى قيام الساعة ، وهل يتصور هذا عاقل قد عرف حال الشيخ وما جاء به ودعا اليه ، بل كان من المعلوم أن هذا العراقى كان لايعرف ماجاء به الرسول ﷺ من دين الاسلام ، ولو كان يعرف دين الاسلام لما تجازف بهذه المجازفة ، وخرق بهذه المخرقة المارجة ، والشيخ رحمه الله لا يعرف له قول انفرد به عن سائر الأمة ، بل ولا عن أهل السنة والجماعة منهم ، وجميع أقواله فى هذا الباب أعنى ما دعا اليه توحيد الاسماء والصفات ، وتوحيد العمل والعبادات مجمع عليه

عند المسلمين لا يخالف فيه الا من خرج عن سبيلهم ، وعدل عن منهاجهم كالجهمية والمعتزلة ، وغلاة عباد القبور ، بل قوله مما أجمعت عليه الرسل ، واتفقت عليه الكتب كما يعلم ذلك بالضرورة من عرف ماجاؤوا به وتصوره ، ولا يكفر الا على هذا الاصـــل بعد قيام الحجة والمعتبرة فهو فى ذلك على صراط مستقيم متبع لا مبتدع ، وهذا كتاب الله وسنة رسوله ، وكلام أصحاب رسول الله ﷺ ومن بعدهم من أهل العلم والفتوى معروف مشهور مقرر فى محله فى حكم من عدل بالله وأشرك به ، وتقسيمهم الشرك الى أكبر وأصغر ، والحكم على المشرك الشرك الاكبر ، بالكفر مشهور عند الامة ، لا يكابر فيه الا جاهل لا يدرى ما الناس فيه من أمر دينهم وما جاءت به الرسل وقد أفرد هذه المسألة بالتصنيف غير واحد من أهل العلم وحكى الاجماع عليها وأنها من ضروريات الاسلام كما ذكره تقى الدين بن تيمية وابن قيم الجوزية وابن عقيل وصاحب الفتاوى البزازية وصنع الله الحلبى والمقريزى الشافعى ومحمد بن حسن النعيمى الزبيدى ومحمد بن اسماعيل الصنعانى ومحمد بن على الشوكانى وغيرهم من أهل العلم . والشيخ رحمه الله لم يكفر طوائف المسلمين وانما كفر طوائف المشركين والخارجين المارقين من دين الاسلام ، فان الأحداث لا تزال موجودة فى الأمة تقل وتكثر من عهد الصحابة الى أن تقوم الساعة ، فقد كفر الصحابة رضى الله عنهم من كفروه من أهل الردة على اختلافهم ، وكفر على الغلاة . وكفر من بعدهم من العلماء القدرية ونحوهم كتكفيرهم للجهمية ، وقتلهم لجعد بن درهم وجهم بن صفوان ، ومن على رأيهم وقتلهم للزنادقة ، وهكذا فى كل قرن وعصر من أهل العلم والفقه والحديث طائفة قائمة تكفر من كفره الله وسوله وقام الدليل على كفره لا يتحاشون عن ذلك ، بل يرونه من واجبات الدين وقواعد الاسلام وفى الحديث « من بدل دينه فاقتلوه » وبعض العلماء يرى أن هذا والجهاد عليه ركن لا يتم الاسلام بدونه ، وقد سلك سبيلهم الأئمة الأربعة المقلدون وأتباعهم فى كل عصر ومصر . وكفروا طوائف أهل الاحداث كالقرامطة والباطنية ،

وكفروا العبيديين ملوك مصر وقاتلوهم وهم يبنون المساجد ، ويصلون ، ويؤذنون ويدعون نصر أهل البيت . وصنف ابن الجوزى كتاباً سماه « النصر على مصر » ذكر فيه وجوب قتالهم وردتهم ، وأن دارهم دار حرب ، وقد عقد الفقهاء فى كل كتاب من كتب الفقه المصنفة على مذاهبهم باباً مستقلا فى حكم أهل الاحداث التى توجب الردة وسماه أكثرهم باب الردة وعرّفوا المرتد بأنه الذى يكفر بعد اسلامه . وذكروا أشياء دون مانحن فيه من المكفرات حكموا فيه بكفر فاعلها ، وإن صلى وصام وزعم أنه مسلم فما المانع تكفير من أشرك بالله وعدل به سواه ، واتخذ معه الآلهة والانداد ، وانما يهمل هذا من لم يؤمن بالله ورسوله ، ولم يعظم أمره ، ومن لم يسلك صراطه ، ولم يقدر الله ورسوله حق قدره ، بل ولا قدر علماء الأمة وأئمتها حق قدرهم .

وأما قوله فعمد إلى الآيات القرآنية النازلة فى المشركين فجعلها عامة شاملة لجميع المسلمين الذين يزورون قبر نبيهم صلى ﷺ ويستشفعون به إلى ربهم نابذاً وراء ظهره كل ما خالف أمانيه الباطلة ، وسولت له نفسه الامارة بالسوء من أحاديث سيد المرسلين ، وأقوال أئمة الدين والمجتهدين .

فالجواب أن يقال هذا كذب على الشيخ فانه ما عمد الى الآيات القرآنية النازلة فى المشركين فجعلها عامة شاملة لجميع المسلمين ، وانما استدل بالايات القرآنية النازلة فى المشركين وجعلها عامة شاملة لمن أشرك بالله وعدل به سواه وبدل دينه ، وفعل كما فعل المشركون من صرف خالص حق الله لمن أشركوا به واتخذوهم شفعاء من دونه ، وسيأتى الكلام على هذا فى محله ان شاء الله تعالى

وقوله نابذاً وراء ظهره الى آخره .

أقول انما نبذ وراء ظهره كل ما خالف كتاب الله وسنة رسوله وخالف أقوال أئمة الدين المجتهدين وهو ـ ولله الحمد ـ متبع لامبتدع ، وانما أمانيه القيام بأوامر الله وشرعه ، ودينه ، ودعوة الناس الى ذلك ، والجهاد على ذلك ، ولم تسول له نفسه ما يخالف الكتاب والسنة ، وانما قام أشدّ القيام فى اتباع الكتاب والسنة ورد ما خالفهما ، وترك ما ألفه أعداء الله ورسوله الزنادقة من

الاحاديث المكذوبة الموضوعة ، واذا لم يجد فى كتاب الله وسنة رسوله شيئاً اعتمد على أقوال أئمة الدين والعلماء المجتهدين ، وذلك معروف فى رسائله ومصنفاته ولا ينكره إلا مكابر .

وأما قوله حتى أنه لما رأى الاجماع مصادماً لما ابتدعه أنكره من أصله .

فأقول ما أنكر الشيخ إلا اجماع أهل الكفر بالله والاشراك به على عبادة غير الله وجعلهم معه آلهة وأنداداً يستغيثون بهم ويلجئون اليهم فى الرغبات والرهبات والطلبات ويطلبون منهم تفريج الكربات وأغاثة اللهفات ويصرفون لهم خالص حق الله من الدعاء والحب والتعظيم والخوف والرجا والتوكل والانابة والاستغاثة والذبح والنذر والالتجاء وسائر أنواع العبادة التى صرفها المشركون لغير الله ، وخرق هذا الاجماع واجب على كل مسلم وليس هذا هو الاجماع الذى يشير اليه العلماء الذى من خالفه فقد ضل وانما هذا هو اجماع من ضل عن الصراط المستقيم وهم الأكثرون كما قال الله تعـــالى : (وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين) ، وقال تعالى : (وان تطع أكثر من فى الأرض يضلوك عن سبيل الله) . وقال تعالى : (وما وجدنا لأكثرهم من عهد وان وجدنا أكثرهم لفاسقين) ، وقال تعالى : (ولقد صدق عليهم ابليس ظنه فاتبعوه إلا فريقاً من المؤمنين)

وأما قوله : ولا أرى للناس بعد كتاب الله الذى جمع فأوعى كل رطب ويابس وتغافل عما جاء به كتاب الله من قوله تعالى : (ومن يتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا) .

فأقول هذا الكلام بهذا اللفظ لا يثبت عن الشيخ ولم نره فى شىء من كتبه ولا فى كلامه ولا فى رسائله بل الذى فى كتبه ومصنفاته الأمر بالاعتصام بالكتاب والسنة . قال رحمه الله تعالى فى مصنفه (أصول الايمان) باب الوصية بكتاب الله عز وجل . وقول الله تعالى : (اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ما تذكرون) عن زيد بن أرقم رضى الله تعالى عنه : أن رسول الله ﷺ خطب فحمد الله وأثنى ثم قال : « أما بعد أيها الناس انما أنا بشر

يوشك أن يأتيني رسول ربي فأجيب واني تارك فيكم ثقلين أولها كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله وتمسكوا به ، فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال : « وأهل بيتي » وفي لفظ «كتاب الله هو حبل الله من اتبعه كان على الهدى ومن تركه كان على الضلالة » رواه مسلم وله في حديث جابر الطويل أنه ﷺ قال في خطبته يوم عرفة : « وقد تركت فيكم مالن تضلوا ان اعتصمتم به كتاب الله وأنتم تسألون عني فما أنتم قائلون ؟ » قالوا نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت . قال بأصبعه السبابة يرفعه الى السماء وينكبها الى الارض « اللهم اشهد » ثلاث مرات . وعن عليّ رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « انها ستكون فتنة » فقلنا ما المخرج منها يارسول الله ؟ قال : «كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم هو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى من غيره أضله الله هو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم هو الذي لاتزيغ به الاهواء ولا تلتبس به الالسنة ولا تشبع منه العلماء ولا يخلق على كثرة الرد ولا تنقضي عجائبه من قال به صدق ومن عمل به أجر ومن حكم به عدل ومن دعا اليه هدى الى صراط مستقيم » رواه الترمذي وقال غريب . وعن أبي الدرداء مرفوعا قال « ما أحل الله في كتابه فهو حلال وما حرم فهو حرام وما سكت عنه فهو عافية فاقبلوا من الله عافيته فان الله لم يكن ينسى شيئاً «وما كان ربك نسيا » رواه البزار وابن أبي حاتم والطبراني الى آخر الباب - ثم قال باب تحريضه ﷺ على لزوم السنة والترغيب في ذلك وترك البدع والتفرق والاختلاف والتحذير من ذلك ، عن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال : وعظنا رسول الله ﷺ موعظة فقال رجل يارسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا ، قال: « أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن كان عبداً حبشياً ، فانه من يعش منكم فسيرى إختلافا كثيراً فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ واياكم ومحدثات الأمور فان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة » صححه الترمذي ، ولمسلم عن جابر رضي الله

عنه قال : قال رسول الله ﷺ « أما بعد فان خير الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى محمد وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة » وللبخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه رفعه « كل أمتى يدخلون إلا من أبى » قيل ومن يأبى ؟ قال « من أطاعنى دخل الجنة ومن عصانى فقد أبى » إلى آخر الباب وله مصنفات ورسائل مملوءة بكلام الأئمة المهتدين والعلماء المجتهدين وله مختصر الشرح الكبير والانصاف على مذهب أحمد ولكن الهوى يعمى ويصم .

وأما قوله وتغافل عما جاء به كتاب الله من قوله (ومن يتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى) الآية .

فالجواب أن نقول إنّ اتباع سبيل المؤمنين لا يخالف كتاب الله وسنة رسوله والاجماع لا يخالف ما أمر الله به ورسوله فمن خرج عن كتاب الله وسنة رسوله لم يكن من المؤمنين واتباع سبيل المؤمنين هو تقديم كتاب الله وسنة رسوله على قول كل أحد كائناً من كان ، قال الإمام الشافعى رحمه الله : « أجمع الناس على أن من استبانت له سنة رسول الله ﷺ لم يكن له أن يدعها لقول أحد كائنا من كان » وقد اتبع رحمه الله سبيل المؤمنين فكان على ما كان عليه السلف الصالح والأئمة المهتدون فى باب معرفة الله وأسمائه وصفاته وباب العمل والعبادة لا يخالفهم فى كل ذلك لكن من خرج عن سبيلهم وعدل عن منهاجهم كالجهمية والمعتزلة وغلاة عباد القبـــور وكان فى الفروع على مذهب الامام أحمد بن حنبل رحمه الله كما هو مشهور فى الرسالة التى اختصرت لأهل مكة قال : ولا تنكر على من قلد أحد الأئمة الاربعة دون غيرهم لعدم ضبط مذاهب الغير كالرافضة والزيدية والامامية ونحوهم ولا نقرهم على شىء من مذاهبهم الفاسدة بل نجبرهم على تقليد أحد الائمة الاربعة ولا نستحق بمرتبة الاجتهاد المطلق ولا أحد لدينا يدعيها إلا أننا فى بعض المسائل إذا صح لنا نص جلى من كتاب أو سنة غير منسوخ ولا مخصص ولا معارض بأقوى منه وقال به أحد الائمة الاربعة أخذنا به وتركنا المذهب كأرث الجد والاخوة فانا نقدم الجد وان خالف مذهب الحنابلة ولا نفتش على أحد فى مذهبه ولا نعترض إلا اذا طلعنا على نص جلى كذلك مخالف لمذهب بعض الائمة

وكانت المسألة مما يحصل به شعار ظاهر كامام الصلاة فنأمر الحنفي والمالكي مثلا بالمحافظة على نحو الطمأنينة في الاعتدال والجلوس بين السجدتين لوضوح دليل ذلك بخلاف جهر الامام الشافعي بالبسملة وشتان بين المسألتين فاذا قوى الدليل أمرناهم للنص وأن خالف المذهب وذلك انما يكون نادراً جداً ولا مانع من الاجتهاد في بعض المسائل دون بعض فلا مناقضة لعدم دعوى الاجتهاد المطلق وقد سبق جمع من أئمة المذاهب الاربعة الى اختيارات لهم في المسائل مخالفين للمذهب ملتزمين تقليد صاحبه ، إنتهى .

وأما قوله على أنه لم يأخذ من كتاب الله الا ما نزل في المشركين من الآيات فأولها ظلماً منه وتجاسراً على الله تأويلا يسهل له الحصول على أمنيته وذلك بأن حملها على المسلمين فكفرهم منذ ستمائة عام وهدر دماءهم ، وأباح أموالهم ، وجعل بلادهم بلاد حرب .

(والجواب أن نقول) قد تقدم الجواب عن هذا فلا فائدة في الجواب عنه وما نعلم أن له أمنية في دعوته الخلق الى الله يتمنى حصولها الا أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئا ، وأن يخلعوا الانداد التي اتخذها المشركون أولياء من دونه (فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم واتبعوا أهواءهم بغير علم ومن اضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ، ان الله لا يهدي القوم الظالمين) والله الهادي الى صراط مستقيم .

(واما قوله) وقد قال النبي ﷺ في حديث جبريل كما في الصحيحين : « الاسلام أن تشهد أن لا اله الا الله ، وأن محمد رسول الله » الحديث . وفي الصحيحين من حديث عمر : «بني الاسلام على خمس ، شهادة أن لا اله الا الله ، وان محمداً عبده وسوله » الحديث. وقوله ﷺ لوفد عبد القيس « آمركم بالايمان بالله وحده ؟ أتدرون ما الايمان بالله وحده ؟ شهادة ان لا اله الا الله ، وان محمداً رسول الله » الحديث كما في الصحيحين وقوله ﷺ « امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله » الحديث. وقوله ﷺ « كفوا عن أهل لا اله الا الله » انتهى .

مراده بايراد هذه الاحاديث أن من أتى بناقض من نواقض لا إله إلا الله كدعاء الغائبين والأموات والنذر لهم والذبح أنه لا يكفر (كذلك يطبع الله على قلوب الذين لايعلمون) وسيأتى الكلام عليها فى محلها فيما بعد ان شاء الله تعالى .

فصل

قال العراقى الملحد ومن عجيب أمره أنه يموه على الناس بدعوى توحيد الله وتنزيهه قائلا إن التوسل بغير الله شرك مع أنه يفصح عن استواء الله تعالى على العرش بمثل الجلوس عليه ويثبت له اليد والوجه والجهة ويقول بصحة الاشارة اليه فى السماء ويدعى أن نزوله الى السماء الدنيا حقيقة فيجسمه (تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً) . فأين تنزيه الله تعالى بعد جعله جسما يشترك معه حتى اخس الجمادات وفى ذلك من التنقص والازراء بألوهيته سبحانه ماهو منزه عنه .

فالجواب أن يقال لهذا الجهمى المشرك بالله فى عبادته النافى لصفاته ونعوت جلاله قد بينا فيما تقدم أن الشيخ لا يكفر بمجرد التوسل الذى يعرفه أهل العلم من لفظ التوسل . وأما التوسل باصطلاح هؤلاء الغلاة فسيأتى الكلام عليه فى محله ان شاء الله تعالى .

وأما قوله مع أنه يفصح عن استواء الله تعالى على العرش بمثل الجلوس عليه (فالجواب أن نقول) قد جاء الخبر بذلك عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه الذى ضرب الله الحق على لسانه كما رواه الامام عبدالله بن الامام أحمد بن حنبل فى كتاب السنة له الرد على الجهمية قال : حدثنى أبى وعبد الأعلى ابن حماد النرسى قالا حدثنا عبد الرحمن بن مهدى حدثنا سفيان عن أبى اسحاق عن عبد الله بن خليفة عن عمر قال : « اذا جلس تبارك وتعالى على الكرسى سمع له أطيط كأطيط الرحل الجديد » ، وهذا الحديث حدث به أبو اسحاق السبيعى مقرراً له كغيره من أحاديث الصفات وحدث به كذلك سفيان الثورى وحدث به أبو أحمـــد الزبيرى وكشد بن أبى بكر ووكيع عن اسرائيل

ورواه أبو عبد الرحمن عبد الله بن أحمد بن حنبل أيضاً عن أبيه حدثنا وكيع بحديث اسرائيل عن أبى اسحاق عن عبد الله بن خليفة عن عمر رضى الله عنه : اذا جلس الرب على الكرسى فاقشعر رجل سماه أبى عند وكيع فغضب وكيع وقال أدركنا الاعمش وسفيان يحدثون بهذا الحديث ولا ينكرونه ، قلت وهذا الحديث صحيح عند جماعة من المحدثين أخرجه الحافظ ضياء الدين المقدسى ، واذا كان هـــؤلاء الأئمة أبو اسحاق السبيعى والثورى والاعمش واسرائيل وعبد الرحمن بن مهدى وأبو أحمد الزبيرى ووكيع وأحمد بن حنبل وغيرهم ممن يطول ذكرهم وعددهم الذين هم سرج الهدى ومصابيح الدجى قد تلقوا هـذا الحديث بالقبول وحـدثوا به ولم ينكروه ولم يطعنوا فى اسناده فمن نحن حتى ننكره ونتحذلق عليهم بل نؤمن به . قال الامام أحمد : لا نزيل عن ربنا صفة من صفاته بشناعة شنعت وان نبت عنه الاسماع فانظر الى وكيع بن الجراح الذى خلف سفيان الثورى فى علمه وفضله وكان يشبه به فى سمته وهديه كيف أنكر على ذلك الرجل وغضب لما رآه قد تلون لهذا الحديث وقال ابن القيم رحمه الله تعالى فى الكافية الشافية :

واذكر كلام مجاهد فى قوله — أقم الصلاة وتلك فى سبحان
فى ذكر تفسير المقام لأحمد — ماقيل ذا بالرأى والحسبان
ان كان تجسيما فان مجاهداً — هو شيخهم بل شيخه الفوقانى
ولقد أتى ذكر الجلوس به وفى — أثر رواه جعفر الربانى
أعنى ابن عم نبينا وبغيره — أيضاً أتى والحق ذو تبيان
والدارقطنى الامام يثبت الا — آثار فى ذا الباب غير جبان
وله قصيدة ضمنت هذا وفيـ — ـها لست للمروى ذا نكران
وجرت لذلك فتنة فى وقته — من فرقة التعطيل والعدوان
والله ناصر دينه وكتابه — ذا حكمه مذ كانت الفتان

وهذا نص الأبيات التى أشار اليها ابن القيم رحمه الله تعالى من كلام الدارقطنى رحمه الله تعالى :

حديث الشفاعة فى أحمد   إلى أحمد المصطفى نسنده
وأما حديث باقعاده   على العرش أيضاً فلا نجحده
فلا تنكروا أنه قاعد   ولا تنكروا أنه يقعده
أمروا الحديث على وجهه   ولا تدخلوا فيه مايفسده

فاذا ثبت هذا عن أئمة أهل الاسلام فلا عبرة بمن خالفهم من الطغام أشباه الأنعام .

وأما قوله ويثبت له اليد والوجه والجهة ويقول بصحة الاشارة اليه فى السماء .

(فالجواب أن نقول) نعم قد كان الشيخ محمد رحمه الله واتباعه يثبتون اليد والوجه لله تعالى ويصفون الله بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله وما وصفه به السابقون الأولون لا يتجاوزون القرآن والحديث كما قال الامام أحمد رضى الله عنه لا يوصف الله إلا بما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ لا تتجاوز القرآن والحديث ، ومذهب السلف أنهم يصفون الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل ونعلم أن ما وصف الله به نفسه من ذلك فهو حق ليس فيه لغز ولا أحاجى بل معناه يعرف من حيث يعرف مقصود المتكلم بكلامه لا سيما إذا كان المتكلم أعلم الخلق بما يقول وأفصح الخلق فى بيان العلم وأنصح الخلق فى البيان والتعريف والدلالة والارشاد وهو سبحانه مع ذلك ليس كمثله شىء لافى نفسه المذكورة بأسمائه . وصفاته ولا فى أفعاله فكما نتيقن أن الله سبحانه له ذات حقيقة وله أفعال حقيقة فكذلك له صفات حقيقة وهو ليس كمثله شىء لافى ذاته ولا فى صفاته ولا فى أفعاله فكل ما أوجب نقصاً أو حدوثاً فان الله منزه عنه حقيقة فالله سبحانه مستحق للكمال الذى لا غاية فوقه ويمتنع عليه الحدوث لامتناع العدم عليه واستلزام الحدوث سابقة العدم ولافتقار المحدث إلى محدث ولوجوب وجوده بنفسه سبحانه وتعالى ومذهب السلف بين التعطيل وبين التمثيل فلا يمثلون صفات الله بصفات خلقه كما لا يمثلون ذاته بذات خلقه

ولا ينفون ما وصف به نفسه ووصفه به رسوله فيعطلون أسماءه وصفاته العليا ويحرفون الكلم عن مواضعه ويلحدون فى أسماء الله وآياته، فاذا عرفت هذا فانا نثبت لله اليد كما أثبتها لنفسه ، كما قال تعالى : (وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء) وقال تعالى : (ياإبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدى) وقال تعالى (يد الله فوق أيديهم) وقال تعالى (والسموات مطويات بيمينه) الى غير ذلك من الآيات وتثبت أن لله وجها كما قال تعالى (كل شىء هالك الا وجهه) وقوله (ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام) وقوله (فأينما تولوا فثم وجه الله) الى غير ذلك من الآيات وقال ﷺ فى الحديث المتفق عليه « أنت موسى الذى اصطفاك الله بكلامه وخط لك الألواح بيده، وفى لفظ « وكتب لك التوراة بيده » وقال ﷺ كما فى صحيح مسلم « وغرس كرامة أوليائه فى جنة عدن بيده » وقوله ﷺ « تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة يتكفؤها الجبار بيده كما يتكفى أحدكم خبزته فى سفره نزلا لأهل الجنة » ومثل أحاديث أخر « بيده الامر - والخير فى يدك - والذى نفس محمد بيده - وان الله يبسط يده بالليل ليتوب مسىء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسىء الليل » وقوله « المقسطون عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن - وكلتا يديه يمين » وقوله « يطوى الله السموات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون ثم يطوى الارضين بشماله ثم يقول أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون » وقوله « يمين الله ملأى لا يغيضها نفقة سحاء الليل والنهار أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والارض فانه لم يغض مافى يمينه ، وعرشه على الماء وبيده الاخرى القسط يخفض ويرفع » وكل هذه الاحاديث فى الصحاح

وفى صحيح مسلم عن أبى ذر رضى الله عنه قال : قام فينا رسول الله ﷺ بخمس كلمات فقال « ان الله لا ينام ، ولا ينبغى له أن ينام ، يخفض القسط ويرفعه ، يرفع اليه عمل الليل قبل النهار وعمل النهار قبل الليل ، حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه »

وعن ابى موسى الاشعرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : جنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه فى جنة عدن » رواه البخارى ، والاحاديث فى هذا المعنى كثيرة .

وقال الامام عثمان بن سعيد الدارمى فى الرد على الجهمية : لما فرغ المريسى من انكار اليدين ونفيهما عن الله عز وجل أقبل قبل وجه الله ذى الجلال والاكرام ينفيه عنه الى أن قال : واستمر الجحود به حتى ادعى أن وجه الله الذى وصفه بأنه ذو الجلال والاكرام مخلوق لأنه ادعى انه أعمال مخلوقة يتوجه بها اليه وثواب وانعام مخلوق يثيب به العامل وزعم أنه قبلة الله وقبلة الله لاشك مخلوقة ثم ساق الكلام فى الرد عليه وأن القول بأن لفظ الوجه مجاز باطل . انتهى .

(وأما الجهة) فقال شيخ الاسلام فى المنهاج : فان مسمى لفظ الجهة يراد به أمر وجودى كالفلك الأعلى ويراد به أمر عدمى كما وراء العالم ، فان أريد الثانى أن يقال كل جسم فى جهة ، واذا أريد الأول امتنع أن يكون كل جسم فى جسم آخر ، فمن قال البارى فى جهة وأراد بالجهة أمرا موجودا فكل ماسواه مخلوق له فى جهة بهذا التفسير فهو مخطىء ، وان أراد بالجهة أمراً عدمياً وهو ما فوق العالم وقال ان الله فوق العالم فقد أصاب ، وليس فوق العالم موجود غيره فلا يكون سبحانه فى شىء من الموجودات ، وأما إذا فسرت الجهة بالامر العدمى فالعدم لا شىء وهذا ونحوه من الاستفسار وبيان ما يراد به اللفظ من معنى صحيح وباطل يزيل عامة الشبه ، فاذا قال نافى الرؤية لو رؤى لكان فى جهة وهذا ممتنع ، فالرؤية ممتنعة ، قيل له : ان أردت بالجهة أمراً وجودياً فالمقدمة الاولى ممنوعة ، وان أردت بالجهة أمرا عدمياً فالثانية ممنوعة ، فيلزم بطلان أحد المقدمتين على كل تقدير ، فتكون الحجة باطلة ، وذلك أنه ان أراد بالجهة أمراً وجودياً لم يلزم أن كل مرئى فى جهة وجودية ، فان سطح العالم الذى هو أعلاه ليس فى جهة وجودية ومع هذا تجوز رؤيته فانه جسم من الاجسام

فبطل قولهم كل مرئى لا بد أن يكون فى جهة ان أراد بالجهة أمراً وجودياً ، وان أراد بالجهة أمراً عدمياً منع المقدمة الثانية ، فانه اذا قال البارى ليس فى جهة عدمية وقد علم أن العدم ليس بشيء كان حقيقة قوله أن البارى لا يكون موجوداً قائماً بنفسه حيث لا موجود إلا هو وهذا باطل ، وان قال أحد يستلزم أن يكون جسما أو متحيزاً عاد الكلام معه فى مسمى الجسم المتحيز ، فان قال هذا يستلزم أن يكون مركباً من الجواهر المنفردة أو من المادة والصورة وغير ذلك من المعانى الممتنعة على الرب لم يسلم له هذا التلازم ، وان قال يستلزم أن يكون الرب يشار اليه برفع الأيدى فى الدعاء ، وتعرج الملائكة والروح اليه ، ويعرج محمد ﷺ اليه ، وتنزل الملائكة من عنده ، وينزل منه القرآن ونحو ذلك من اللوازم التى نطق بها الكتاب والسنة وما كان فى معناها ، قيل له لا نسلم انتفاء هذه اللوازم ، فان قال : ما استلزم هذه اللوازم فهو جسم ، قيل ان أردت أنه يسمى جسما فى اللغة والشرع فهذا باطل ، وان أردت أن يكون جسما مركباً من المادة والصورة أو من الجواهر المركبة ، فهذا أيضاً ممنوع فى العقل فانما هو جسم باتفاق العقلاء كالأجسام لانسلم أنه مركب بهذا الاعتبار كما قد بسط فى موضعه وتمام ذلك بمعرفة البحث العقلى فى تركيب الجسم الاصطلاحي من هذا وهذا ، وقد بسط فى غير هذا الموضع وتبين به أن قول هؤلاء وهؤلاء باطل مخالف للأدلة العقلية القطعية . انتهى ، وقال فى كتابه (موافقة العقل الصحيح للنقل الصريح) وكذلك اذا قالوا ان الله منزه عن الحدود والأحياز والجهات أوهموا الناس بأن مقصودهم بذلك أنه لا تحصره المخلوقات ولا تحوزه المصنوعات وهذا المعنى صحيح ومقصودهم أنه ليس مباثنا للخلق ، ولا منفصلا عنه ، وأنه ليس فوق السموات رب ولا على العرش إله وأن محمداً لم يعرج به اليه ولم ينزل شيئاً ولا يصعد اليه شيء ولا يتقرب اليه بشيء ولا الأيدى اليه فى الدعاء ولا غيره وغير ذلك من معانى الجهة ، واذا قالوا أنه ليس بجسم أوهموا الناس أنه ليس من جنس المخلوقات ولا مثل أبدان الخلق وهذا المعنى صحيح ولكن مقصودهم بذلك أنه لا يرى ولا يتكلم بنفسه

ولا تقوم به صفة ولا هو مبائن للخلق وأمثال ذلك . انتهى

فاذا تبين لك هذا وتحققته فهذه الألفاظ لم يرد بها نص عن رسول الله ﷺ ولا عن أصحابه ولا عن السلف الصالح ولا الأئمة الاربعة ولا غيرهم من أئمة الحديث فاذا اتضح لك هذا فلفظ الجهة لا تثبته مطلقا ولا تنفيه مطلقاً ، لانه محتمل لمعنيين باطل وصحيح ، فمن أطلقه نفيا أو اثباتا سئل عما أراد به ، فان قال أردت بالجهة انه منزه عن جهة وجودية تحيط به وتحويه احاطة الظرف بالمظروف ، قيل له نعم هو أعظم من ذلك وأكبر وأعلى ، ولكن لا يلزم من كونه على عرشه هذا المعنى ، وان أراد بالجهة أمراً يوجب مباينة الخالق للمخلوق وعلوه على خلقه واستواءه على عرشه ، فنفيه بهذا المعنى باطل ، وتسميته جهة اصطلاحى منه توصل به الى نفى مادل عليه العقل والنقل فسمى ما فوق العالم جهة وقال منزه عن الجهة اه وبهذا يندفع عنا ما ألزمنا به من لم يعرف حقيقة ما عندنا ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

وأما قوله : ويقول بصحة الاشارة اليه فى السماء .

(فالجواب أن نقول) نعم نقول به ونعتقده وندين الله به ونشهد الله وملائكته وجميع خلقه على اعتقاد ذلك ، عليه نحيي وعليه نموت وعليه نبعث ان شاء الله تعالى لأنه ليس فى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ولا عن أحد من سلف الأمة لا من الصحابة ولا من التابعين لهم باحسان ولا عن الأئمة الذين أدركوا زمن الاهواء والاختلاف حرف واحد يخالف ذلك لا نصاً ولا ظاهراً ولم يقل أحد منهم قط ان الله ليس فى السماء ولا أنه ليس على العرش ولا أنه بذاته فى كل مكان ولا ان جميع الأمكنة بالنسبة اليه سواء ولا أنه لا داخل العالم ولا خارجه ولا منفصل عنه ولا متصل ، ولا أنه لا تجوز الاشارة إليه بالأصابع ونحوها ، بل قد ثبت فى الصحيح عن جابر بن عبد الله ان رسول الله ﷺ لما خطب خطبته العظيمة يوم عرفات فى أعظم مجمع حضره الرسول ﷺ جعل يقول « ألا هل بلغت ؟ » فيقولون : نعم ، فيرفع أصبعه الى السماء وينكبها اليهم ويقول « اللهم اشهد » غير مرة .

قال ابن القيم رحمه الله تعالى فى اعلام الموقعين فى بيان رد الجهمية للنصوص المحكمة : الثالث عشر الاشارة اليه حسا الى العلو كما أشار اليه من هو أعلم به وما يجب له ويمتنع عليه من افراخ الجهمية والمعتزلة والفلاسفة فى أعظم مجمع على وجه الأرض برفعه أصبعه الى السماء ويقول « اللهم اشهد » ليشهد الجمع ان الرب الذى أرسله ودعا اليه واستشهده هو الذى فوق سمواته على عرشه . انتهى

فتبين من هذا ان هذا المذهب الملعون — أعنى انكار الاشارة اليه بالاصبع الى السماء — مذهب افراخ الجهمية والمعتزلة والفلاسفة وقد استدل الملحد بكلام شيخ الإسلام وابن القيم على عدم تكفير أهل الاهواء ورأى أنهما من العلماء المجتهدين الذين يعمل بأقوالهم ، فاذا لم يكن ما قالاه هنا حقا انتقض عليه الاستدلال بكلامهما هنالك .

وقوله : ويدعى ان نزوله الى السماء الدنيا حقيقة فيجسمه تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً . فأين تنزيه الله تعالى بعد جعله جسما يشترك فيه معه أخس الجمادات وفى ذلك من النقص والازراء بألوهيته سبحانه ما هومنزه عنه.

فالجواب أن نقول : نعم قد ثبت ذلك بالكتاب والسنة وأجمع على ذلك أهل السنة والجماعة ، وقد ذكر ابن القيم رحمه الله تعالى أحاديث النزول فى الصواعق المرسلة وذكر من كلام الأئمة ومن الأجوبة العقلية والنقلية ما يكفى ، وذكر فى حادى الأرواح الاحاديث الواردة فى ذلك ، فمن أراد الوقوف عليها فليراجعها ونذكر هنا شيئاً يسيراً من كلام الأئمة ليتبين لهذا الجاهل أنه قد اتبع سبيل افراخ الجهمية والفلاسفة والمعتزلة وأنه قد حاد عن سبيل المؤمنين .

قال شيخ الاسلام قال أبو عبد الله محمد بن عبد الله الدمينى الامام المشهور من أئمة المالكية فى كتابه الذى صنفه فى أصول السنة فى باب الايمان بالنزول قال : ومن قول أهل السنة ان الله ينزل إلى سماء الدنيا ويؤمنون بذلك من غير أن يحدوا فيه حداً ، وذكر الحديث من طريق مالك وغيره الى أن قال : وأخبرنى وهب عن ابن وضاح عن الزهرى ابن عباد قال : وممن أدركت من المشايخ مالك وسفيان وفضيل بن عياض وعيسى بن المبارك ووكيع كانوا يقولون أن النزول

حق ، قال ابن وضاح : وسألت يوسف بن عدين عن النزول قال نعم أؤمن به ولا احد فيه حداً ، وسألت عنه ابن معين فقال نعم أؤمن به ولا أحد فيه حداً اه وقال أبو عثمان الصابونى فلما صح خبر النزول عن رسول الله ﷺ أقر به أهل السنة وقبلوا الخبر وأثبتوا النزول على ماقاله رسول الله ﷺ ولم يعتقدوا تشبيها له بنزول خلقه وعلموا وعرفوا وتحققوا واعتقدوا أن صفات الرب تبارك وتعالى لا تشبه صفات الخلق كما أن ذاته لا تشبه ذوات الخلق تعالى الله عما يقول المشبهة والمعطلة علواً كبيراً ، ولعنهم الله لعناً كثيراً ، وقال الامام العارف معمر بن أحمد الاصبهانى شيخ الصوفية فى حدود المائة الرابعة قال : أحببت أن أوصى أصحابى بوصية من السنة ، وموعظة من الحكمة ، وأجمع ما كان عليه أهل الحديث والاثر بلا كذب ، وأهل المعرفة والتصوف من المتقدمين والمتأخرين قال فيها : وان الله استوى على عرشه بلا كيف ولا تشبيه ولا تأويل ، والاستواء معقول والكيف فيه مجهول ، وأنه عز وجل بائن عن خلقه والخلق منه بائنون بلا حلول ولا ممازجة ، ولا اختلاط ولا ملاصقة ، لأنه الفرد البائن من الخلق الواحد الغنى عن الخلق وان الله عز وجل سميع بصير عليم خبير يتكلم ويرضى ويسخط ويضحك ويعجب ويتجلى لعباده يوم القيامة ضاحكا وينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا كيف شاء فيقول هل من داع فأستجيب له ؟ هل من مستغفر فأغفر له هل من تائب فأتوب عليه حتى يطلع الفجر ، ونزول الرب إلى السماء بلا كيف ولا تشبيه ولا تأويل ، فمن أنكر النزول أو تأول فهو مبتدع ضال وسائر الصفوة على هذا . اه

وقال الشيخ الامام أبو بكر أحمد بن هارون الخلال فى كتاب السنة حدثنا أبو بكر الأثرم حدثنا إبراهيم بن الحارث يعنى العبادى حدثنا الليث بن يحيى قال سمعت ابراهيم ابن الأشعث قال أبو بكر — هو صاحب الفضيل — قال : سمعت الفضيل بن عياض يقول : ليس لنا أن نتوهم فى الله كيف هو لأن الله تعالى وصف نفسه فأبلغ فقال (قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد) فلا صفة أبلغ مما وصف به نفسه ، وكل هذا النزول

والضحك، وهـذه المباهات ، وهذا الاطلاع كما يشاء أن ينزل، وكما يشاء أن يباهى ، وكما يشاء أن يضحك ، وكما يشاء أن يطلع . فليس لنا أن نتوهم كيف وكيف ، فاذا قال الجهمى أنا أكفر برب يزول عن مكانه فقل ، بل أو من برب يفعل ما يشاء ونقل هذا عن الفضيل جماعة منهم البخارى فى كتاب خلق أفعال العباد . انتهى .

وقال الامام أبو عبد محمد بن خفيف فى كتابه الذى سمـاه اعتقاد التوحيد فى اثبات الاسمـاء والصفات قال : وممـا نعتقده أن الله ينزل كل ليلة الى سمـاء الدنيا فى ثلث الليل الآخر فيبسط يده فيقول هل من سائل ، الحديث . وقال أبو الحسن الأشعرى فى كتابه الذى سماه الابانة فى أصول الديانة ، وقد ذكر أصحابه أنه آخر كتاب صنفه وعليه يعتمدون فى الذب عنه عند من يطعن عليه . فقال فصل فى ابانة قول أهل الحق والسنة ، فان قال قائل قد أنكر ثم قول المعتزلة ، والقدرية ، والجهمية ، والحرورية ، والرافضة ، والمرجئة ، فعرفونا قولكم الذى به تقولون ، وديانتكم التى بهـا تدينون ، قيل له قولنا الذى نقول به ، وديانتنا التى ندين بها التمسك بكلام ربنا ، وسنة نبينا ، وما روى عن الصحابة والتابعين ، وأئمـة الحديث ، ونحن بذلك معتصمون ، وبمـا كان يقول به أبو عبد الله أحمد بن حنبل نضر الله وجهه ، ورفع درجته ، وأجزل مثوبته قائلون وما خالف قوله ، مخالفون لأنه الامام الفاضل ، والرئيس الكامل الذى أبان الله به الحق ، ورفع به الضلالة ، وأوضح به المنهاج ، وقمع به بدعة المبتدعين ، وزيغ الزائغين ، وشك الشاكين ، فرحمة الله عليه من امام مقدم ، وجليل معظم ، وكبير مفهم ، الى أن قال : وانه مستو على عرشه كما قال : (الرحمن على العرش استوى) ، وان له وجهاً كما قال : (ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام) ، وأن له يدين بلا كيف كما قال خلقت بيدى ، وقال بل يداه مبسوطتان ، ينفق كيف يشاء ، الى أن قال ونصدق بجميع الروايات التى أثبتها أهل النقل من النزول الى سماء الدنيا ، وأن الرب عز وجل يقول : هل من سائل ، هل من مستغفر ، وسائر

ما نقلوه وأثبتوه خلافا لما قال : أهل الزيغ والتضليل . انتهى .

وقال عثمان بن سعيد الدارمى فى كتابه المعروف بنقض عثمان بن سعيد على المريسى الجهمى العنيد فيما افترى على الله فى التوحيد . قال : وادعى المعارض أيضاً أن قول النبى ﷺ : « ان الله ينزل الى السماء الدنيا حين يمضى ثلث الليل فيقول هل من مستغفر ، هل من تائب ، هل من داع ، قال فادعى أن الله لا ينزل بنفسه انما ينزل أمره ورحمته وهو على العرش ، وبكل مكان من غير زوال لأنه الحى القيوم ، والقيوم بزعمه من لا يزول ، قال : فقال لهذا المعارض ، وهذا أيضاً من حجج النساء والصبيان ، ومن ليس عنده بيان ، ولا لمذهبه برهان ، لأن أمر الله ورحمته ينزل فى كل ساعة ووقت وأوان ، فما بال النبى ﷺ يحد لنزوله الليـــل دون النهار ، ويوقت من الليل شطره أو الأسحار ، فأمره ورحمته يدعوان العباد الى الاستغفار ، أو بقدر الأمر والرحمة أن يتكلما دونه فيقولا : هل من داع فأجيبه ، هل من مستغفر فأغفر له ، هل من سائل فأعطيه ، فان قررت مذهبك لزمك أن تدعى أن الرحمة والأمر هما اللذان يدعوان الى الاجابة والاستغفار بكلامه دون الله وهـذا محال عند السفهاء ، فكيف عند الفقهاء ، قد علمتم ذلك ولكن تكابرون ، وما بال رحمته وأمره ينزلان من عنده شطر الليل ، ثم يمكثان الى طلوع الفجر ، ثم يرفعان لأن رفاعة راويه يقول فى حديثه حتى ينفجر الفجر ، قد علمتم ان شاء الله أن هـذا التأويل باطل ولا يقبله الا جاهل ، وأما دعواك أن تفسير القيوم الذى لا يزول عن مكانه ولا يتحرك ، فلا يقبل منك هذا التفسير الا بأثر صحيح مأثور عن رسول الله ﷺ أو عن بعض أصحابه ، أو التابعين لان الحى القيوم يفعل ما يشاء ، ويتحرك اذا شاء ، ويهبط ويرتفع اذا شاء ، ويقبض ، ويبسط ، ويقوم ، ويجلس اذا شاء ، لأن امارة ما بين الحى والميت والمتحرك كل حى متحرك لا محالة ، وكل ميت غير متحرك لا محالة ، ومن يلتفت الى تفسيرك وتفسير صاحبك مع تفسير نبى الرحمة ورسول رب العزة ، إذ فسر نزوله مشروعا منصوصا ، ووقت لنزوله وقتاً

مخصوصاً لم يدع لك ولا لاصحابك فيه لعباً ولا عويصاً انتهى . ولو ذهبنا ننقل أقوال العلماء أهل السنة والجماعة المتفق على امامتهم ودرايتهم لطال الكلام ، وبما ذكرناه يندفع الخصام ، وينجلي تلبيس هؤلاء الجهلة الطغام ، فنقتصر على ما ذكر من كلام أئمة الاسلام .

وأما قوله فيجسمه تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً

فيقال فى جوابه انك أيها الضال المضل لاتفهم من كون الله على العرش إلا ما يثبت لأىّ جسم كان على أى جسم كان ، وهذا الكلام اللازم بعينه تابع لهذا المفهوم ، وأما استواء يليق بجلال الله ، ونزول ، وهبوط ، وارتفاع يليق بجلال الله ويختص به ، فلا يلزمه شيء من اللوازم الباطلة التى يجب نفيها كما يلزم سائر الاجسام ، وصار هذا مثل قول الممثل اذا كان للعالم صانع ، فاما أن يكون جوهراً أو عرضاً ، وكلاهما محال إذ لا يعقل موجود إلا هذان .

وقوله اذا كان مستويا على العرش فهو مماثل لاستواء الانسان على السرير، والفلك إذ لايعلم الاستواء إلا هكذا ، فان كليهما مثل ، وكلاهما عطل حقيقة ماوصف الله به نفسه ، وامتاز الأول بتعطيل كل اسم لا استواء الحقيقة . وامتاز الثانى باثبات استواء هو من خصائص المخلوقين ، والقول الفاصل هو ماعليه الأمة الوسط من أن الله مستو على عرشه استواء يليق بجلاله ويختص به ، ونزول وارتفاع يليق به ويختص به ، فكما أنه موصوف بأنه بكل شيء عليم وعلى كل شيء قدير ، وأنه سميع بصير ونحو ذلك — ولا يجوز أن يثبت للعلم والقدرة خصائص الاعراض التى كعلم المخلوقين وقدرتهم - فكذلك هو سبحانه فوق العرش وينزل منه كل آخر ليلة إلى سماء الدنيا ولايثبت لفوقيته ، ونزوله وصعوده خصائص فوقية المخلوق على المخلوق ، ونزوله وصعوده وملزوماتها .

وأما زعمه أنا نجسمه اذا اثبتنا ما اثبته الله لنفسه فهذا ليس ببدع من ألقاب أهل الضلال ثم اعلم أنه ليس أحد منا يقول ان الله جسم فان هذا اللفظ عندنا مبتدع محدث فى الاسلام لم يقل به أحد من السلف الصالح والصدر الأول وأول ما ظهر اطلاق لفظ الجسم من متكلمة الشيعة كهشام بن الحكم كذا نقل ابن حزم

وغيره ، قال أبو الحسن الاشعرى فى كتاب مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين اختلف الروافض أصحاب الأمامية فى التجسيم وهم ست فرق (فالفرقة الأولى) الهشامية أصحاب هشام بن الحكم الرافضى يزعمون أن معبودهم جسم وله نهاية وحد طويل عريض عميق طوله مثل عرضه وعرضه مثل عمقه لا يوفى بعضه عن بعض وزعموا أنه نور ساطع له قدر من الأقدار فى مكان دون مكان كالسبيكة الصافية يتلألؤ كاللؤلؤة المستديرة من جميع جوانبها ذو لون وطعم ورائحة ومجسة وذكر كلاما طويلا . (والفرقة الثانية) من الرافضة يزعمون أن ربهم ليس بصورة ولا كالأجسام وإنما يذهبون فى قولهم انه جسم الى أنه موجود ولا يثبتون البارى ذا اجزاء مؤتلفة وأبعاض متلاصقة ويزعمون أن الله على العرش مستو بلا مماسة ولا كيف (والفرقة الثالثة) من الروافض يزعمون أن ربهم على صورة الانسان ويمنعون أن يكون جسما (والفرقة الرابعة) من الرافضة الهشامية أصحاب هشام بن سالم الجواليقى يزعمون أن ربهم على صورة الإنسان وينكرون أن يكون لحما ودما ويقولون إنه نور ساطع يتلألأ بياضاً وإنه ذو حواس كحواس الانسان له يد ورجل وأنف واذن وفم وعين وانه يسمع بغير ما به يبصر وكذلك سائر حواسه متغايرة عندهم قال وحكى أبو عيسى الوراق أن هشام بن سالم كان يزعم أن لربه وفرة متغايرة سوداء وأن ذلك نور اسود (والفرقة الخامسة) يزعمون أن لرب العالمين ضياء خالصا ونوراً بحتاً وهو كالمصباح الذى من حيث ما جئته يلقاك بنور وليس بذى صورة ولا أعضاء ولا اختلاف فى الاجزاء وانكروا أن يكون على صورة الإنسان أو على صورة شىء من الحيوان قال (والفرقة السادسة) من الرافضة يزعمون أن ربهم ليس بجسم ولا بصورة ولا يشبه الأشياء ولا يتحرك ولا يسكن ولا يماس وقالوا فى التوحيد بقول المعتزلة والخوارج قال أبو الحسن الاشعرى وهؤلاء قوم من متأخريهم فأما أوائلهم فانهم كانوا يقولون بما حكينا عنهم .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية وهذا الذى ذكره أبو الحسن الأشعرى عن قدماء الشيعة من القول بالتجسيم قد اتفق على نقله عنهم أرباب المقالات حتى

نفس الشيعة كابن النوبختي ذكر ذلك عن هؤلاء الشيعة ثم ذكر من قال بالتجسيم من المتكلمين وغيرهم ممن يزعم أنه من أهل السنة الى أن قال وأئمة النفاة يعني نفاة التجسيم هم الجهمية من المعتزلة ونحوهم يجعلون من أثبت الصفات مجسما بناه عندهم على أن الصفات عندهم لا تقوم إلا بجسم ويقولون إن الجسم مركب من الجواهر المنفردة ومن المادة والصور فقال لهم أهل الاثبات قولكم منقوض باثبات الأسماء الحسنى فان الله تعالى حي عليم قدير وإن أمكن اثبات حي عليم قدير وليس بجسم أمكن أن يكون له حياة وعلم وقدرة وليس بجسم وإن لم يمكن ذلك فما كان جوابكم عن اثبات الأسماء كان جوابنا عن اثبات الصفات ، انتهى المقصود منه . فاذا تبين لك أن هذا المذهب اعني القول بالتجسيم هو مذهب هؤلاء المبتدعة الضلال ومن وافقهم من أتباع الائمة فمذهب الوهابية هو مذهب أهل السنة المحضة كالامام أحمد وذويه فلا يطلقون لفظ التجسيم لا نفياً ولا اثباتاً لوجهين أحدهما أنه ليس مأثوراً لا في كتاب ولا سنة ولا أثر عن أحد من الصحابة والتابعين لهم باحسان ولا غيرهم من أئمة المسلمين فصار من البدع المذمومة (الثاني) أن معناه يدخل فيه حق وباطل ، انتهى من المنهاج لشيخ الاسلام رحمه الله وتمام الكلام فيه فمن أراد الوقوف عليه فليراجعه .

فصل

قال العراقي ومن عظيم سفهه أنه لما رأى العقل مخالفاً لجميع ما يدعيه خلع الحياء فعطل العقل ولم يحكمه في شيء وتصدى الى جعل الناس كالبهائم إلى آخر ما هذى به .

(والجواب أن نقول) لما رأى الشيخ رحمه الله أن هؤلاء الذين هم أفراخ المتفلسفة واتباع الهند واليونان وورثة المجوس والمشركين وضلال اليهود والنصارى والصابئين وأشكالهم وأشباههم فيما يعتقدونه أنهم في معرفة ذلك اعتمدوا على مجرد عقولهم ودفعوا بما اقتضى قياس عقولهم ما دل عليه الكتاب والسنة نصاً أو ظاهراً ولم يحكموا كتاب الله وسنة رسوله ولم يلتفتوا إلى أقوال

الصحابة ومن بعدهم من التابعين لهم باحسان ولم يسلكوا طريق الائمة فى باب معرفة الله وأسمائه وصفاته وأفعاله وفى باب العمل والعبادة وأنهم خالفوا صحيح العقل الموافق لصريح النقل بما أجمع عليه سلف الأمة وائمتها عطل عقول هؤلاء ولم يحكمها فى شىء فان البهائم التى لا تعقل شيئا اهدى سبيلا من عقول هؤلاء كما قال تعالى (إن هم إلا كالانعام بل هم أضل سبيلا) لأنها قد تهتدى إلى بعض منافعها وقد كان من المعلوم بالضرورة أن أصح الناس عقولا وأكملهم آراءً أصحاب رسول الله ﷺ والتابعين لهم باحسان ومن بعدهم من السلف الصالح والصدر الاول وأئمة الدين والحديث ومن على طريقهم فمن خالفهم فعقله فاسد ورأيه كاسد . ومن المعلوم أيضاً أن الشيخ رحمه الله لم ينف معقول هؤلاء الائمة بل حكم ما وافق المنقول من معقولهم واعتمده فى رد أباطيل هؤلاء الملاحدة واشباههم وكذلك ما أصلوه من الاصول وبنوا عليه من الفروع الموافق لقواعد الشريعة المطهرة يعمل به ويحكم به فمن نسب اليه غير ذلك فقد أخطأ وظلم نفسه وافترى عليه وقد خاب من افترى .

فصل

قال العراقى قد آن لنا أن نذكر هنا خلاصة ماتمذهبت به الفرقة المارقة والوهابية من الاباطيل ثم نتكلم عليها فى المباحث الآتية بما يردها ويدحض حجتها فنقول قد اشتملت عقيدتهم الباطلة على أمور (الاول) اثبات الوجه واليد والجهة للبارىء سبحانه وجعله جسما ينزل ويصعد (الثانى) تقديم النقل على العقل وعدم جواز الرجوع اليه فى الامور الدينية (الثالث) نفى الاجماع وانكاره (الرابع) نفى القياس (الخامس) عدم جواز التقليد للمجتهدين من أئمة الدين وتكفير من قلدهم (السادس) تكفيرهم لكل من خالفهم من المسلمين (السابع) النهى عن التوسل إلى الله تعالى بالرسول أو بغيره من الاولياء والصالحين (الثامن) تحريم زيارة قبور الأنبياء والصالحين (التاسع) تكفير من حلف بغير الله وعده مشركا (العاشر) تكفير من نذر لغير الله أو ذبح عند مراقد الانبياء والصالحين

(فالجواب أن نقول) نعم قد اشتملت عقيدة الوهابيـة على اثبات الوجه واليد كما ثبت ذلك فى الكتاب والسنة وأقوال أئمة السلف كما هو معروف مشهور فى عقائدهم وفيما صنفوه من الرد على الجهمية وغيرهم من أهل البدع وذكرنا من ذلك طرفا فيما تقدم .

وأما لفظ الجهة وجعله سبحانه وتعالى جسما فهذا من الكذب على الوهابية وقد تقدم الكلام على ذلك قريبا وفيه بحث وتفصيل .

وأما كونه تعالى ينزل ويصعد فهو ثابت بالأحاديث الصحيحة أحاديث النزول وقد تقدم الكلام على ذلك وهو مما نعتقده وندين الله به على ما يليق بجلاله وعظمته ولو كره الكافرون .

(وأما قوله الثانى) تقديم النقل على العقل .

(فأقول) وهذا أيضا مما ندين الله به ونعتقده ومن لم يقدم النقل على العقل فما آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ومع ذلك نقول : إن العقل الصحيح لا يخالف النقل الصريح فان اختلفا فالعقل إما فاسد أو النقل غير صحيح ولا صريح .

وأما عدم جواز الرجوع اليه فى الأمور الدينية فما ذاك إلا لمخالفة النقل الصحيح الصريح . وأما اذا وافق النقل فلا مانع من جوازه عندنا بل نعتقد بذلك ونعتمده .

(وقوله الثالث) نفى الإجماع وانكاره .

(فأقول) هذا كذب فانا نعتقد أنه الأصل الثالث وأن الأمه لا تجمع على ضلالة لكن ننكر اجماع عباد القبور وأفراخ المتفلسفة وانباط الفرس والروم ومن نحا نحوهم ، وحذا حذوهم . وأيضا ننكر دعوى الاجماع على أن الاجتهاد قد انقطع ، وأن التقليد واجب .

(وقوله الرابع) نفى القياس .

(فأقول) أما نفى القياس مطلقا فمن الكذب فان فيه ما هو صحيح وفيه ما هو باطل .

(وقوله الخامس) عدم جواز التقليد للمجتهدين من أئمة الدين وتكفير من قلدهم .

(فأقول) وهذا أيضاً من الكذب على الوهابية فانهم كانوا على مذهب أحمد بن حنبل ولكن ربما يوجد ذلك فى كتب بعض من ينسبونه هؤلاء اليهم لإعتقاده أنهم على الحق وأنهم مخالفون لعباد القبور ولأهل الأهواء من أهل البدع كما قد يوجد ذلك فى كتب صديق الهندى وغيره .

(وقوله السادس) تكفيرهم كل من خالفهم من المسلمين .

(فأقول) وهذا أيضاً كذب على الوهابية فانهم لا يكفرون المسلمين وإنما يكفرون من كفر الله ورسوله وأهل العلم من غلاة عباد القبور وغلاة الجهمية وغلاة القدرية والجبرة وغلاة الروافض وغلاة المعتزلة وغيرهم ممن كفره السلف الصالح بعد قيام الحجة .

(وقوله السابع) النهى عن التوسل الى الله تعالى بالرسول وبغيره من الأولياء والصالحين .

(فأقول) نعم كانوا ينهون عن التوسل بالرسول وبغيره من الأولياء والصالحين بعد مماتهم وفى حال غيبتهم اذا كان التوسل على ما يعرف فى لغة الصحابة والتابعين والأئمة المهتدين . وأما فى حال حياتهم بهذا العرف فلا ينهون عنه ولا ينكرونه . وأما على عرف غلاة عباد القبور واصطلاحهم الحادث فهم ينهون عنه ويكفرون من دعا أهل القبور واستغاث بهم والتجأ اليهم بعد قيام الحجة عليهم .

(وقوله الثامن) تحريم زيارة قبور الأنبياء والصالحين .

(فأقول) وهذا أيضاً من الكذب على الوهابية فانه يجوز عندهم زيارة القبور على الوجه الشرعى . وأما شد الرحال اليها فيمنعون من ذلك وينكرونه لقوله ﷺ « لا تشد الرحال إلا الى ثلاثة مساجد » الحديث .

(وقوله التاسع) تكفير من حلف بغير الله وعده مشركا .

(فأقول) هذا كذب على الوهابية فانهم لا يكفرون بمجرد الحلف بغير الله وفيه بحث .

(وقوله العاشر) تكفير من نذر لغير الله أو ذبح عند مراقد الأنبياء والصالحين .

(فأقول) نعم يكفرون من نذر لغير الله وذبح لغيره فان النذر والذبح من خصائص الإلهية فمن أشرك بالله أحداً من المخلوقين فى خصائص الخالق فلا مانع من تكفيره بعد قيام الحجة عليه وسيأتى الكلام على كلامه عليها ان شاء الله تعالى .

فصل

قال العراقى : تجسيم الوهابية

إن الوهابية التى كفرت من زار قبر رسول الله ﷺ متوسلا الى الله تعالى وعدّت ذلك شركا فى الوهيته وقالت بوجوب تنزيهه تعالى قد خبطت كل الخبط فى تنزيه الله تعالى حيث أبت إلا جعل استوائه سبحانه ثبوتا على عرشه ، واستقراراً وعلواً فوقه واثبتت له الوجه واليدين و بعضته سبحانه فجعلته ماسكا بالسموات على اصبع ، والأرضين على اصبع ، والشجر على اصبع ، والملك على اصبع ثم اثبتت له الجهة فقالت هو فوق السموات ثابت على العرش يشار اليه بالاصابع الى فوق إشارة حسية وينزل الى السماء الدنيا ويصعد قال بعضهم :

لئن كان تجسيما ثبوت استوائه ... على عرشه إنى اذاً لمجسم
وان كان تشبيها ثبوت صفاته ... فعن ذلك التشبيه لا اتلعثم
وان كان تنزيها جحود استوائه ... وأوصافه او كونه يتكلم
فمن ذلك التنزيه نزهت ربنا ... بتوفيقه والله أعلى واعظم

(والجواب أن نقول) بل الذى خبط كل الخبط ، وهام فى مهامه الخرط والهمط ، وكشف جلباب الحياء ، وسلك مسالك أهل الغى والردى ، هذا العراقى الملحد حيث جعل اثبات صفات الله ذى الجلال والاكرام تجسيما وتشبيها ومن وصفه بها فقد بعضه وصرح بعدم علوه على عرشه وارتفاعه عليه عناداً وجحوداً ، وتمرداً وتكبراً وسمودا فتعالى الله عما يقول هذا الجاحد علواً كبيراً فاما كون الوهابية أبت الا جعل استوائه سبحانه ثبوتا على عرشه واستقراراً وعلواً فوقه فنعم وبذلك انزل الله كتبه وارسل رسله واجمع على ذلك سلف الامة

وأئمتها . فالوهابية يصفون الله تعالى بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله من غير تحريف ، ولا تعطيل ، ومن غير تشبيه ، ولا تمثيل فيثبتون لله ما أثبته لنفسه من استوائه على عرشه وعلوه عليه وأنه بائن من خلقه ويثبتون ما أثبته لنفسه من الاسماء والصفات وينفون عنه النقائص والعيوب ومشابهة المخلوقات اثباتا بلا تمثيل ، وتنزيها بلا تعطيل ، فمن شبه الله بخلقه فقد كفر ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر وليس ما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله تشبيها .

اذا تبين لك هذا وتحققته فنذكر من كلام الأئمة ما يبين غلط هذا الملحد وخروجه عن الصراط المستقيم ، وسلوكه طريق أصحاب الجحيم ، ممن نكب عن الدين القويم ، واتبع غير سبيل المؤمنين من الصحابة والتابعين والأئمة المهتدين .

قال شيخ الاسلام رحمه الله ونحن نذكر من ألفاظ السلف بأعيانها وألفاظ من نقل مذهبهم الى غير ذلك من الوجوه بحسب مايحتمله هذا الموضع مايعلم به مذهبهم . روى أبوبكر البيهقى فى الاسماء والصفات باسناد صحيح عن الاوزاعى قال : كنا والتابعون متوافرون نقول : ان الله تعالى ذكره فوق عرشه ونؤمن بما وردت فيه السنة من الصفات . قال الشيخ : وفى كتاب الفقه الاكبر المشهور عند أصحاب أبى حنيفة الذى رووه بالاسناد عن أبى مطيع ابن عبد الله البلخى قال سألت أبا حنيفة عن الفقه الاكبر فقال : لا تكفرن أحداً بذنب ولا تنفى أحداً به من الايمان ، وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتعلم ان ما أصابك لم يكن ليخطئك ، وماأخطأك لم يكن ليصيبك . الى أن قال : قال أبوحنيفة عمن قال لاأعرف ربى فى السماء أم فى الارض فقد كفر لأن الله يقول (الرحمن على العرش استوى) وعرشه فوق سبع سموات . قلت : فان قال انه على العرش استوى ولكنه يقول: لاأدرى العرش فى السماء أم فى الارض قال هوكافر لأنه انكر ان يكون فى السماء لأنه تعالى فى أعلى عليين وانه يدعى من اعلى لا من اسفل . وفى لفظ: سألت اباحنيفة عمن يقول : لا اعرف ربى فى السماء أم فى الارض قال : قد كفر

قال لأن الله يقول (الرحمن على العرش استوى) لكن لا يدرى العرش فى الأرض أم فى السماء قال إذا انكر انه فى السماء فقد كفر . فنى هذا الكلام المشهور عن أبى حنيفة عند أصحابه انه كفر الواقف الذى يقول : لا أعرف ربى فى السماء أم فى الارض فكيف يكون النافى الجاحد الذى يقول ليس فى السماء ولا فى الارض ، واحتج على كفره بقوله (الرحمن على العرش استوى) قال وعرشه على سبع سموات وبين بهذا ان قوله (الرحمن على العرش استوى) دال على ان الله نفسه فوق العرش ، ثم انه أردف ذلك بتكفير من قال انه على العرش استوى ولكن توقف فى كون العرش فى السماء أم فى الارض قال لانه أنكر انه فى السماء لان الله فى أعلى عليين وانه يدعى من أعلى لا من أسفل ، وهذا تصريح من أبى حنيفة بتكفير من أنكر ان يكون الله فى السماء ، واحتج على ذلك بأن الله فى أعلى عليين وانه يدعى من أعلى لا من أسفل ، وكل من هاتين الحجتين فطرية عقلية فان للقلوب مفطورة على الاقرار بأن الله فى العلو وعلى أنه يدعى من أعلى لا من أسفل ، وقد جاء اللفظ الآخر صريحاً عنه بذلك فقال : إذا أنكر انه فى السماء فقد كفر . وروى هذا اللفظ بالاسناد عنه شيخ الإسلام أبو اسماعيل الانصارى الهروى فى كتاب الفاروق . وروى أيضا ابن أبى حاتم ان هشام بن عبد الله الرازى صاحب محمد بن الحسن قاضى الرى الذى حبس رجلا فى التجهم فتاب فجىء به إلى هشام ليطلقه فقال : الحمد لله على التوبة فامتحنه هشام فقال : أتشهد ان الله على عرشه بائن من خلقه ، فقال : أشهد انه على عرشه ولا أدرى ما بائن من خلقه ، فقال : ردوه إلى الحبس فانه لم يتب .

وروى أيضاً عن يحيى بن معاذ الرازى انه قال : ان الله على العرش بائن من الخلق وقد أحاط بكل شىء علماً وأحصى كل شىء عدداً ، لايشك فى هذه المقالة إلا جهمى ردىء ضليل وهالك مرتاب يمزج الله تعالى بخلقه ويخلط منه الذات بالاقذار والانتان .

وروى أيضاً عن ابن المدينى لما سئل : ماقول أهل الجماعة ، قال : يؤمنون

بالرؤية والكلام ، وان الله فوق السموات على العرش استوى ، فسئل عن قوله (ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم) فقال : إقرأ ماقبلها (ألم تر أن الله يعلم مافى السموات وما فى الارض) .

وروى أيضاً عن أبى عيسى الترمذى قال : هو على العرش كما وصف فى كتابه وعلمه وقدرته وسلطانه فى كل مكان.

وروى عن أبى زرعة الرازى انه لما سئل عن تفسير قوله (الرحمن على العرش استوى) فقال تفسيره كما تقرأ هو على العرش وعلمه فى كل مكان ومن قال غير هذا فعليه لعنة الله إلى ان قال : وروى عبد الله بن أحمد وغيره باسناد صحيح عن ابن المبارك أنه قيل له بماذا نعرف ربنا فقال بأنه فوق السموات على عرشه بائن من خلقه ولا نقول كما تقول الجهمية أنه ههنا فى الارض وهكذا قال الامام احمد وغيره .

وروى باسناد صحيح عن سليمان بن حرب الامام سمعت حماد بن زيد وذكر هؤلاء الجهمية فقال : إنما يحاولون أن يقولوا : ليس فى السماء شيء .

وروى ابن أبى حاتم فى كتاب الرد على الجهمية عن سعيد بن عامر الضبعى امام أهل البصرة علماً وديناً من شيوخ الامام أحمد أنه ذكر عنده الجهمية فقال: هم شر قولا من اليهود والنصارى ، وقد اجتمع اليهود والنصارى وأهل الاديان مع المسلمين على أن الله على العرش وقالوا هم ليس على شيء .

وقال محمد بن اسحاق بن خزيمة امام الائمة : من لم يقر أن الله فوق سمواته على عرشه بائن من خلقه وجب أن يستتاب فان تاب والا ضربت عنقه ثم ألقى على مزبلة لئلا يتأذى بريحه أهل القبلة ولا أهل الذمة ، ذكره عنه الحاكم باسناد صحيح وذكر كلاما طويلا ثم قال . وقال الحافظ أبو نعيم فى كتاب محجة الواثقين ومدرجة الوامقين تأليفه . وأجمعوا ان الله فوق سمواته عال على عرشه مستو عليه لا مستول عليه كما تقوله الجهمية انه بكل مكان . ثم ذكر الشيخ كلاما الى أن ذكر عن الشيخ الامام أبى محمد عبد القادر بن أبى صالح

الجيلانى قال فى كتاب الغنية أما معرفة الصانع بالآيات والدلالات على وجه الاختصار فهو أن يعرف ويتيقن ان الله واحد أحد ، إلى أن قال : وهو بجهة العلو مستو على العرش محتو على الملك محيط علمه بالأشياء ، اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه يدبر الأمر من السماء الى الأرض ثم يعرج اليه فى يوم كان مقداره الف سنة مما تعدون ، ولا يجوز وصفه بأنه فى كل مكان بل يقال أنه فى السماء على العرش استوى كما قال (الرحمن على العرش استوى) وذكر آيات وأحاديث إلى أن قال : وينبغى اطلاق الاستواء من غير تأويل وأنه استواء الذات على العرش قال : وكونه على العرش مذكور فى كل كتاب أنزله على كل نبى أرسله بلا كيف وذكر كلاماً طويلا لا يحتمله هذا الموضع .

وقال أبو الحسن الاشعرى فى الإبانة :

باب ذكر الاستواء على العرش

فان قال قائل ما تقولون فى الاستواء؟ قيل له نقول : إن الله مستو على عرشه كما قال (الرحمن على العرش استوى) وذكر آيات ثم قال فالسموات فوقها العرش فلما كان العرش فوق السموات (قال أأمنتم من فى السماء) لأنه مستو على العرش الذى هو فوق السموات وكل ما علا فوق فهو سماء فالعرش أعلى السموات إلى أن قال

فصل

وقد قال قائلون من المعتزلة والجهمية والحرورية ان معنى قوله (الرحمن على العرش استوى) انه استولى وقهر وملك وأن الله عز وجل فى كل مكان وجحدوا أن يكون الله على عرشه كما قال أهل الحق وذهبوا فى الاستواء الى أنه القدرة فلو كان كما ذكروه كان لا فرق بين العرش والارض السابعة لأن الله قادر على كل شىء والارض ، فالله قادر عليها وعلى الحشوش وعلى كل ما فى العالم

فلو كان الله مستوياً على العرش بمعنى الاستيلاء وهو عز وجل مستول على الاشياء كلها لكان مستوياً على العرش وعلى الارض وعلى السماء وعلى الحشوش والاقذار لأنه قادر على الاشياء كلها ولم يجز عند أحد من المسلمين أن يقال إن الله مستو على الحشوش والأخلية ولم يجز أن يكون الاستواء على العرش الاستيلاء الذى هو عام فى الاشياء كلها ووجب أن يكون معنى الاستواء يختص بالعرش دون الاشياء كلهـــا وذكر دلالات من القرآن والاحاديث والإجماع والعقل، انتهى. وقال شيخ الإسلام أيضاً فى الكتاب المسمى بيان موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول قال اسحق بن راهوية حدثنا بشر بن عمر سمعت غير واحد من المفسرين يقول الرحمن على العرش استوى أى ارتفع وقال البخارى فى صحيحه قال أبو العالية استوى الى السماء ارتفع؟ قال وقال مجاهد استوى على العرش وقال الحسين ابن مسعود البغوى فى تفسيره المشهور قال ابن عباس وأكثر مفسرى السلف استوى الى السماء ارتفع الى السماء وكذلك قال الخليل ابن أحمد وروى البيهقى فى كتاب الصفات قال الفراء ثم استوى أى صعد قاله ابن عباس وهو كقولك للرجل كان قاعداً فاستوى قائماً وروى الشافعى فى مسنده عن أنس رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال عن يوم الجمعة وهو اليوم الذى استوى فيه ربكم على العرش والتفاسير المأثورة عن النبى ﷺ والصحابة والتابعين مثل تفسير محمد بن جرير الطبرى وتفسير عبد الرحمن بن ابراهيم المعروف بدحيم وتفسير عبد الرحمن بن أبى حاتم وتفسير ابن المنذر وتفسير أبى بكر عبد العزيز وتفسير أبى الشيخ الاصبهانى وتفسير أبى بكر بن مردويه وما قبل هؤلاء من التفاسير مثل تفسير أحمد ابن حنبل واسحق بن ابراهيم وبقى بن مخلد وغيرهم ومن قبلهم مثل تفسير عبد بن حميـــد وتفسير عبد الرزاق ووكيع ابن الجراح فيها من هذا الباب الموافق لقول المثبتين ما لا يكاد يحصى وكذلك الكتب المصنفة فى السنة التى فيها آثار النبى ﷺ والصحابة والتابعين وقال أبو محمد حرب بن اسمعيل الكرمانى فى مسائله المعروفة التى نقلها عن أحمد واسحق وغيرهما وذكر معها من الآثار عن النبى ﷺ والصحابة وغيرهم ما ذكر وهو

كتاب كبير صنفه على طريقة الموطأ ونحوه من المصنفات قال فى آخره فى الجامع باب القول فى المذهب هذا مذهب أئمة العلم وأصحاب الاثر وأهل السنة المعروفين المقتدى بهم فيها وأدركت من أدركت من علماء أهل العراق والحجاز والشام وغيرهم عليها فمن خالف شيئاً من هذه المذاهب أو طعن فيها أو عاب قائلها فهو مبتدع خارج عن الجماعة زائل عن منهج السنة وسبيل الحق وهو مذهب أحمد واسحاق بن ابراهيم وبقى بن مخلد وعبد الله بن الزبير الحميدى وسعيد بن منصور وغيرهم ممن جالسنا وأخذنا منهم العلم وذكر الكلام فى الإيمان والقدر والوعيد والامامة وما أخبر به الرسول من اشراط الساعة وأمر البرزخ والقيامة وغير ذلك الى أن قال وهو سبحانه بائن من خلقه لا يخلو من علمه مكان ولله عرش وللعرش حملة يحملونه وله حد الله أعلم بحده والله على عرشه عن ذكره وتعالى جده ولا إله غيره والله تعالى سميع لا يشك بصير لا يرتاب عليم لا يجهل جوّاد لا يبخل حليم لا يعجل حفيظ لا ينسى يقظان لا يسهو ورقيب لا يغفل ، يتكلم ، ويتحرك ، ويسمع ، ويبصر ، وينظر ، ويقبض ، ويبسط ، ويفرح ، ويحب ، ويكره ويبغض ، ويرضى ، ويسخط ، ويغضب ، ويرحم ، ويغفر ، ويعفو ، ويعطى ، ويمنع ، وينزل كل ليلة الى سماء الدنيا كيف شاء وكما شاء ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ولم يزل الله متكلماً عالماً فتبارك الله أحسن الخالقين ، انتهى . ولو ذهبنا نذكر أقوال أهل العلم من الائمة لا حتمل مجلداً فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعد فى السماء ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور .

وأما تفسير الاستواء بالاستقرار فهو من تفاسير أهل السنة والجماعة قال ابن القيم رحمه الله فى الكافية الشافية فى الانتصار للفرقة الناجية .

فصل

هذا وسادس عشرها اجماع أهـل العلم أعنى حجة الأزمان
من كل صاحب سنة شهدت له أهل الحديث وعسكر القرآن

لا عبرة بمخالف لهمو ولو كانوا عديد الشاء والبعران
ان الذى فوق السموات العلى والعرش وهو مبائن الا كوان
هو ربنـــا سبحانه وبحمده حقا على العرش استوا الرحمن

ثم ذكر أقوال الأئمة الى أن قال :

ولهم عبارات عليها اربع قد حصلت للفارس الطعان
وهى استقر وقد علا وكذلك ار تفع الذى ما فيه من نكران
وكذاك قد صعد الذى هو رابع وأبو عبيدة صاحب الشيبانى
يختار هذا القول فى تفسيره ادرى من الجهمى بالقرآن

وأما قوله واثبت له الوجه واليدين

فأقول قد تقدم الكلام على ذلك وبه الكفاية

وأما قوله وبعضه سبحانه لجعله ماسكا بالسموات على أصبع والارضين على أصبع والشجر على أصبع والملك على اصبع الخ

فالجواب أن يقال لمن وقف على هذا الجواب عليك أولا أن تعلم أن هذا الكلام أعنى قوله وبعضه سبحانه ليس هو من كلام أهل السنة المحضة الذين لم يشوبوا عقائدهم بدم التشبيه وعذرة التحريف ونجاسة التعطيل بل هو من مقدرات الافكار ونتائج قياسات عقول أفراخ المتفلسفة وأتباع الهند واليونان وورثة المجوس والمشركين وضلال اليهود والنصارى والصائبين وأشكالهم واشباههم الذين يزعمون أنهم ينزهون الله تعالى عن الابعاض والحدود والجهات فيسمع الغر المخدوع هذه الالفاظ يتوهم منها أنهم ينزهون الله عما يفهم من معانيها عند الاطلاق من العيوب والنقائص والحاجة فلا يشك أنهم يمجدونه ويعظمونه ويكشف الناقد البصير ما تحت هذه الالفاظ فيرى تحتها الالحاد وتكذيب الرسل وتعطيل الرب تعالى عما يستحقه من كماله .

فأما الابعاض فرادهم تنزيهه عنها أنه ليس له وجه ولا يدان ولا يمسك السموات على اصبع ، والارض على اصبع ، والشجر على اصبع ، والماء على اصبع ، فان ذلك كله ابعاض والله منزه عن الابعاض كما ذكره ابن القيم رحمه الله

عنهم فى الصواعق المرسلة فاذا عرفت هذا من قيلهم وعقائد قلوبهم وانهم انما نزهوه عما يليق بجلاله وعظمته وكبريائه وإحاطته بجميع مخلوقاته وأنهم ما عرفوا الله حق معرفته ولا قدروه حق قدره ولا عظموه حق عظمته فخرجوا عن المعقول ونبذوا المنقول وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون فجاء هؤلاء الضلال الغلاة والملاحدة الجهال فتوهموا أن هذا من قول الوهابية وأنهم خرجوا بهذا القول عن جماعة أهل السنة المحضة وما علم هؤلاء الجهلة أن هذا صريح الكتاب والسنة قال الله تعالى : (وما قدروا الله حق قدره والارض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون) . قال العماد ابن كثير رحمه الله ، يقول الله تعالى : ما قدر المشركون الله حق قدره حتى عبدوا معه غيره وهو العظيم الذى لا أعظم منه القادر على كل شىء المالك لكل شىء وكل شىء تحت قهره وقدرته ، قال السدى ما عظموه حق عظمته ، وقال محمد بن كعب لو قدروه حق قدره ما كذبوه ، وقال علىّ بن أبى طلحة ، عن ابن عباس هم الكفار الذين لم يؤمنوا بقدرة الله عليهم فمن آمن أن الله على كل شىء قدير فقد قدر الله حق قدره ومن لم يؤمن به فلم يقدر الله حق قدره ، وقد وردت أحاديث كثيرة متعلقة بهذه الآية الطريق فيها وفى أمثالها مذهب السلف وهو إمرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تحريف وذكر حديث ابن مسعود الذى رواه مسلم فى صحيحه عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : جاء حبر من الاحبار الى رسول الله ﷺ فقال : يا محمد انا نجد أن الله يجعل السموات على أصبع والارضين على أصبع والشجر على أصبع والماء على أصبع والثرى على أصبع وسائر الخلق على أصبع فيقول أنا الملك فضحك النبى ﷺ حتى بدت نواجذه تصديقا لقول الحبر . قرأ (وما قدروا الله حق قدره والارض جميعاً قبضته يوم القيامة) الآية . وفى رواية لمسلم والجبال والشجر على أصبع ثم يهزهن فيقول أنا الملك أنا الله . وفى رواية البخارى يجعل السموات على أصبع والماء والثرى على أصبع وسائر الخلق على أصبع . قال ابن كثير رحمه الله ، ورواه البخارى فى صحيحه فى غير موضع ومسلم والامام أحمد والترمذى والنسائى

كلهم من حديث سليمان بن مهران وهو الاعمش عن ابراهيم بن عبيدة عن ابن مسعود بنحوه قال جاء رجل من أهل الكتاب الى النبي ﷺ فقال يا أبا القاسم أبلغك أن الله تعالى يحمل الخلائق على أصبع والسموات على أصبع والارضين على أصبع والشجر على أصبع والثرى على أصبع فضحك ﷺ حتى بدت نواجذه قال وأنزل الله (وما قدروا الله حق قدره) الآية . وهكذا رواه البخارى ومسلم والنسائى من طريق عن الاعمش به ، وقال الامام أحمد حدثنا الحسين بن حسن الاشقر حدثنا أبو كدينه عن عطا عن أبى الضحا عن ابن عباس قال : مر يهودى برسول الله ﷺ وهو جالس فقال : كيف تقول يا أبا القاسم يوم يجعل الله السموات على ذه وأشار بالسبابة والارض على ذه والجبال على ذه وسائر الخلق على ذه كل ذلك يشير بأصبعه فأنزل الله : (وما قدروا الله حق قدره) . وكذا رواه الترمذى فى التفسير بسنده عن أبى الضحى مسلم بن صبيح به وقال حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه ثم قال : قال البخارى حدثنا سعيد بن عفير حدثنا الليث حدثنى عبد الرحمن بن خالد بن مسافر عن ابن شهاب عن أبى سلمة بن عبدالرحمن ان أبا هريرة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يقبض الله الارض ويطوى السماء بيمينه فيقول أنا الملك أين ملوك الارض » تفرد به من هذا الوجه ورواه مسلم من وجه آخر . وقال البخارى فى موضع آخر حدثنا مقدم بن محمد حدثنى عمى القاسم بن يحيى عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما قال ان رسول الله ﷺ قال : « إن الله تعالى يقبض يوم القيامة الارضين وتكون السماء بيمينه ثم يقول أنا الملك » تفرد به أيضاً من هذا الوجه ورواه مسلم من وجه آخر وقد رواه الامام أحمد من طريق آخر بلفظ أبسط من هذا السياق وأطول فقال حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة حدثنا اسحاق بن عبد الله بن أبى طلحة عن عبيد الله بن مقسم عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قرأ هذه الآية ذات يوم على المنبر (وما قدروا الله حق قدره والارض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون) ورسول الله ﷺ يقول هكذا بيده يحركها ويقبل بها ويدبر

يمجد الرب تعالى نفسه أنا الجبار أنا المتكبر أنا الملك انا العزيز أنا الكريم فرجف برسول الله ﷺ المنبر حتى قلنا ليخرن به ، انتهى . وهذه الاحاديث تدل على عظمته سبحانه وتعالى وتبين أن الله تعالى على عرشه ولم يقل النبي ﷺ فى شيء منها أن ظاهرها غير مراد وأنها تدل على تشبيه صفات الله بصفات خلقه ولو كان هذا حقاً لبلغه أمته فان الله أكمل به الدين وأتم به النعمة فبلغ البلاغ المبين صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه ومن يتبعهم الى يوم الدين وتلق الصحابة رضى الله عنهم عن نبيهم ﷺ ما وصف به ربه من صفات كماله ونعوت جلاله فآمنوا به وآمنوا بكتاب الله وما تضمنه من صفات ربهم جل وعلا وهذا الملحد الجاهل جعل ما تضمن كتاب الله وسنة رسوله ابعاضاً وسمى اثبات علو الله على عرشه وفوقيته ونزوله وصعوده تجسيما ومن تمسك بكتاب الله وسنة رسوله وكلام الأئمة مجسما .

وأما قوله حتى قال بعضهم :

لئن كان تجسيما ثبوت استوائه ... على عرشه أنى اذاً لمجسم
وان كان تشبيها ثبوت صفاته ... فعن ذلك التشبه لا أتلعثم
وان كان تنزيها جحود استوائه ... وأوصافه أو كونه يتكلم
فمن ذلك التنزيه نزهت ربنا ... بتوفيقه والله أعلى وأعلم

فالجواب انا نعتقد هذا وندين الله به وأزيد ذلك تقريراً له بقولى :

أقول نعم هذا هو الحق والهدى ... وعن وصفه بالحق لا أتلعثم
ومن حاد عن هذا وقال سفاهة ... طريقة جهم والمريسى أسلم
فقد حاد عن نهج الشريعة واعتدى ... وضل عن الحق الذى هو أحكم
وأشهد أن الله جل ثناؤه ... على عرشه والله أعلى وأعظم
وأشهد أن الله ليس كمثله ... شبيه ولا مثل ولا كفو يعلم
فمن جحد الاوصاف لله ربنا ... ونزهه عن كونه يتكلم
وعن كونه فوق السموات قد علا ... على عرشه فهو الكفور المذمم
فليس يتجسم ثبوت استوائه ... على عرشه لكنما الفوق يفهم

ويعلم من نص الكتاب وسنة … لأفضل خلق الله من هو اعلم

أليس على هذا صحابة أحمد … وأهل الحجا لو كنت ويحك تفهم

وان لم يكن ما بلغوه هو الهدى … فمن ذا الذى منه الهدى يتعلم

أولئك هم أهدى سبيلا ومنهجاً … وان لم يكونوا المهتدين فمن هم

أجهم بن صفوان اللعين وحزبه … وأتباعه من هم أضل وأظلم

أم الحق ما قال الفلاسفة الأولى … ومن صار فيما أصلوا يتكلم

أولئك فى بحر الضلالة قد هووا … وهم فى موامى الغى والبغى هوّم

فسار على منهاجهم فى ضلالهم … زنادقة من بعدهم حين اوهموا

بتنزيهه فيما يرون وقصدهم … هو الكفر والتعطيل والقوم قد عموا

بالزام أهل الحق بالبغى والهوى … لوازم لا ترضى ولا هى تلزم

والزامهم ما ألزموه تعنتٌ … وبغى والحاد وإفك ومأثم

وما ذاك الا أنه ليس عندهم … إله بهذا الوصف حقا يعظم

وما هذه الأوصاف الا لمن له … صفات وجسمٌ وهو عنها يفخم

فان كان تجسيما ثبوت صفاته … لديكم فأنى اليوم عبد مجسم

فسبحانه عن افكهم وضلالهم … وطغيانهم فالله أعلى وأعظم

فلله وجه بل يدان حقيقة … ويغضب بل يرضى ويعطى ويرحم

ويضحك ربى من قنوط عباده … ويفرح ان تابوا ويولى وينعم

وكلم فيما قد مضى من عباده … لمن شاء منهم قائلا ويكلم

سميع بصير ذو اقتدار ورفعة … ويعلم ما نبدى جهاراً ونكتم

وينزل شطر الليل نحو سمائه … ويصعد والرحمن أعلى وأعظم

كما شاءه سبحانه وبحمده … وسوف يجي يوم القيامة يحكم

ويفصل بين الخلق يوم معادهم … يوم به تبدو عياناً جهنم

ونؤمن ان الله جل ثناؤه … يرى ويُرى يوم المزيد وينعم

الى غير ذا من كل أوصافه التى … بها نطق القرآن والكل محكم

وصحت بها الأخبار عن سيد الورى … نقول بها جهراً ولا نتلعثم

فصل

قال العراقى نحن تنقل لك ههنا بعض عباراتهم التى وردت فى هـذا الشأن مسطورة فى كتاب الدين الخالص قال صاحبه ان أردتم بالجسم المركب من المادة والصورة أو المركب من الجواهر الفردة فهذا منفى عن الله تعالى قطعا والصواب نفيه عن الممكنات أيضاً فليس الجسم المخلوق مركبا من هذه ولا هذه .

قال العراقى فأقول فانظر الى مافى هذه العبارة من الخبط فانه انكر فيها وجود جسم بالمعنى الذى ذكره سواء كان واجبا أو ممكناً والظاهر أن غرضه من هذا الانكار هو التوصل الى نفى الجسمية التى تلزم من معتقده فى الله تعالى فائلا يقال إنه شبه الخالق بمخلوقه نفى الجسمية بالمعنى المذكور عن مخلوقه أيضاً وأنت تعرف أن الجسم ان لم يكن مركباً من المادة والصورة فلا محيص أن يكون مركبا من الجواهر الفردة .

(والجواب أن يقال) هذا الكلام ليس هو من كلام صاحب الدين الخالص بل هو كلام شمس الدين ابن قيم الجوزية رحمه الله تعالى نقله صديق من الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة وهو فى الصواعق أبسط من هـذا بأدلته العقلية والنقلية فنسبة هذا الكلام إلى الوهابية وإن كانوا يعتقدون صحته جهل عريض وعدم معرفة بالرجال ومقالاتهم فان ابن القيم رحمه الله تعالى فى القرن السابع وشيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب فى القرن الثانى عشر فصار من المعلوم عند هؤلاء أن من تكلم بالحق وبما نطق به الكتاب والسنة وكان عليه سلف الأمة وأئمتها وان كان ممن تقدم زمانه فهو وهابى فصار هذا الاسم علما على أهل الحق فى كل زمان ومكان (فضلا من الله ونعمة ، والله ذو الفضل العظيم)

(وأما قوله) فانه انكر فيها وجود جسم بالمعنى الذى ذكره الى آخره

(فنقول) نعم ما ذكره من لفظ الجسم وما يتبع ذلك لم ينطق به فى صفات الله لا كتاب ولا سنة لا نفياً ولا اثباتا ولا تكلم به أحد من الصحابة والتابعين وتابعيهم .

وقوله والظاهر أن غرضه من هذا الانكار هو التوصل الى نفى الجسمية التى تلزم من معتقده فى الله تعالى الى آخره .

(فأقول) نعم ولا يلزم من اثبات الصفات التى أثبتها الله ورسوله هذه اللوازم التى سميتموها أنتم وآباؤكم ما انزل الله بها من سلطان انما هى نحاتة أفكار وزبالة أذهان لا حقيقة لها فى التحقيق ولا تثبت على قدم الحق والتصديق

فهذه اللوازم منفية عن الله قطعا وعن الممكنات أيضا كما يأتى بيانه وتفصيله ثم انه من المعلوم أن أصل الكلام فى المادة والصورة والهيولى والجواهر الفردة وغيرها من التراكيب المحدثة فى الاسلام ليس هو من كلام أهل السنة العامة فضلا عن أن يكون من كلام محقق أهل السنة المحضة وانما أصله من كلام الفلاسفة واليونان الخارجين عن شريعة الاسلام فالاحتجاج به والاستدلال به ممن يدعى انه من أهل السنة على أهل السنة المحضة خروج من الدين والعقل وانما تكلم فيه أئمة الاسلام لما دخل فيه بعض أهل السنة العامة وبعض أهل السنة المحضة واعتمدوا عليه فى العقليات فاحتاج أئمة الاسلام الى الكلام فيه لرد معقولاتهم الفاسدة بالنقل والعقل واذ كان أصله ومادته كذلك فبطلانه معلوم بالاضطرار من دين الاسلام عقلا ونقلا .

قال شيخ الاسلام رحمه الله فى تفسير سورة الاخلاص (قل هو الله أحد) بعد كلام له سبق وكان الذين امتحنوا احمد رحمه الله وغيره من هؤلاء الجاهلين فابتدعوا كلاما متشابها نفوا به الحق فأجابهم احمد لما ناظروه فى المحنة ونحو ذلك وذكروا الجسم فأجابهم بأنى أقول كما قال الله تعالى (الله أحد ، الله الصمد) وأما لفظ الجسم فلفظ مبتدع محدث ليس على أحد أن يتكلم به البتة والمعنى الذى يراد به مجمل ولم تبينوا مرادكم حتى نوافقكم على المعنى الصحيح فقال ما أدرى ما تقولون لكن أقول (الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد) يقول ما ادرى ما تعنون بلفظ الجسم فأنا لا أوافقكم على اثبات لفظ ونفيه اذا لم يرد الكتاب والسنة باثباته ولا نفيه ان لم يدر معناه المتكلم به فان عنى فى النفى والاثبات ما يوافق الكتاب والسنة فى النفى والاثبات لم نوافقه

ولفظ الجسم والجواهر لم يأت فى كتاب ولا سنة ولا كلام أحد من الصحابة والتابعين لهم باحسان الى يوم الدين وسائر أئمة الدين التكلم بها فى حق الله تعالى لا بنفى ولا باثبات . ولهذا قال احمد فى رسالته الى المتوكل لا احب التكلم فى شىء من ذلك إلا ما كان فى كتاب الله أو فى حديث عن رسول الله ﷺ أو عن الصحابة والتابعين .

وأما غير ذلك فان الكلام فيه غير محمود . وذكر أيضاً فيما حكاه عن الجهمية انهم يقولون ليس فيه كذا وكذا وهو كما قال فان لفظ الجسم فى اللغة التى نزل بها القرآن معنى كما قال تعالى : (واذا رأيتهم تعجبك اجسامهم وأن يقولوا تسمع لقولهم) . وقال تعالى : (وزاده بسطة فى العلم والجسم) قال ابن عباس كان طالوت اعلم بنى اسرائيل بالحرب وكان يفوق الناس بمنكبه وعنقه ورأسه والبسطة السعة قال ابن قتيبة هو من قولك بسطت الشىء اذا كان مجموعا ففتحته ووسعته قال بعضهم والمراد بتعظيم الجسم فضل القوة إذ العادة أن من كان أعظم جسما كان اكثر قوة فهذا لفظ الجسم فى لغة العرب التى نزل بها القرآن . قال الجوهرى . قال أبو زيد الانصارى الجسم الجسد وكذلك الجسمان والجثمان . وقال الاصمعى الجسم والجسمان والجسد والجثمان . قال وجماعة جسم الإنسان يقال له الجسمان وقد جسم الشىء أى عظم فهو جسيم وجسام والجسام بالكسر جمع جسم . قال أبو عبيدة تجسمت فلانا من بين القوم أى اخترته كأنك قصدت جسمه كما تقول نائبته أى قصدت اينه وشخصه وأنشد أبو عبيدة :

٭ تجسمته من بينهن بمرهف ٭

وتجسمت الارض اذا أخـــذت نحوها تريدها وتجسم من الجسم . وقال ابن السكيت تجسمت الأمر أى ركبت اجسمه وجسيمه أى معظمه . قال وكذلك تجسمت الرمل والجبل أى ركبت أعظمه والأجسم الأضخم . قال عامر بن الطفيل

لقد علم الحى من عامر   بأن لنا الذروة والأجسما

فهذا الجسم فى لغة العرب وعلى هذا فلا يقال للهوى جسم ولا للنفس الخارج من الانسان جسم ولا لروحه المنفوخة جسم ومعلوم أن الله سبحانه

لا يماثل شيئاً من ذلك لا بدن الإنسان ولا غيره فلا يوصف الله بشيء من خصائص المخلوقين ولا يطلق عليه من الاسماء ما يختص بصفات المخلوقين فلا يجوز أن يقال هو جسم ولا جسد ، انتهى .

واذا كان هذا الجسم فى لغة العرب كان منتفيا عن الله بهذا المعنى لأن الله أحد صمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد فلا يماثله شيء من مخاوقاته ولا يطلق عليه من الاسماء ما يختص بصفات المخلوقين فان من شبه الله بخلقه فقد كفر لأنه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير .

(وأما قوله) وانت تعرف أن الجسم ان لم يكن مركبا من المادة والصورة فلا محيص أن يكون مركبا من الجواهر الفردة .

فالجواب أن نقول هذا على اصطلاح أهل الكلام وقد عرفت مافى كلامهم من الاختلاف والنزاع بينهم والواجب على كل مسلم أن ينظر فى هذا الباب فما اثبته الله ورسوله اثبته وما نفاه الله ورسوله نفاه والالفاظ التى ورد بها النص يعتصم بها فى الاثبات والنفى فتثبت ما اثبتته النصوص من الالفاظ والمعانى وتنفى ما نفته النصوص من الالفاظ والمعانى . وأما هذه الالفاظ الذى تنازع فيها من ابتدعها فقال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى : وأما أهل الكلام فالجسم عندهم اعم من هذا وهم مختلفون فى معناه اختلافا كثيراً عقلياً واختلافا لفظياً اصطلاحيا فهم يقولون كل ما يشار اليه إشارة حسية فهو جسم ثم اختلفوا بعد هذا فقال كثير منهم كل ما كان كذلك فهو مركب من الجواهر المنفردة ثم منهم من قال الجسم أقل ما يكون جوهراً بشرط أن ينضم اليه غيره وقيل بل هو الجوهران والجواهر فصاعدا وقيل بل أربعة فصاعدا وقيل بل ستة وقيل بل ثمانية وقيل بل ستة عشر وقيل بل اثنان وثلاثون وهذا قول من يقول أن الاجسام كلها مركبة من الجواهر التى لا تنقسم وقال آخرون من أهل الفلسفة كل الاجسام مركبة من الهيولى والصورة لا من الجواهر المنفردة وقال كثير من أهل الكلام وغير أهل الكلام ليست مركبة لا من هذا ولا من هذا وهذا قول الهشامية والكلابية والضرارية وغيرهم من الطوائف الكبار

لا يقولون بالجواهر الفردية ولا بالمادة والصورة وآخرون يدعون اجماع المسلمين على اثبات الجوهر الفرد كما قال أبو المعالى وغيره اتفق المسلمون على ان الاجسام تتناهى فى تجزئتها وانقسامها حتى تصير أفراداً ومع هذا فقد شك فيه وكذلك شك فيه أبو الحسين البصرى وأبو عبد الله الرازى ومعلوم أن هذا القول لم يقله أحد من أئمة المسلمين لا من الصحابة ولا التابعين لهم باحسان ولا أحد من أئمة العلم المشهورين بين المسلمين وأول من قال ذلك فى الاسلام طائفة من الجهمية والمعتزلة وهذا من الكلام الذى ذمه السلف وعابوه ولكن حاكى هذا الاجماع لما لم يعرف أصول الدين إلا مافى كتب الكلام ولم يجد إلا من يقول بذلك اعتقد هذا اجماع المسلمين والقول بالجوهر الفرد باطل والقول بالهيولى والصورة باطل وقد بسط الكلام على هذه المقالات فى فى مواضع أخر . وقال آخرون الجسم هو القائم بنفسه وكل قائم بنفسه جسم وكل جسم فهو قائم بنفسه وهو مشار اليه واختلفوا فى الاجسام هل هى متماثلة أم لا على قولين مشهورين وإذا عرف ذلك فمن قال أنه جسم وأراد أنه مركب من الاجزاء فهذا قوله باطل وكذلك إن أراد أنه يماثل غيره من المخلوقات فقد علم بالشرع والعقل ان الله ليس كمثله شىء فى شىء من صفاته فمن أثبت لله مثلا فى شىء من صفاته فهو مبطل ومن قال انه جسم بهذا المعنى فهو مبطل ومن قال ليس بجسم بمعنى انه لايرى فى الآخرة ولايتكلم بالقرآن وغيره من الكلام ولا يقوم به العلم والقدرة وغيرهما من الصفات ولا ترفع الأيدى اليه فى الدعاء ولا عرج بالرسول اليه فهذا قول باطل وكذلك من نفى ما أثبت الله ورسوله وقال ان هذا تجسيم فنفيه باطل وتسميته ذلك تجسيما تلبيس منه فان أراد ان هذا يقتضى أن يكون جسما مركباً من الجواهر الفردة أو من المادة والصورة أو أن هذا يقتضى أن يكون جسما والاجسام متماثلة قيل له أكثر العقلاء يخالفونك فى تماثل الاجسام المخلوقة وفى انها مركبة فلا يقولون إن الهوى مثل الماء وأبدان الحيوان مثل الحديد والجبال فكيف يوافقونك على ان الرب تعالى يكون مماثلا لخلقه اذا أثبتوا له ما أثبته الكتاب والسنة والله تعالى

قد نفى المماثلة فى بعض المخلوقات وكلاهما جسم كقوله (وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم) مع أن كليهما بشر فكيف يجوز أن يقال إذا كان لرب السموات علم وقدرة أنه يكون مماثلا لخلقه والله تعالى ليس كمثله شىء لا فى ذاته ولا فى صفاته ولا فى أفعاله ونكتة الأمر أن الجسم فى اعتقاد هذا النافى يستلزم مماثلة سائر الأجسام ويستلزم أن يكون مركباً من الجواهر الفردة أو من المادة والصورة قلت وهذا هو نتيجة قول هذا العراقى ومرامه حيث قال وأنت تعرف أن الجسم إن لم يكن مركباً من المادة والصورة فلا محيص أن يكون مركباً من الجواهر الفردة ثم قال شيخ الإسلام وأكثر العقلاء يخالفونه فالتلازم منتف باتفاق الفريقين وهو المطلوب فاذا اتفقوا على انتفاء النقص المنفى عن الله شرعا وعقلا بقى بحثهم فى الجسم الاصطلاحى هل هو مستلزم لهذا المحذور وهو بحث عقلى كبحث الناس فى الاعراض هل تبقى أو لا تبقى وهذا البحث العقلى لم يرتبط به دين المسلمين بل لم ينطق كتاب ولا سنة ولا أثر عن السلف بلفظ الجسم فى حق الله تعالى لا نفياً ولا اثباتاً فليس لأحد أن يبتدع اسما مجملا يحتمل معانى مختلفة لم ينطق بها الشرع ويعلق به دين المسلمين ولو كان قد نطق باللغة العربية فكيف إذا أحدث اللفظ معنى آخر والمعنى الذى يقصده اذا كان حقاً عبر عنه بالعبارة التى لا لبس فيها فاذا كان معتقده أن الأجسام متماثلة فان الله ليس كمثله شىء وهو سبحانه لا سمى له ولا كفوله ولا ند له فهذه عبارة القرآن تؤدى هذا المعنى بلا تلبيس ولا نزاع وإن كان معتقده ان الأجسام غير متماثلة وان كان يرى ما يقوم به من الصفات فهو جسم فان عليه أن يثبت ما أثبته الله ورسوله من علمه وقدرته وسائر صفاته كقوله (ولا يحيطون بشىء من علمه إلا بما شاء) وقوله (ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين) وقوله فى حديث الاستخارة « اللهم انى أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك على الخلق » ويقول كما قال رسول الله ﷺ انكم ترون ربكم يوم القيامة عياناً كما ترون الشمس والقمر لاتضامون فى رؤيته فشبه الرؤية بالرؤية وإن لم يكن المرئى كالمرئى فهذه عبارات الكتاب والسنة عن هذا المعنى

الصحيح بلا تلبيس ولا نزاع بين أهل السنة المتبعين للكتاب والسنة وأقوال الصحابة ثم بعد هذا من كان تبين له معنى من جهة العقل أنه لازم للحق لم يدفعه عن عقله فلازم الحق حق لكن ذلك المعنى لابد أن يدل الشرع عليه فيشبه بالألفاظ الشرعية وان قدر أن الشرع لم يدل عليه لم يكن مما يجب على الناس اعتقاده وحينئذ فليس لأحد أن يدعو الناس اليه وإن قدر أنه في نفسه حق ومسئلة تماثل الأجسام وتركيبها من الجواهر المنفردة قد اضطرب فيها جماهير أهل الكلام وكثير منهم يقول بهذا تارة وبهذا تارة وأكثر ذلك لأجل الألفاظ المجملة والمعانى المتشابهة وقد أبسط الكلام عليه فى غير هذا الموضع لكن المقصود هنا انه لو قدر ان الإنسان تبين له أن الاجسام ليست متماثلة ولا مركبة لا من هذا ولا من هذا لم يكن له أن يبتدع فى دين الإسلام قوله ان الله جسم ويناظر على المعنى الصحيح الذى دل عليه الكتاب والسنة بل يكفيه اثبات ذلك المعنى بالعبادات الشرعية ولو قدر انه تبين له ان الاجسام متماثلة وان الجسم مركب لم يكن له أن يبتدع النفى بهذا الإسم ويناظر على معناه الذى اعتقده بعقله بل ذلك المعلوم بالشرع والعقل يمكن إظهاره بعبارة لا إجماع فيها ولا تلبيس والذين يقولون الجسم مركب من الجواهر يدعى كثير منهم أنه كذلك فى لغة العرب لأن العرب يقولون هذا أجسم من هذا يريدون به أنه أكثر أجزاء منه ويقولون هذا جسيم أى كثير الاجزاء قال والتفضيل بصيغة أفعل انما يكون لما يدل عليه الاسم فاذا قيل هذا أعلم أو أسلم كان ذلك دالا على الفضيلة فيما دل عليه لفظ العلم والحلم فلما قالوا أجسم لما كان أكثر أجزاء دل على أن لفظ الجسم عندهم المراد به المركب فمن قال جسم وليس مركب فقد خرج من لغة العرب قالوا وهذه تخطئة فى اللفظ وان كنا لا نكفره إذا لم يثبت خصائص الجسم من التركيب والتأليف وقد نازعهم بعضهم فى قولهم هذا أجسم من هذا وقالوا ليس هذا اللفظ من لغة العرب كما يحكى عن ابن زيد فيقال له لا ريب أن العرب تقول هذا جسيم أى عظيم الجثة وهذا أجسم من هذا أى أعظم جثة لكن كون العرب تعتقد أن ذلك لكثرة الاجزاء التى هى الجواهر

المفردة انما يكون اذا كان أهل اللغة قاطبة يعتقدون أن الجسم مركب من الجواهر المنفردة والجوهر الفرد هو شيء قد بلغ من الصغر والحقارة الى أنه لا يتميز يمينه من يساره ومعلوم أن أكثر العقلاء من بنى آدم لا يتصور الجوهر الفرد والذين يتصورونه أكثرهم لا يثبتونه والذين أثبتوه انما اثبتوه بطريقة خفية ، طويلة بعيدة ، فيمتنع أن يكون لفظ الشائع فى اللغة التى ينطق بها خواصها وعوامها أرادوا به هذا ، وقد علم بالاضطرار أن أحداً من الصحابة والتابعين لهم باحسان لم ينطق باثبات الجوهر الفرد ، ولا بما يدل على ثبوته عنده ، بل ولا العرب قبلهم ، ولا سائر الأمم الباقين على الفطرة ولا اتباع الرسل فكيف يدعى عليهم أنهم لم يقولوا لفظ الجسم الا لما كان مركباً مؤلفا ، ولو قلت لمن شئت من العرب الشمس والقمر والسماء مركب عندك من أجزاء صغار كل منها لا يقبل التجزى ، أو الجبال ، أو الهوى ، أو الحيوان والنبات لم يتصور هذا المعنى الا بكلفة ، ثم اذا تصور قد يكذب بفطرته ويقول كيف يمكن أن يكون شيء لا يتميز منه جانب عن جانب وأكثر العقلاء من طوائف المسلمين وغيرهم ينكرون الجوهر الفرد والفقهاء قاطبة تنكره ، وكذلك اهل الحديث والتصوف ، ثم ذكر كلاما فى استحالة بعض الاجسام الى بعض ، ثم ذكر بعد ذلك مايراد بالجسم فى لغة العرب ، وأنهم انما يريدون بقولهم هذا أجسم من هذا ، اى اغلظ واعظم منه ونفى ان يكون ذلك لزيادة الاجزاء ، ثم قال فقد تبين ان من قال الجسم هو المؤلف والمركب ، واعتقد ان الاجسام مركبة من الجواهر المنفردة فقد ادعى معنى عقليا ينازعه فيه اكثر العقلاء من بنى آدم ولم ينقل عن احد من السلف انه وافقه عليه ، وانه جعل لفظ الجسم فى اصطلاحه يدل على معنى لايدل عليه اللفظ فى اللغة فقد غير معنى اللفظ فى اللغة وادعى معنى عقليا فيه نزاع طويل وليس معه من الشرع ما يوافق ما ادعاه من معنى اللفظ ولا ما ادعاه من المعنى العقلى فاللغة ما تدل على ماقال والشرع لايدل على ماقال والعقل لم يدل على مسميات الالفاظ وانما يدل على المعنى المجرد وذلك فيه نزاع طويل ونحن نعلم بالاضطرار ان ذلك المعنى الذى وجب نفيه عن الله لايحتاج نفيه إلى ما أحدثه هذا من دلالة اللفظ ولا ما ادعاه من المعنى العقلى بل

الذى جعلوه عمدتهم فى تنزيه الرب على نفى مسمى الجسم لا يمكنهم أن ينزهوه عن شيء من النقائص البتة فانهم إذا قالوا هذا من صفات الأجسام فكل مايثبتونه هو أيضاً من صفات الأجسام مثل كونه حيا عليما قادراً بل كونه موجوداً قائماً بنفسه فانهم لا يعرفون هذا فى الشاهد إلا جسما فاذا قال المنازع أنا أقول فيما نفيتموه نظير قولكم فيما أثبتموه انقطعوا ، انتهى .

والمقصود أن الأجسام المحدثة المخلوقة ليست مركبة لا من المادة والصورة ولا من الجواهر المنفردة فلو كان فوق العرش جسم مخلوق ومحدث لم يلزم أن يكون مركباً بهذا الاعتبار فكيف ذلك فى حق خالق الفرد والمركب الذى يجمع المتفرق ويفرق المجتمع ويؤلف بين الاشياء فيركبها كما يشاء ؟ والعقل إنما دل على اثبات إله واحد ورب واحد لا شريك له ولا شبيه له لم يلد ولم يولد ، ولم يدل على أن ذلك الرب الواحد لا اسم له ولاصفة ولا وجه ولا يدين ولا هو فوق خلقه ولا يصعد اليه شيء ولا ينزل منه شيء ، فدعوى ذلك على العقل كذب صريح عليه كما هى كذب صريح على الوحى .

فصل

قال العراقى : ثم قال - يعنى صاحب الدين الخالص - وان اردتم بالجسم مايوصف بالصفات ، ويرى بالابصار ، ويتكلم ويكلم ، ويسمع ويبصر ، ويرضى ويغضب ، فهذه المعانى ثابتة للرب تعالى ، وهو موصوف بها فلا ننفيها عنه بتسميتكم الموصوف بها جسما إلى آخر ماقال ، قال فأقول : لم نعرف أحداً عرف الجسم بأنه المتكلم المكلم ، السميع البصير ، الذى يرضى ويغضب ، وانما هذه صفات تقوم بالحى العاقل ، نعم أن الجسم يرى بالأبصار كما قال ولكن اثبات الجسم له تعالى بهذه المعنى تنزيل له سبحانه منزلة مخلوقاته مما ينافى الألوهية ، فان كون الله تعالى جسماً بهذا المعنى نقص يجب تنزيهه عنه .

والجواب : أن يقال : ومن أنت يالكع بن لكع حتى يلتفت الى قولك وتعريفك ونفيك واثباتك وتأصيلك وتفصيلك لانك انما أخذت هذه المباحث الملعونة عن

قوم قد ضلوا من قبل ، واضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل فان احداً من أئمة الإسلام ومن على طريقهم ومناهجهم لا يقول إن الله جسم بل لا يطلقون هذا اللفظ نفياً ولا إثباتاً حتى يستفصلوه عما أراد به ، ومن أعظم الناس شمس الدين بن القيم الذى تصديت لرد كلامه نفياً لهذه الأشياء ، وله بحوث فى هذا المقام يطول ذكرها ، وقد ذكرها فى الصواعق وفى غيرها من كتبه ، كالكافية الشافية وغيرها .

(وأما قوله) وانما هذه صفات تقوم بالحى العاقل إلى آخره .

(فأقول) قولك هذا منقوض باثبات الاسماء والصفات ، فان الله حى عليم قدير ، وان أمكن اثبات حى عليم قدير وليس بجسم أمكن أن يكون له حياة وعلم وقدرة وليس بجسم ، وان لم يمكن ذلك فما كان جوابكم عن اثبات الاسماء كان جوابنا عن إثبات الصفات .

(ويقال أيضاً) ليس فى هذا النفى ما يدل على صحة مذهب أحد من نفاة الصفات أو الاسماء ، بل ولا يدل ذلك على تنزيه سبحانه عن شىء من النقائص فان من نفى شيئاً من الصفات لكون اثباته تجسيما وتشبيها يقول له المثبت قولى فيما اثبته من الاسماء والصفات كقولك فيما أثبته من ذلك ، فان تنازعا فى الصفات الخبرية أو العلو أو الرؤية ونحو ذلك ، وقال له هذا يستلزم التجسيم والتشبيه لأنه لا يعقل ما هو كذلك إلا الجسم ، قال له المثبت لا يعقل ماله حياة وعلم وقدرة وسمع بصر وكلام وارادة إلا ما هو جسم ، فاذا جاز لك أن تثبت هذه الصفات وتقول الموصوف بها ليس بجسم جاز لى مثل ما جاز لك من اثبات تلك الصفات مع أن الموصوف بها ليس بجسم فاذن جاز ان يثبت مسمى بهذه الأسماء ليس بجسم .

فان قال له هذه معان وتلك أبعاض قال له الرضا والغضب والحب والبغض معان ، واليد والوجه وان كان بعضاً فالسمع والبصر اعراض لا تقوم إلا بجسم فان جاز لك اثباتها مع أنها ليست أعراضاً ومحلها ليس بجسم جاز لى اثبات هذه مع أنها ليست أبعاضاً . فان قال نافى الصفات أنا لا اثبت شيئاً منها قال له انت

ابهمت الاسماء فأنت تقول هو حى عليم ، ولا يعقل حى عليم قدير إلا جسما . وتقول انه هو ليس بجسم فاذا جاز أن تثبت مسمى هـذه الاسماء ليس بجسم مع أن هذا ليس معقولا لك جاز لى أن أثبت موصوفا بهـذه الصفات وان كان هـذا غير معقول لى . فان قال الملحد أنا أنفى الاسماء والصفات ، قيل له اما أن تقر بأن هـذا العالم المشهود مفعول مصنوع له صانع فاعله ، أو تقول انه قديم أزلى واجب الوجود بنفسه عن الصانع ، فان قلت بالاول فصانعه ان قلت هو جسم وقعت فيما نفيته وان قلت ليس بجسم فقد أثبت فاعلا صانعاً للعالم ليس بجسم وهـذا لايعقل فى الشاهد فان أثبت خالقاً فاعلا ليس بجسم وأنت لا تعرف فاعلا إلا جسماً كان لمنازعك أن يقول هو حى عليم ليس بجسم وان كان لا يعرف حيا عالمـــا إلا جسما ، بل لزمك أن تثبت له من الاسماء والصفات ما يناسبه . وان قال الملحد بل هـذا المشهود قديم واجب بنفسه غنى عن الصانع فقد أثبت واجبا بنفسه قديمـا أزليـا هو جسم حامل الاعراض ، متحيز فى الجهات ، تقوم به الاكوان وتحله الحوادث والحركات ، وله أبعاض وأجزاء فكان مافر منه من اثبات جسم قديم قد لزمه مثله وما هو ابعد منه ولم يستفد بذلك الانـكار إلا جحد الخالق وتكذيب رسله ومخالفة صريح المعقولين ، والضلال المبين ، الذى هو منتهى ضلال الضالين ، وكفر الكافرين . فقد تبين ان قول من نفى الصفات او شيئا منها لأن اثباتهـا تجسيم قول لا يمكن احد ان يستدل به بل ولا يستدل احد على تنزيه الرب عن شىء من النقصائص بأن ذلك يستلزم التجسيم لأنه لابد ان يثبت شيئاً يلزمه فيما اثبته نظير ما الزمه غيره فيما نفاه . واذا كان اللازم فى الموضعين واحدا وما اجاب هو به امكن المنازع ان يجيب مثله لم يمكن ان يثبت شيئا ، وينفى شيئا على هذا التقدير واذا انتهى الى التعطيل المحض كان ما لزمه من تجسيم الواجب بنفسه القديم أعظم من كل تجسيم نفاه ، فعلم ان مثل الاستدلال على النفى لمـا يستلزم التجسيم لا يسمن ولا يغنى من جوع ، انتهى من كلام شيخ الاسلام رحمه الله تعالى .

(وأما قوله) نعم إن الجسم يرى بالأبصار كما قال ، ولكن اثبات الجسم له تعالى بهذا المعنى تنزيل له سبحانه منزلة مخلوقاته مما ينافى ألوهيته .

(فيقال) قد تقدم انا لا نثبت الجسمية بهذا المعنى لأن اثبات الصفات لا تستلزم الجسمية لأن الموصوف بها ليس بجسم ، وقد تقدم بيان ذلك وان اثباتها ليس بنقص يجب تنزيه الله عنه بالعقل والنقل مع انا لا نسلم أن الجسم بهذه الأوضاع الاصطلاحيه الحادثة مجمع على صحته عند العقلاء ، بل قد تنازعوا فى ذلك مع مخالفته لصريح اللغة فان الجسم معناه فى لغة العرب هو البدن الكثيف الذى لا يسمى فى اللغة جسم سواه ، فلا يقال للهوى جسم لغة ، ولا للنار ، ولا للماء ، فهذه اللغة وكتبها بين أظهرنا .

(وأما قوله) أما عقلا فلأن الرؤية كما تحقق فى علم البصر إنما تتم بوقوع أشعة النور على سطح المرئى وانعكاسها عنه إلى البصر فيلزم منه كون المرئى ذا سطح وذلك يستدعى تركيبه من أجزاء إلى آخره .

فالجواب أن يقال هذا العقل فاسد بالعقل والنقل ، اما فساده بالعقل فلأنه ليس فى المعقول أن كل مرئى لا يكون إلا مركباً من المادة والصورة أو من الجواهر الفردة لأن أكثر العقلاء ينكرون هذا ولا يثبتونه فى الممكنات ، فكيف بفاطر الارض والسموات ؟ وإذا كان فى اعتقاد هذا النافى أن الجسم يستلزم مماثلة سائر الاجسام ويستلزم أن يكون مركباً من الجواهر الفردة أو من المادة والصورة ، وأكثر العقلاء يخالفونه ، فالتلازم منتف باتفاق الفريقين وهو المطلوب ، فاذا اتفقوا على انتفاء النقص المنفى عن الله شرعا وعقلاً بقى بحثهم فى الجسم الاصطلاحى هل هو مستلزم لهذا المحذور ، وهو بحث عقلى كبحث الناس فى الاعراض هل تبقى أو لا تبقى وهذا البحث العقلى لم يرتبط به دين المسلمين ، بل لم ينطق كتاب ولا سنة ولا أثر عن السلف بلفظ الجسم فى حق الله تعالى لا نفيا ولا اثباتا فليس لأحد أن يبتدع اسماً مجملا يحتمل معانى مختلفة لم ينطق به الشرع ويعلق به دين المسلمين وقد تقدم بيان هذا .

(ويقال أيضاً) كل ما يستدعى تركيبه من أجزاء متفرقة — كما يقوله

الفلاسفة والمتكلمون ـ أو من الجواهر الفردة ـ كما يقوله كثير من أهل الكلام ـ ممنوع لأن جمهور العقلاء عندهم أن الأجسام المحدثة ليست مركبة لا من هذا ولا من هذا ، فلو كان فوق العرش جسم مخلوق ومحدث لم يلزم أن يكون مركباً بهذا الاعتبار فكيف ذلك فى حق خالق الفرد المركب ، الذى يجمع المتفرق ويفرق المجتمع ، ويؤلف بين الأشياء فيركبها كما يشاء؟ والعقل انما دل على اثبات إله واحد ورب واحد لا شريك له ، ولا شبيه له ، (لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد) ولم يدل على أن ذلك الرب الواحد لا اسم له ، ولا صفة له . ولا وجه له ، ولا يدين ولا هو فوق خلقه ، ولا يصعد اليه شىء ، ولا ينزل منه شىء ، فدعوى ذلك على العقل كذب صريح عليه كما هى كذب على الوحى . قاله ابن القيم رحمه الله فهذا ما نفاه العقل .

وأما النقل ففى الصحيحين من حديث أبى هريرة رضى الله عنه أن أناساً قالوا لرسول الله ﷺ يارسول الله : هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ فقال رسول الله ﷺ « هل تضارون فى رؤية القمر ليلة البدر » قالوا : لا يارسول الله ، قال « هل تضارون فى رؤية الشمس ليس دونها سحاب » قالوا : لا ، قال « فانكم ترونه كذلك » الحديث بطوله ، وهذا تشبيه للرؤية بالرؤية ، لا للمرئى بالمرئى وفى لفظ فى الصحيح « إنكم ترون ربكم عياناً » فاخبر انا نراه عياناً بأبصارنا .

(وأما قوله) واما نقلا فلقوله تعالى (لاتدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار) .

فالجواب أن يقال : لست ممن يعرف أدلة النقل المأثورة عن السلف الصالح ولا تعرف ما ذكره المفسرون على هذه الآية كما أنك لا تعرف من الأدلة العقلية إلا ما يذكره الفلاسفة والمتكلمون الخارجون عن سبيل المؤمنين ، وأما ما يذكره أهل السنة والجماعة من المعقولات والمنقولات فلست منه فى شىء . قال شيخ الاسلام رحمه الله تعالى بعد ذكره أقوال الفرق المخالفة ، قال : وأما الصحابة والتابعون وأئمة الاسلام المعروفون بالامامة فى الدين كمالك والثورى والأوزاعى والليث بن سعد واحمد واسحاق وأبى حنيفة وأبى يوسف

وأمثال هؤلاء وسائر أهل السنة والحديث، والطوائف المنتسبين إلى السنة والجماعة، كالكلابية، والكرامية، والاشعرية، والسالمية وغيرهم، فهؤلاء كلهم متفقون على اثبات الرؤية لله تعالى والاحاديث متواترة عن النبي ﷺ عند أهل العلم بحديثه، وأما احتجاج النفاة بقوله تعالى (لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار) فالآية حجة عليهم لا لهم لأن الإدراك إما أن يراد به مطلق الرؤية أو الرؤية المقيدة بالإحاطة والاول باطل لأنه ليس كل من رأى شيئاً يقال أنه أدركه كما لا يقال أحاط به كما سئل ابن عباس رضى الله عنهما عن ذلك فقال: ألست ترى السماء قال بلى، قال: أكلها ترى، قال لا، ومن رأى جوانب الجيش أو الجبل أو البستان أو المدينة لا يقال انه أدركها، وانما يقال أدركها اذا أحاط بها رؤية. ونحن فى هذا المقام ليس علينا بيان ذلك، وانما ذكرنا هذا بياناً لسند المنع، بل المستدل بالآية عليه أن يبين أن الإدراك فى لغة العرب مرادف للرؤية وأن كل من رآى شيئاً يقال فى لغتهم انه ادركه، وهذا لا سبيل اليه، كيف وبين لفظ الرؤية ولفظ الإدراك عموم وخصوص، فقد تقع رؤية بلا ادراك، وقد يقع ادراك بلا رؤية، أو اشتراك لفظى، وأن الإدراك يستعمل فى ادراك العلم، وادراك القدرة، فقد يدرك الشيء بالقدرة وان لم يشاهد كالأعمى الذى يطلب رجلا هارباً فأدركه ولم يره، وقد قال تعالى (فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى انا لمدركون ۞ قال كلا ان معى ربى سيهدين) فنفى موسى الإدراك مع اثبات التراءى. فعلم أنه قد يكون رؤية بلا ادراك، والإدراك هنا هو ادراك القدرة أى ملحقون محاط بنا، واذا انتفى هذا الإدراك فقد تنتفى احاطة البصر أيضاً.

ومما يبين ذلك أن الله تعالى ذكر هذه الآية يمدح بها نفسه سبحانه وتعالى ومعلوم أن كون الشيء لا يرى ليس صفة مدح لأن النفى المحض لا يكون مدحاً ان لم يتضمن أمراً ثبوتياً لأن المعدوم أيضاً لا يرى، والمعدوم لا يمدح، فعلم أن مجرد نفى الرؤية لا مدح فيه وان كان المنفى هو الإدراك فهو سبحانه لا يحاط به رؤية كما لا يحاط به علما، ولا يلزم من نفى احاطة العلم والرؤية نفى الرؤية،

بل يكون ذلك دليلا على أنه يرى ولا يحاط به ، فان تخصيص الإحاطة يقتضى أن مطلق الرؤية ليس بمنفى ، وهذا الجواب قول أكثر العلماء من السلف وغيرهم ، وقد روى معناه عن ابن عباس رضى الله عنهما وغيره فلا تحتاج الآية الى تخصيص ولا خروج عن ظاهر المعنى فلا نحتاج أن نقول لا نراه فى الدنيا ، أو نقول لا تدركه الأبصار ، بل المبصرون ، أو لا يدركه كلها بل بعضها ، ونحو ذلك من الأقوال التى فيها تكلف .

(وأما قوله) ولا تعارض هذه الآية بقوله تعالى (وجوه يومئذ ناضرة ، الى ربها ناظرة) لأن كيفية رؤيته تعالى يوم القيامة مجهولة كما هو معتقد أهل الحق .

فالجواب أن يقال : هذه الآية لا تعارض الآية المتقدمة فان كلام الله لا يتعارض ، بل يصدق بعضه بعضا ، قال البغوى رحمه الله فى تفسيره على هذه الآية . قال ابن عباس وأكثر الناس تنظر الى ربها عيانا بلا حجاب ، وقال الحسن تنظر الى الخالق وحق لها أن تنظر وهى تنظر الى الخالق . أخبرنا أبو بكر بن أبى الهيثم الترابى أنا عبد الله بن احمد الحموى اخبرنا ابراهيم بن خريم الشاشى اخبرنا عبد الله بن حميد حدثنا شبابة عن اسرائيل عن ثوير قال سمعت ابن عمر يقول : قال رسول الله ﷺ ان أدنى أهل الجنة منزلة من ينظر الى جنانه ، وأزواجه ، ونعيمه ، وخدمه ، وسرره ، مسيرة ألف سنة ، وأكرمهم على الله من ينظر الى وجهه غدوة وعشية ، ثم قرأ رسول الله ﷺ (وجوه يومئذ ناضرة ، الى ربها ناظرة) وهذا الحديث يبطل تأويل من تأول من الجهمية والمعتزلة وأشباههم ، ويبطل ايضا قول هذا الملحد فى قوله ويدل على ذلك قوله وجوه ولم يقل عيون .

(وأما قوله) كما هو معتقد اهل الحق فيمكن ان تكون الرؤية يومئذ بنوع من الانكشاف والتجلى من غير حاجة للباصرة ، ولا محاذاة لها ، ويدل على ذلك قوله وجوه ، ولم يقل عيون ، وفى قوله (ناضرة) ما يفصح عن حصول السرور التام لها بذلك الانكشاف .

فالجواب أن نقول : إن أهل الحق عند هذا الملحد غلاة الجهمية كالمريسى وأشباهه وكالمعتزلة والرافضة وهم عند أهل السنة والجماعة من أكفر أهل الأرض ، بل هم أهل الباطل المحض ، وهؤلاء الملاحـــدة يؤولون الآيات والأحاديث الواردة فى ذلك كقولهم هى زيادة علم وانكشاف بحيث نعلم ضرورة ما كان يعلم نظراً وهذا الملحد نحا نحو هؤلاء الملاحدة بهذه التأويلات الباطلة الخارجة عن أقوال سلف الامة وأئمتها . واذا تبين ذلك فاضافة النظر الى الوجه الذى هو محله فى هذه الآية وتعديته بأداة الى الصريحة فى نظر العين واخلاء الكلام من قرينة تدل على خلاف حقيقة موضوعة فى أن الله أراد بذلك نظر العين التى فى الوجه الى الرب جل جلاله فان النظر له عدة استعمالات بحسب صلاته وتعديته بنفسه فان عدى بنفسه فمعناه التوقف والانتظار كقوله (أنظرونا نقتبس من نوركم) وان عدى بفى فمعناه التفكر والاعتبار كقوله (أو لم ينظروا فى ملكوت السموات والارض) وان عدى بالى فمعناه المعاينة بالابصار كقوله تعالى (أنظروا الى ثمره اذا أثمر) فكيف اذا أضيف الى الوجه الذى هو محل البصر ؟ ويؤيد ذلك الحديث الذى فى الصحيح قوله (انكم ترون ربكم عيانا) فأخبر أنا نراه عيانا بأبصارنا ، وقد أخبرنا الله أنه قد استوى على العرش فهذه النصوص يصدق بعضها بعضا والعقل أيضاً يوافقها ويدل على أنه سبحانه مباين لمخلوقاته فوق سمواته . وان جود موجود لا مباين للعالم ولا مجانس له محال فى بديهة العقل فاذا كانت الرؤية مستلزمة لهذه المعانى فهذا حق واذا سميتم أنتم هذا قولا بالجهة وقولا بالتجسيم لم يكن هذا القول نافيا لما علم بالشرع والعقل إذ كان معنى هذا القول والحال هذه ليس منتفيا لا بشرع ولا عقل فان تسميتكم ماسميتموه جهة وتجسيما أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان وما أحسن ما قال عبد العزيز بن عبد الله بن أبى سلمة الماجشون أحد أئمة المدينة الثلاثة الذين هم مالك بن أنس وابن الماجشون وابن أبى ذئب فقال رحمه الله فى كلام له سنذكره إن شاء الله تعالى فلم يزل يملى له الشيطان حتى جحد قول الله عز وجل (وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة) فقال لا يراه أحد يوم القيامة فجحدوا

أفضل كرامة الله التى أكرم بها أولياءه يوم القيامة من النظر الى وجهه ونظرتهم إياه فى مقعد صدق عند مليك مقتدر قد قضى انهم لا يموتون فهم بالنظر اليه ينظرون الى ان قال وقد عرف انه اذا تجلى لهم يوم القيامة رأوا منه ما كانوا قبل ذلك مؤمنين به و كان له جاحداً ، انتهى .

فصل

قال العراقى ثم قال ـأى صاحب الدين الخالص ـ وان أردتم بالجسم مايشار اليه اشارة حسية فقد أشار أعرف الخلق بالله تعالى اليه بأصبعه رافعا لها الى السماء الى آخره ـ قال العراقى ـ فأقول ان بداهة العقل حاكمة بأن المشار اليه بالاشارة الحسية لابد أن يكون فى جهة ومكان وان يكون مرئيا وكل ذلك مستحيل على الله تعالى لأنه تعالى لو كان فى مكان أو جهة لزم قدم المكان أو الجهة وقد قام البرهان على ان لا قديم سوى الله تعالى .

والجواب أن يقال (أولا) أن بداهة العقل حاكمة بصدق رسول ﷺ فيما أخبر به وحاكمة بأن من رد على رسول الله ﷺ قوله أو اتهمه فيما فعله وأمر به فهو كافر حلال المال والدم وقام البرهان من الكتاب والسنة على أن الله يرى فى الآخرة عيانا كما ترى الشمس والقمر وهذا ليس بمستحيل فى العقول الصحيحة الموافقة لصريح المنقول عن الرسول ونحن نعلم بضرورة العقل ان الرسل لايخبرون بمحالات العقول بل بمحارات العقول، فلا يخبرون بما يعلم العقل انتفاؤه بل يخبرون بما يعجز العقل عن معرفته وقام البرهان من الكتاب والسنة على أن الله تعالى تقدس فوق سمواته على عرشه بائن من خلقه فمن قال غير هذا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا .

ويقال ثانيا لهؤلاء الملاحدة ما تعنون بأن هذا اثبات للجهة والجهة ممتنعة ؟ أتعنون بالجهة أمراً وجوديا أو أمرا عدميا ؟ فان أردتم أمراً وجوديا وقد علم أنه ماثم موجود الا للخالق والمخلوق والله فوق سمواته بائن من مخلوقاته لم يكن

والحالة هذه فى جهة موجودة فقولكم إن المرئى لابد أن يكون فى جهة موجودة قول باطل فان سطح العالم مرئى وليس هو فى عالم آخر وان فسرتم الجهة بأمر عدمى كما تقولون ان الجسم فى حيز والحيز تقدير مكان وتجعلون ما وراء العالم حيزاً ـ فيقال لكم الجهة والحيز اذا كان أمرا عدميا فهو لا شيء وما كان فى جهة عدمية أو حيز عدمى فليس هو فى شيء ولا فرق بين قول القائل هذا ليس فى شيء وبين قوله هو فى العدم أو أمر عدمى فاذا كان الخالق تعالى مباينا للمخلوقات عالياً عليها وما ثم موجود إلا الخالق أو المخلوق لم يكن معه غيره من الموجودات فضلا عن أن يكون هو سبحانه فى شيء موجود يحصره أو يحيط به فطريقة السلف والأئمة انما يراعون المعانى الصحيحة المعلومة بالشرع والعقل ويراعون أيضاً الألفاظ الشرعية فيعتدون بها ما وجدوا اليها سبيلا ، ومن تكلم بما فيه معنى باطل يخالف الكتاب والسنة ردوا عليه ومن تكلم بلفظ مبتدع يحتمل حقا وباطلا نسبوه الى البدعة أيضا وقالوا أنه قابل بدعة ببدعة ورد باطلا بباطل . انتهى من كلام شيخ الاسلام ابن تيمية وقد تبين لكل من له أدنى مسكة من عقل ومعرفة ان ما ألزم به هذا الملحد من هذه اللوازم من لفظ المكان والجهة وقوله لو كان فى مكان لكان محتاجا الى مكانه الى آخر ما هذى به فى كلامه انها من أقوال الجهمية والمعتزلة والفلاسفة والمتكلمين وقد تقدم الكلام عليها .

وأما لفظ المكان فقال شيخ الاسلام رحمه الله وأما القائل الذى يقول ان الله تعالى لا ينحصر فى مكان ان أراد به ان الله تعالى لا ينحصر فى جوف المخلوقات وأنه لا يحتاج الى شيء منها فقد أصاب وان أراد أن الله سبحانه وتعالى ليس فوق السموات ولا هو مستو على العرش استواء لائقا بذاته وليس هناك إله يعبد ومحمد ﷺ لم يعرج به الى الله تعالى فهذا جهمى فرعونى معطل ومنشأ هذا الضلال أن يظن الظان أن صفات الرب سبحانه كصفات خلقه فيظن ان الله تعالى على عرشه كالملك المخلوق على سريره فهذا تمثيل وضلال ، وذلك أن الملك مفتقر الى سريره ولو زال سريره لسقط والله عز وجل غنى عن العرش وعن كل شيء وكل ما سواه محتاج اليه وهو

حامل العرش وحملة العرش وعلوه عليه لا يوجب افتقاره اليه فان الله تعالى قد جعل المخلوقات عاليا وسافلا وجعل العالى غنيا عن السافل كما جعل الهواء فوق الارض وليس هو مفتقر اليها وجعل السماء فوق الهواء وليست محتاجة اليه فالعلى الأعلى رب السموات والأرض وما فيهما اولى أن يكون غنيا عن العرش وسائر المخلوقات وان كان عالياً عليه سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً .

والأصل فى هذا الباب ان كل ما ثبت فى كتاب الله أو سنة رسوله ﷺ وجب التصديق به مثل علو الرب واستوائه على عرشه ونحو ذلك وأما الالفاظ المبتدعة فى النفى والاثبات مثل قول القائل هو فى جهة أو ليس فى جهة وهو متحيز أو ليس متحيزاً ونحو ذلك من الالفاظ التى تنازع فيها الناس وليس مع أحد منهم نص لا عن رسول الله ﷺ ولا عن الصحابة رضى الله عنهم ولا عن التابعين لهم باحسان ولا أئمة المسلمين هؤلاء لم يقل أحد منهم ان الله تعالى فى جهة ولا قال ليس هو فى جهة ولا قال هو متحيز ولا قال ليس بمتحيز بل ولا قال هو جسم أو جوهر ولا قال ليس بجسم ولا بجوهر فهذه الالفاظ ليست منصوصة فى الكتاب ولا السنة ولا الاجماع الى آخر كلامه رحمه الله تعالى .

(وأما قوله) وأيضاً لو جاز ان يشار اليه بالاشارة الحسية لجاز ان يشار اليه من كل نقطة من سطح الارض وحيث ان الارض كرية يلزم ان يكون سبحانه محيطا بها من جميع الجهات وإلا ما صحت الإشارة اليه ولما كان تعالى مستويا على عرشه ومستقراً عليه كما تزعمه الوهابية كان عرشه محيطا بالسموات السبع فيلزمه من نزوله الى السماء الدنيا وصعوده منها كما تقول الوهابية ان يصغر جسمه تعالى عند النزول ويكبر عند الصعود فيكون متغيراً من حال الى حال . تعالى الله عما يقول الجاهلون .

فالجواب أن نقول : قد أشار اليه بالاشارة الحسية اعرف الخلق به بأصبعه رافعاً بها الى السماء بمشهد الجمع الاعظم مستشهداً له وهو سيد ولد آدم عليه الصلاة

والسلام وهو أعلم الناس بربه وأعظم تنزيها له وتقديسا وتعظيما . ولما كان هذا العراقى جهميا معتزليا واعتقد أن الارض اذا كانت كرية انه يلزم أن يكون الله سبحانه محيطاً بها من جميع الجهات وإلا ماصحت الاشارة اليه وكلام العراقى يقتضى أن يكون الله تعالى تحت بعض خلقه واذا كان ذلك من كلامه مفهوما فقد قال شيخ الإسلام فى بعض أجوبته : وقد يظن بعض الناس ان ماجاءت به الآثار النبوية من أن العرش سقف الجنة وان الله على عرشه مع مادلت عليه من أن الافلاك مستديرة متناقض أو مقتض أن يكون الله تعالى تحت بعض خلقه كما احتج بعض الجهمية على انكار ان يكون الله تعالى فوق العرش باستدارة الافلاك وان ذلك يستلزم كون الرب تعالى أسفل ، وهذا من غلطهم فى تصور الامر ومن علم أن الاجسام المستديرة بان المحيط الذى هو السقف هو أعلا عليين وان المركز الذى هو باطن ذلك وجوفه وهو قعر الارض وهو سجين وأسفل سافلين علم بسبب مقابلة الله تعالى بين أعلا عليين وبين سجين مع أن المقابلة انما تكون فى الظاهر بين العلو والسفول أو بين السعة والضيق وذلك أن العلو مستلزم للسعة والضيق مستلزم للسفول وعلم أن السماء فوق الارض مطلقا لايتصور أن تكون تحتها قط وان كانت مستديرة محيطة وكذلك كلما علا كان ارفع واشمل وعلم أن الجهة قسمان قسم ذاتى وهو العلو والسفول فقط وقسم إضافى وهو ما ينسب الى الحيوان بحسب حركته فما امامه يقال له امام وما خلفه يقال له خلف وما عن يمينه يقال له اليمين وما عن يساره يقال له اليسار وما فوق رأسه يقال له فوق وما تحت قدميه يقال له تحت وذاك امر إضافى أرأيت لو ان رجلا علق رجلاه الى السماء ورأسه الى الارض أليست السماء فوقه وان قابلها برجليه وكذلك النملة وغيرها لو مشى تحت السقف مقابلا له برجليه وظهره الى الارض لكان العلو محاذيا لرجليه وان كان فوقه فاسفل سافلين ينتهى الى جوف الارض والكواكب التى فى السماء وان كان بعضها محاذيا لرؤوسنا وبعضها فى النصف الآخر من الفلك فليس شىء منها تحت شىء بل جميعها فوقنا فى السماء . ولما كان الإنسان اذا تصور هذا يبقى الى وهمه السفل

الإضافى كما احتج به الجهمى الذى أنكر علو الله علي عرشه وخيل الى من لا يدرى ان من قال ان الله فوق العرش فقد جعله تحت نصف المخلوقات أو جعله فلكا آخر تعالى الله عما يقول الجاهل انه لازم لأهل الاسلام من الامور التى لا تليق بالله تعالى ولا هى لازمة .

وقال أيضاً : واعلم أن العرش إن كان هذا الفلك التاسع أو جسما محيطاً به ، أو كان فوقه من جهة وجه الارض محيطاً به ، أو قيل فيه غير ذلك فيجب أن يعلم أن العالم العلوى والسفلى بالنسبة إلى الخالق تعالى فى غاية الصغر كما قال تعالى (وما قدروا الله حق قدره والارض جميعاً قبضته يوم القيامة ، والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون) وفى الصحيحين عن النبى ﷺ أنه قال: « يقبض الله تبارك وتعالى الارض يوم القيامة ، ويطوى السماء بيمينه ، ثم يقول انا الملك أين ملوك الارض » وفى الصحيحين عن عبد الله بن عمر عنه عليه الصلاة والسلام انه قال : « يطوى الله السموات يوم القيامة ، ثم يأخذهن بيده اليمنى ، ثم يقول أنا الملك أين الجبارون ، أين المتكبرون ؟ ثم يطوى الارضين بشماله ، ثم يقول أين الملوك ، أين الجبارون ، أين المتكبرون ؟ » ، وفى لفظ ويتميل برسول الله ﷺ على يمينه وعلى شماله حتى نظرت الى المنبر يتحرك من أسفله شيء . وفى رواية أخرى قال : قرأ على المنبر (والارض جميعاً قبضته يوم القيامة) الآية . قال : « مطوية فى كفه يرمى بها كما يرمى الغلام بالكرة » .

فى هذه الاحاديث وغيرها المتفق على صحتها ما يعين أن السموات والارض وما بينهما بالنسبة الى عظمته عز وجل أصغر من أن تكون مع قبضه لها إلا كالشيء الصغير فى يد أحدنا حتى يدحوها كما تدحى الكرة ، ثم قال فى الجواب فما وصف الله تعالى من نفسه واسمائه على لسان رسوله ﷺ سميناه كما سماه ولم تتكلف علم ما سواه فلا نجحد ماوصف ، ولا تتكلف معرفة مالم يصف ، واذا كان كذلك فهو قادر على أن يقبضها ويدحوها كالكرة ، وفى ذلك من الاحاطة بها ، مالا يخفى وان شاء لم يفعل ، وبكل حال فهو مباين لها ليس بمحايث لها . ومن المعلوم أن الواحد منا ولله المثل الأعلى اذا كان عنده خردلة ان شاء قبضها

فأحاطت بها قبضته وان شاء لم يقبضها ، بل جعلها تحته فهو في الحالين مباين لها وسواء قدر أن العرش محيط بالمخلوقات كاحاطة الكرة بما فيها ، أم قيل أنه فوقها وليس محيطاً بها كوجه الارض الذى نحن عليها بالنسبة الى جوفها ، أو كالقبة بالنسبة الى ما تحتها أو غير ذلك فعلى التقديرين يكون العرش فوق المخلوقات والخالق سبحانه فوقه ، والعبد فى توجهه اليه عز وجل يقصد العلوّ دون التحت ، ثم قال رحمه الله : وأما اذا قدر أنه ليس بكرى الشكل ، بل هو فوق العالم من الجهة التى هى وجه الارض وأنه فوق الافلاك الكرية كما أن وجه الارض الموضوع للأنام فوق نصف الارض الكرى أو غير ذلك من التقادير التى يقدر فيها أن العرش فوق ما سواه ، فعلى كل تقدير لا يتوجه الى الله تعالى الا الى العلوّ مع كونه على عرشه مبايناً لخلقه ، وعلى ما ذكرنا لا يلزم شىء من المحذور والتناقض وهذا يزيل كل شبهة نشأت من اعتقاد فاسد وهو أن يظن أن العرش اذا كان كريا والله تعالى فوقه كما تقتضيه ذاته سبحانه عن مشابهة المخلوقين وجب فيما عند الزاعم أن يكون سبحانه كريا ، ثم يعتقد أنه اذا كان كريا فيصح التوجه الى ما هو كرى كالفلك التاسع من جميع الجهات وهذا خطأ ، فان القول بأن العرش كرى لا يجوز أن يظن أنه مشابه للأفلاك فى أشكالها ، وفى أقدارها ، أو فى صفاتها ، بل قد تبين أنه سبحانه أعظم وأكبر من أن تكون المخلوقات عنده أصغر من الحمصة مثلا فى يد أحدنا ، فاذا كانت الحمصة مثلا فى يد الانسان أو تحته أو نحو ذلك هل يتصور عاقل اذا استشعر على الانسان على ذلك واحاطته به بأن يكون الانسان كالفلك فالله تعالى وله المثل الاعلى أعظم من أن يظن به ذلك ، وانما يظنه الذين لم يقدروا الله حق قدره والارض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون وان لم يكن كريا فالأمر ظاهر مما تقدم ، انتهى .

فصل

(وأما قول العراقى) ولما كان تعالى مستويا على عرشه ومستقراً عليه كما تزعمه الوهابية كان عرشه محيطا بالسموات السبع فيلزم من نزوله الى السماء وصعوده منها كما تقوله الوهابية أن يصغر جسمه تعالى عند النزول ويكبر عند الصعود فيكون متغيراً من حال الى حال تعالى الله عما يقول الجاهلون .

(فالجواب) أن يقال : قد كان من المعلوم أن هـذا الجهمى لا يعرف من صفات الخالق إلا ما يعرف من صفات المخلوقين ، وأنه ما عرف الله حق معرفته ، ولا قدره حق قدره ، ولا عظمه حق عظمته ، فلذلك نزهه عما يليق بجلاله وعظمته ، وألزم من أثبت ما وصف الله به نفسه ، وما وصفه به رسوله باللوازم التى لا تليق إلا بالمخلوق ولا تليق بالخالق ، مما قد علم أهل العلم بالله أنها من أوضاع الجهمية والمعتزلة والفلاسفة والمتكلمين الذين هم ورثتهم ، وذلك أن فى أصول ضلالهم ظنهم أن هذا تنزيه عن التشبيه وأنهم متى وصفوا بصفة اثبات أو نفى كان فيه تشبيه بذلك ولم يعلموا أن التشبيه المنفى عن الله أبعد مما كان وصفه بشىء من خصائص المخلوقين أو أن يجعل شىء من صفاته مثل صفات المخلوقين بحيث يجوز عليه ما يجوز عليهم أو يجب له ما يجب لهم ، أو يمتنع عليه ما يمتنع عليهم مطلقا ، فان هذا هو التمثيل الممتنع منه المنفى بالعقل مع الشرع فيمتنع عليه وصفه بشىء من النقائص ويمتنع مماثلة غيره له فى شىء من صفات الكمال فهذان اجماع لما ينزه الرب تعالى عنه فاذا علمت ذلك فالوهابية لا يقولون بشىء من هـذه الاقوال ولا يعتقدونها ، ولا يدينون الله بها ، فان جمهور أهل السنة يقولون أنه ينزل ولا يخلو منه العرش كما نقل ذلك عن اسحاق ابن راهوية وحماد بن زيد وغيرهما ، ونقلوه عن أحمد بن حنبل فى رسالته ، وهم متفقون على أن الله ليس كمثله شىء وأنه لا يعلم كيف ينزل ، ولا تمثل صفته بصفات خلقه فلا يلزم الوهابية شىء من هذه اللوازم الباطلة ، وقولهم واعتقادهم فى ذلك قول أهل السنة والجماعة كما قال الفضيل بن عياض رحمه الله : ليس لنا

أن تتوهم فى الله كيف وكيف لأن الله وصف نفسه فأبلغ فقال : (قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد) فلا صفة أبلغ مما وصف به نفسه ، وكل هذا النزول والضحك وهذه المباهاة وهذا الاطلاع كما شاء أن ينزل ، وكما شاء أن يباهى ، وكما شاء أن يطلع ، وكما شاء أن يضحك ، فليس لنا أن نتوهم فيه كيف وكيف ، واذا قال لك الجهمى أنا أكفر برب يزول عن مكانه ، فقل أنت أنا اؤمن برب يفعل ما يشاء .

وقال عبد العزيز بن عبد الله بن أبى سلمة بن الماجشون وهو أحد الأئمة المدنية الثلاثة الذين هم مالك بن أنس وابن الماجشون وابن أبى ذئب وقد سئل عما جحدت به الجهمية ، أما بعد فقد فهمت ما سألت فيما تتابعت الجهمية ومن خالفها فى صفة الرب العظيم الذى فاقت عظمته الوصف والتدبير وكلت الألسن عن تفسير صفته وانحسرت العقول دون معرفة قدرته وردت عظمته العقول فلم تجد مساغا فرجعت خاسئة وهى حسيرة وانما أمروا بالنظر والتفكر فيما خلق بالتقدير وانما يقال لمن لم يكن مرة ثم كان ، فأما الذى لا يحول ولا يزول ولم يزل وليس له مثل فانه لا يعلم كيف هو الا هو وكيف يعرف قدر من لم يبدأ ومن لم يمت ولا يبلى وكيف يكون لصفة شىء منه حدا او منتهى يعرفه عارف أو يحد قدره واصف على أنه الحق المبين لاحق أحق منه ولا شىء أبين منه الدليل على عجز العقول عن تحقيق صفته عجزها عن تحقيق صفة أصفر خلقه لا تكاد تراه صغراً يحول ويزول ولا يرى له سمع ولا بصر لما يتقلب به ويحتال من عقله أعضل بك وأخفى عليك فأظهر من سمعه وبصره فتبارك الله أحسن الخالقين وخالقهم وسيد السادة وربهم ليس كمثله شىء وهو السميع البصير. اعرف رحمك الله غناك عن تكلف صفة ما لم يصف الرب من نفسه لعجزك عن معرفة قدر ما وصف منها اذ لم تعرف قدر ما وصف فما تكلفك علم ما لم يصف هل تستدل بذلك على شىء من طاعته أو تنزجر به عن شىء من معصيته فأما الذى جحد ما وصف الرب من نفسه تعمقا وتكلفا قد استهوته الشياطين فى الارض حيران فصار يستدل بزعمه على جحد ما وصف به الرب وسمى من

نفسه بأن قال لا بد لمن كان له كذا من أن يكون له كذا ، فعمى عن البين بالخفى ويجحد ما وصف الرب من نفسه بصمت الرب عما لم نسم منها فلم يزل يملى له الشيطان حتى جحد قول الله تعالى : (وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة) . فقال لا يراه أحد يوم القيامة فجحد والله أفضل كرامة الله التى أكرم بها أوليائه يوم القيامة من النظر الى وجهه ، ونظرته اياهم فى مقعد صدق عند مليك مقتدر قد قضى أنهم لا يموتون فهم بالنظر اليه ينظرون الى أن قال ، وانما جحد رؤية الله يوم القيامة اقامة للحجة الضالة المضلة لأنه قد عرف أنه اذا تجلى لهم يوم القيامة رأوا منه ما كانوا قبل ذلك مؤمنين به وكان له جاحداً وقال المسلمون : يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة . فقال رسول الله ﷺ : « هل تضارون فى رؤية الشمس ليس دونها سحاب ؟ » قالوا : لا ، قال : « فهل تضارون فى رؤية القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب ؟ » قالوا : لا ، قال : « فانكم ترون ربكم يومئذ كذلك » . وقال رسول الله ﷺ : « لا تمتلىء النار حتى يضع الجبار فيها قدمه فتقول ، قط قط وينزوى بعضها الى بعض » . وقال لثابت بن قيس : « لقد ضحك الله مما فعلت بضيفك البارحة » . وقال فيما بلغنا : « ان الله تعالى ليضحك من أزلكم وقنوطكم وسرعة اجابتكم » . فقال له رجل من العرب : ان ربنا ليضحك ؟ قال : « نعم » . قال لن نعدم من رب يضحك خيراً . فى أشباه لهذا مما لانحصيه وقال تعالى (وهوالسميع البصير ۝ واصبر لحكم ربك فانك بأعيننا) وقال (ولتصنع على عينى) وقال تعالى (ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدى) وقال تعالى (والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون) فوالله ما دلهم على عظم ما وصف به نفسه وما تحيط به قبضته إلا صغر نظرها منهم عندهم ، ان ذلك الذى ألقى فى روعهم ، وخلق على معرفته قلوبهم ، فما وصف الله من نفسه فسماه على لسان رسوله ﷺ سميناه ، ولم تتكلف منه صفة ما سواه ، لهذا ولهذا لا نجحد ما وصف ، ولا تتكلف معرفة ما لم يصف ، اعلم رحمك الله أن العصمة فى الدين ان تنتهى فى الدين حيث انتهى بك ولا تجاوز ماحد لك ، فان من قوام الدين معرفة المعروف وانكار

المنكر ، فما بسطت عليه المعرفة ، وسكنت اليه الأفئدة ، وذكر أصله فى الكتاب والسنة ، وتوارثت علمه الأمة ، فلا تخافن فى ذكره وصفته من ربك ما وصف من نفسه عيباً ، ولا تكلفن لما وصف لك من ذلك قدراً ، وما أنكرته نفسك ولم تجد ذكره فى كتاب ربك ، ولا فى حديث عن نبيك من ذكر صفة ربك ، فلا تتكلفن علمه بعقلك ، ولا تصفه بلسانك ، واصمت عنه كما صمت الرب عنه من نفسه ، فان تكلفك معرفة مالم يصف من نفسه كانكارك ما وصف منها ، فكما أعظمت ماجحده الجاحدون مما وصف من نفسه ، فكذلك أعظم تكلف ما وصف الواصفون مما لم يصف منها ، فقد والله عز المسلمون الذين يعرفون المعروف وبمعرفتهم يُعرف ، وينكرون المنكر وبانكارهم ينكر ، يسمعون ما وصف الله به نفسه من هذا فى كتابه وما يبلغهم مثله عن نبيه فما مرض من ذكر هذا وتسميته قلب مسلم ولا يتكلف صفة قدره ولا تسمية غيره من الرب مؤمن ، وما ذكر عن النبي ﷺ أنه سماه من صفة ربه ، فهو بمنزلة ما سمى ووصف الرب تعالى من نفسه ، والرسخون فى العلم الواقفون حيث انتهى علمهم ، الواصفون لربهم ماوصف من نفسه ، التاركون لما ترك من ذكرها ، لا ينكرون صفة ما سمى منها جحدا ، ولا يتكلفون وصفه مما لم يسم تعمقاً ، لأن الحق ترك ما ترك وتسمية ما سمى (ومن يتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا) وهب الله لنا ولكم حكماً وألحقنا بالصالحين .

قال شيخ الإسلام وهذا كله كلام ابن الماجشون الامام فتدبره وانظر كيف أثبت الصفات ونفى علم الكيفية موافقاً لغيره من الأئمة ؟ وكيف أنكر على من نفى الصفات بأنه يلزمهم من اثباتها كذا وكذا كما تقوله الجهمية أنه يلزم أن يكون جسما أو عرضا فيكون محدثا ، انتهى . فتحصل لنا مما ذكره أئمة الاسلام ، وقدوة الأنام ، أن هذا الملحد جهمى معتزلى وهذا يكفى العاقل من ضلاله وعتوه وخروجه عن الصراط المستقيم والحمد لله رب العالمين .

فصل

قال العراق وأما ما تمسكت به الوهابية من النقول التى تثبت الاشارة اليه تعالى فهى ظواهر ظنية لا تعارض اليقينيات فتؤول اما اجمالا ويفوض تفصيلها الى الله كما عليه أكثر السلف واما تفصيلا كما هو رأى الأكثرين فما ورد من الاشارة اليه فى السماء محمول على أنه تعالى خالق السماء وان السماء مظهر قدرته لما اشتملت عليه من العوالم العظيمة التى لم تكن أرضنا الحقيرة الأذرة بالنسبة اليها وكذلك العروج اليه تعالى هو بمعنى العروج الى موضع يتقرب اليه بالطاعات فيه الى غير ذلك من التأويلات .

فالجواب أن نقول :قد كان من المعلوم أن طريقة الوهابية التمسك بكتاب الله وسنة رسوله وأقوال سلف الأمة وأئمتها فيثبتون ما أثبته الله ورسوله وينفون ما نفاه الله ورسوله ولا يعتقدون صواب ما ذهب اليه المتكلمون من تأويل آيات الصفات وأحاديثها حيث قالوا إن نصوص الكتاب والسنة ظواهر ظنية لا تعارض اليقينيات وما أشبه ذلك من التمويهات . وهذا الضرب من الناس هم الذين كثر فى باب الدين اضطرابهم . وغلظ عن معرفة الله حجابهم ، واذا كان أدلة الكتاب والسنة ظواهر ظنية لا تعارض العقليات اليقينية فهلا قال رسول الله ﷺ يوما من الدهر أو أحد من سلف الأمة ان هذه الآيات والأحاديث ظواهر ظنية فلا تعتقدوا ما دلت عليه ولكن اعتقدوا الذى تقتضيه عقولكم ومقاييسكم أو أولوها بكذا وكذا فانه الحق وما خالفه ظاهره فلا تعتقدوا ظاهره وانظروا فيما وافق قياس عقولكم فاعتقدوه لأن العقل مقدم على النقل اذ هو أصله . ثم كيف يجوز أن يقال فى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ما يعلم زيد وعمرو بعقله أنه باطل وأن يكون كل من اشتبه عليه شىء مما اخبر به النبى ﷺ قدم رأيه على نص الرسول ﷺ فى أنباء الغيب وما اخبر به عن ربه وما وصف به من صفات كماله ونعوت جلاله ، بمجرد رأيه بدون الاستهداء بهدى الله ، والاستضاءة بنور الله الذى أرسل به رسله ، وأنزل به كتبه ، مع علم

كل أحد بقصوره، وتقصيره فى هذا الباب، وبما وقع فيه الاكثرون من الاضطراب، فى الجملة النصوص الثابتة فى الكتاب والسنة لا يعارضها معقول قط، ولا يعارضها إلا ما فيه اشتباه واضطراب، وما علم انه حق لا يعارضه ما فيه اضطراب واشتباه لم يعلم انه حق، بل نقول قولا عاما كلياً ان النصوص الثابتة عن رسول الله ﷺ لم يعارضها قط صريح معقول فضلاً عن أن يكون مقدما عليها وانما الذى يعارضها شبه وخيالات مبناها على معان متشابهة، وألفاظ مجملة، فمتى وقع الاستفسار والبيان ظهر أن ما عارضها شبه سوفسطية، لا براهين عقلية.

ثم كيف تكون أدلة كتاب الله وسنة رسوله ظواهر ظنية وقد جاء فى الحديث الذى رواه الترمذى وغيره عن عمار رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «انها ستكون فتن، قلت فما المخرج منها يارسول الله؟ قال «كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، هو الفصل، ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى من غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الذى لاتزيغ به الأهواء، ولا تلبس به الألسن، ولا يخلق عن كثرة الرد، ولا تنقضى عجائبه، ولا يشبع منه العلماء، وفى رواية «ولا تختلف به الآراء هو الذى لم تنته الجن إذ سمعته أن قالوا (إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدى إلى الرشد) من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا اليه هدى إلى صراط مستقيم، وهذا الملحد يقول ان أدلة الكتاب والسنة ظواهر ظنية لا تعارض اليقينيات، واليقينيات عنده نحاتة أفكار الفلاسفة، وفروخ اليونان، وورثة المجوس، وزبالة أذهانهم.

فالحمد لله الذى أخذ بنواصى الوهابية فلم يسلكوا طريقة هؤلاء المغضوب عليهم والضالين، بل سلك بهم طريقة أصحاب رسول الله ﷺ، وسلف الأمة وأئمتها، فلله الحمد لا نحصى ثناء عليه، بل هو كما أثنى على نفسه، وفوق مايثنى عليه أحد من خلقه. قال شمس الدين بن القيم رحمه الله تعالى فى اغاثة اللهفان:

ومن حيله ومكايده الكلام الباطل ، والآراء المتهافتة ، والخيالات المتناقضة ، التي هي زبالة الاذهان ، ونحاتة الافكار ، والزبد الذى تقذف به القلوب المظلمة المتحيرة التي تعدل الحق بالباطل ، والخطأ بالصواب ، قد تقاذفت بها أمواج الشبهات ، ورانت عليها غيوم الخيالات ، فركبها القيل والقال ، والشك والتشكيك ، وكثرة الجدال ليس لها حاصل من اليقين يعول عليه ، ولا معتقد مطابق للحق يرجع اليه ، يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً فقد اتخذوا لأجله ذلك القرآن مهجوراً ، وقالوا من عند أنفسهم فقالوا منكراً من القول وزوراً ، فهم فى شكهم يعمهون ، وفى حيرتهم يترددون ، نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون ، واتبعوا ما تلته الشياطين على ألسنة أسلافهم من أهل الضلال فهم اليه محاكمون ، وبه مخاصمون ، فارقوا الدليل (واتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل) .

ومن كيده بهم وتحيله على اخراجهم من العلم والدين أن ألقى على ألسنتهم أن كلام الله ورسوله ظواهر لفظية لا تفيد اليقين ، وأوحى اليهم أن القواطع العقلية ، والبراهين اليقينية ، فى المناهج الفلسفية ، والطرق الكلامية ، فحال بينهم وبين اقتباس الهدى واليقين من مشكاة القرآن ، وأحالهم على منطق يونان ، وعلى ما عندهم من الدعاوى الكاذبة العرية عن البرهان ، وقال لهم تلك علوم قديمة صقلتها العقول والاذهان ، ومرت عليها القرون والأزمان ، فانظر كيف تلطف بكيده ومكره حتى أخرجهم من الايمان كما أخرج الشعرة من العجين ، انتهى .

(وأما قوله) فتؤول اما اجمالا ويفوض تفصيلها الى الله تعالى كما عليه أكثر السلف .

فالجواب أن نقول : قد أجاب عن هذا الكلام شيخ الاسلام قدس الله روحه ، فقال : ثم الكلام فى هذا الباب عنهم أكثر من أن يمكن تسطيره فى هذه الفتوى وأضعافها يعرف ذلك من طلبه وتتبعه ، ولا يجوز أيضاً أن يكون الخالفون أعلم من السابقين كما يقوله بعض الاغبياء ممن لا يعرف قدر السلف ،

بل ولا عرف الله ورسوله والمؤمنين به حقيقة المعرفة المأمور بها من أن طريقة السلف أسلم ، وطريقة الخلف أعلم وأحكم ، فان هؤلاء المبتدعين الذين يفضلون طريقة الخلف من المتفلسفة ومن حذا حذوهم على طريقة السلف ، إنما أوتوا من حيث ظنوا أن طريقة السلف هى مجرد الايمان بألفاظ القرآن والحديث من غير فقه لذلك بمنزلة الاميين الذين قال الله فيهم (ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أمانى) وان طريقة الخلف هى استخراج معانى النصوص المعروفة عن حقائقها بأنواع المجازات وغرائب اللغات ، فهذا الظن الفاسد أوجب تلك المقالات التى مضمونها نبذ الاسلام وراء الظهر ، وقد كذبوا على طريقة السلف وضلوا فى تصويب طريقة الخلف فجمعوا بين الجهل بطريقة السلف فى الكذب عليهم ، وبين الجهل والضلال بتصويب طريقة الخلف ، وسبب ذلك اعتقادهم أنه ليس فى نفس الامر صفة دلت عليها هذه النصوص بالشبهات الفاسدة التى شاركوا فيها اخوانهم من الكافرين ، فلما اعتقدوا انتفاء الصفات فى نفس الامر ، وكان مع ذلك لابد للنصوص من معنى بقوا مترددين بين الايمان باللفظ وتفويض المعنى وهى التى يسمونها طريقة السلف ، وبين صرف اللفظ الى معان بنوع التكلف وهى التى يسمونها طريقة الخلف ، فصار هذا الباطل مركباً من فساد العقل والكفر بالسمع فان النفى انما اعتمدوا فيه على أمور عقلية ظنوها بينات وهى شبهات ، والسمع حرفوا فيه الكلام عن مواضعه.

فلما ابتنى أمرهم على هاتين المقدمتين الكفريتين الكاذبتين ، وكانت النتيجة استجهال السابقين ، واستبلاههم ، واعتقاد أنهم كانوا قوما أميين بمنزلة الصالحين العامة لم يتجردوا فى حقائق العلم بالله ، ولم يتفطنوا لدقائق العلم الالهى ، وان الخلف الفضلاء حازوا قصب السبق فى هذا كله - الى أن قال - ثم هؤلاء المتكلمون المخالفون للسلف اذا حقق عليهم الامر لم يوجد عندهم من حقيقة العلم بالله وخالص المعرفة له خبر ، ولم يقفوا من ذلك على عين ولا أثر ، كيف يكون هؤلاء المحجوبون المنقوصون المسبوقون ، الحيارى المتهوكون ، اعلم بالله وأسمائه وصفاته ، وأحكم فى باب ذاته وآياته من السابقين الأولين ، والمهاجرين

والانصار والذين اتبعوهم باحسان من ورثة الانبياء ، وخلفاء الرسل ، وأعلام الهدى ، ومصابيح الدجى ، الذين بهم قام الكتاب وبه قاموا ، وبهم نطق الكتاب وبه نطقوا ، الذين وهبهم الله من العلم والحكمة مابرزوا به على سائر اتباع الانبياء فضلا عن سائر الأمم الذين لا كتاب لهم وأحاطوا من حقائق المعارف ، وبواطن الحقائق ، بما لو جمعت حكمة غيرهم اليها لاستحيا من يطلب المقابلة ؟ ثم كيف يكون خير قرون الامة أنقص فى العلم والحكمة - لا سيما العلم بالله وأحكام أسمائه وآياته - من هؤلاء الاصاغر بالنسبة اليهم ؟ أم كيف يكون أفراخ المتفلسفة واتباع الهند واليونان ، وورثة المجوس والمشركين ، وضلال اليهود والنصارى والصابئين ، وأشكالهم وأشباههم ، اعلم بالله من ورثة الانبياء وأهل القرآن . - وذكر كلاما طويلا الى أن قال :

فان كان الحق فيما يقوله هؤلاء السالبون النافون للصفات الثابتة فى الكتاب والسنة من هذه العبارات ونحوها دون ما يفهم من الكتاب والسنة اما نصاً وإما ظاهراً فكيف يجوز على الله ، ثم على رسوله ، ثم على خير الامة ، أنهم يتكلمون دائما بما هو نص أو ظاهر فى خلاف الحق ، ثم الحق الذى يجب اعتقاده لا يبوحون به قط ، ولا يدلون عليه لا نصا ولا ظاهراً ، حتى يجىء أنباط فارس والروم وفروخ اليهود والنصارى والفلاسفة يبينون للأمة العقيدة الصحيحة التى يجب على كل مكلف أو فاضل أن يعتقدها ؟ لأن كل ما يقوله هؤلاء المتكلمون المتكلفون هو الاعتقاد الواجب وهم مع ذلك أحيلوا فى معرفته على مجرد عقولهم ، وأن يدفعوا بما اقتضى قياس عقولهم مادل عليه الكتاب والسنة نصا أو ظاهراً لقد كان ترك الناس بلا كتاب ولا سنة أهدى لهم وأنفع على هذا التقدير ، بل كان وجود الكتاب والسنة ضرراً محضا فى أصل الدين ، فان حقيقة الامر على ما يقوله هؤلاء أنكم يا معشر العباد لا تطلبوا معرفة الله عز وجل وما يستحقه من الصفات نفيا وإثباتا من الكتاب ، ولا من السنة ، ولا من طريق سلف الامة ، ولكن انظروا انتم فما وجدتموه مستحقا له من الصفات فصفوه به سواء كان موجوداً فى الكتاب ، والسنة أو لم يكن موجوداً ، وما لم تجدوه مستحقا له فى عقولكم فلا تصفوه به .

ثم هم ههنا فريقان أكثرهم يقولون : مالم تثبته عقولكم فانفوه ، ومنهم من يقول : بل توقفوا فيه ، وما نفاه قياس عقولكم الذى أنتم فيه مختلفون ومضطربون اختلافا أكثر من جميع اختلاف على وجه الأرض فانفوه ، واليه عند التنازع فارجعوا ، فانه الحق الذى تعبدتكم به ، وما كان مذكوراً فى الكتاب والسنة مما يخالف قياسكم هذا أو يثبته مالم تدركه عقولكم على طريقة أكثرهم فاعلموا أنى امتحنتكم لا لتعلموا بتنزيله ، ولا لتأخذوا الهدى منه ، لكن لتجتهدوا فى تخريجه على شواذ اللغة ، ووحشى الألفاظ ، وغرائب الكلام ، وأن تسكتوا عنه مفوضين علمه إلى الله مع نفى دلالته على شىء من الصفات . هذا حقيقة الأمر على رأى هؤلاء المتكلمين : إلى آخر كلامه رحمه الله تعالى .

وقال أيضاً فى موافقة العقل الصحيح للنقل الصريح : وهؤلاء الذين يعارضون الكتاب والسنة بأقوالهم بنوا أمرهم على أصل فاسد وهو أنهم جعلوا أقوالهم التى ابتدعوها هى الأقوال المحكمة التى جعلوها أصول دينهم وجعلوا قول الله ورسوله من المجمل الذى لا يستفاد منه علم ولا هدى ، فجعلوا المتشابه من كلامهم هو المحكم والمحكم من كلام الله ورسوله هو المتشابه كما جعل الجهمية من المتفلسفة والمعتزلة ونحوهم ما أحدثوه من الأقوال التى نفوا بها صفات الله ، ونفوا بها رؤيته فى الآخرة وعلوه على خلقه ، وكون القرآن كلامه ونحو ذلك جعلوا تلك الأقوال محكمة ، وجعلوا قول الله ورسوله مؤولا أو مردوداً ، أو غير ملتفت اليه ولا ملتقى للهدى منه ، فتجدهم يقولون : ليس بجسم ، ولا جوهر ، ولا عرض ، ولا له كم ولا كيف ، ولا تحله الأعراض والحوادث ، ونحو ذلك ، وليس بمباين للعالم ، ولا خارج عنه — إلى آخر كلامه رحمه الله تعالى .

وسيأتى الكلام على مسألة التفويض وبطلان قول من زعم أن هذه طريقة السلف . وبما ذكرناه هنا من كلام أهل العلم يتبين لكل منصف بطلان تأويل هذا الملحد بقوله فما ورد من الاشارة اليه فى السماء محمول على انه تعالى خالق السماء أو ان السماء مظهر قدرته لما اشتملت عليه من العوالم العظيمة التى لم تكن أرضنا الحقيرة إلا ذرة بالنسبة اليها ، وكذلك العروج اليه تعالى هو بمعنى العروج

الى موضع يتقرب اليه بالطاعات فيه الى غير ذلك من التأويلات ، وانه بهذا التأويل قد خرج عن سبيل المؤمنين ، وانتحل طريقة المتكلمين الذين ليس لهم قدم صدق فى العالمين ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

ثم من العجب انه يدعى تعظيم رسول الله ﷺ ويرى الوهابية المعظمين له فى الحقيقة بالتنقص للنبى ﷺ وهو قد تنقص رسول الله ﷺ وهضمه أعظم الهضم وأشد التنقص بزعمه أنه لم يعرج برسول الله ﷺ الى أن الله بذاته الى وصل فوق السماء السابعة ورآى من آيات ربه الكبرى ما رآى وانه ما زاغ منه البصر وما طغى لكماله عليه الصلاة والسلام ، فلله الحمد على ما منّ به من الايمان وبما أخبر به على لسان رسوله ﷺ على ما يليق بالله وبنعوت جلاله وعظمته .

فصل

قال العراقى : الوهابية ونبذها للعقل لما كان صريح العقل وصحيح النظر مصادما كل المصادمة لما اعتقدته الوهابية اضطروا الى نبذهم العقل جانباً وأخذهم بظواهر النقل فقط وان نتج منه المحال ونجم عنه الغى والضلال فاعتقدوا متمسكين بظواهر الآيات ان الله تعالى ثبت على عرشه وعلاه علواً حقيقياً وان له تعالى وجها ويدين وانه ينزل الى السماء الدنيا ويصعد نزولا وصعوداً حقيقيين وانه يشار اليه فى السماء اشارة حسية بالأصبع الى غير ذلك مما يؤل الى التجسيم البحت (تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيرا) فالوهابيــة التى تسمى زائرى القبور عباد الأوثان انما هى قد عبدت الوثن حيث انها جعلت معبودها جسما كالحيوان جالسا على عرشه ينزل ويصعد نزولا وصعوداً حقيقيين وله وجه ، ويد ، ورجل ، وأصابع حقيقة مما يتنزه عنه المعبود الحق ، واذا رد عليهم بالبراهين العقلية وأثبت لهم أن ذلك مناف للألوهية عند العقل قالوا فى الجواب لا مجال للعقل الحقير البشرى فى مثل هذه الامور التى طورها فوق طور العقل فاشبهوا فى ذلك النصارى فى دعوى التثليث فانك إذا سألتهم قائلا كيف يكون الثلاثة

واحداً والواحد ثلاثة قالوا ان معرفة هذا فوق طور العقل ولا يجوز إعمال الفكر فى ذلك .

والجواب أن يقال : نعم لما كان صريح العقل من هؤلاء الملاحدة وصحيح النظر منهم على ما زعموه مصادما كل المصادمة لما اعتقدته الوهابية من التمسك بصريح الكتاب وصحيح السنة وصريحها والسلوك على طريقة سلف الأمة وأئمتها نبذوا ما جاءت به عقول هؤلاء الملاحدة من نحاتة الأفكار وزبالة الأذهان وريح المقاعد وراء ظهورهم ، ولم يلتفتوا الى ما موهوا به من هذه الشبهات التى زعموا أنها عقليات ويقينيات فاعتقدوا متمسكين بنصوص الكتاب والسنة ان الله تعالى على عرشه وعلا عليه علواً حقيقياً وان الله تعالى له وجه ويدان ، وانه ينزل الى السماء الدنيا ويصعد نزولا وصعوداً حقيقيين على ما يليق بعظمته وجلاله وعظيم سلطانه كما يشاء أن ينزل وكما يشاء أن يصعد وانه يشار اليه فى السماء اشارة حسية بالاصبع كما أشار اليه أعرف الخلق به بأصبعه رافعاً الى السماء بمشهد الجمع الاعظم مستشهداً له لا للقبلة الى غير ذلك مما وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله لأن ذلك ليس بمستحيل فى العقول الصحيحة الموافقة لصريح المنقول عن الرسول ونحن نعلم بضرورة العقل ان الرسل لا يخبرون بمحالات العقول بل بمحارات العقول فلا يخبرون بما يعلم العقل انتقاده بل يخبرون بعجز العقل عن معرفته .

(وأما قوله) مما يؤل الى التجسيم البحت .

(فنقول) ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار ، وأما من أثبت لله ما أثبته لنفسه فذلك لا يؤل الى التجسيم فان القرآن قد دل على أنه ليس بجسم لأنه أحد ، والأحد الذى لا ينقسم ، وهو واحد والواحد لا ينقسم ، وهو صمد والصمد الذى لا جوف له فلا يتخلله غيره ، وانما يؤل الى التجسيم ، من قال ان له وجها كوجهى ويدين كيدى مما يماثل صفات المخلوقين أو يشبهها بصفاتهم . بل نحن على مذهب السلف أهل السنة المحضة ، ونقول ان الله تعالى فوق عرشه حقيقة مع نفى اللوازم التى يلزم بها أعداء الله ورسوله أهل الحق وهى لا تلزم لا بعقل ولا بنقل ، وقد تقدم الكلام على ذلك .

(وأما قوله) فأما الوهابية التى تسمى زائرى القبور عباد الأوثان إنما هى عبدة الوثن حيث أنها جعلت معبودها جسما كالحيوان جالساً على عرشه ينزل ويصعد نزولا وصعوداً حقيقيين وله وجه ويد ورجل وأصابع حقيقة عما ينزه عنه المعبود الحق .

(فنقول) ما جعلت الوهابية زائرى القبور مطلقاً عباد الأوثان ومعاذ الله من ذلك وانما جعلت الوهابية من أشرك بالله فى عبادته غيره عابداً للوثن سواء زار القبور أو قعد فى بيت أمه . وذلك بأن يدعوه مع الله أو يرجوه أو يخافه أو يحبه كمحبة الله أو يستغيث به أو يلتجيء اليه فى رفع كربة أو كشف ملمة أو يطلب منه جلب منفعة أو يذبح له أو ينذر له الى غير ذلك من أنواع العبادة التى هى مختصة بالله ، فمن أشرك بالله فيها أحداً من خلقه نبياً أو ملكا أو ولياً أو صالحاً أو شجراً أو حجراً فهو مشرك بالله فى عبادته غيره .

(وقوله) انما هى قد عبدت الوثن حيث أنها جعلت معبودها جسما الى آخره .

(فأقول) قد تقدم نفى الجسمية عن الله تعالى والوهابية ما عبدت إلا إلهاً واحداً أحداً صمداً لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد . ولا تعقل إلهاً أحداً صمداً ليس على السماء فوق العرش بائناً من خلقه لا وجه له ولا يدين ولا ينزل الى سماء الدنيا ولا يصعد ولا يشار اليه فى السماء ، وانما تعقل إلهاً موجوداً واحداً فوق سماواته بجميع أسمائه وصفاته ونعوت جلاله وأنتم انما معبودكم العدم المحض ولا تثبتون إلا إلهاً مقدراً فى الأذهان لا حقيقة له فى الخارج فتعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيرا .

(وأما كونه) جالساً على عرشه فقد جاء الخبر بذلك ، قال الامام عبد الله ابن الامام أحمد فى كتاب السنة فى الرد على الجهمية : قال حدثنى أبى وعبد الأعلى ابن حماد النرسى ، قال حدثنا عبد الرحمن بن مهدى ، حدثنا سفيان عن أبى اسحاق عن عبد الله بن خليفة عن عمر رضى الله عنه قال : اذا جلس ربنا تبارك وتعالى على الكرسى سمع له أطيط كأطيط الرحل الجديد ، وقد تقدم بيان ذلك فنصدق

بما قاله الله ورسوله ، وبما قاله الصحابة والتابعون لهم باحسان وما كان عليه سلف الأمة وأئمتها واذا كان رسول الله ﷺ وأصحابه والتابعون لهم باحسان ، وأهل السنة والجماعة من أهل الحديث وغيرهم من الأئمة المقتدين والسادة المعظمين قد وصفوا الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله ، فهم عند هذا الملحد الضال قد عبدوا وثناً بهذه اللوازم التى ابتدعها قدماء الفلاسفة وورثتهم من المتكلمين الخارجين عن سبيل المؤمنين فلعنة الله على الظالمين .

(ثم قال الملحد) واذا رد عليهم بالبراهين العقلية وأثبت لهم أن ذلك مناف للألوهية عند العقل قالوا فى الجواب ، لا مجال للعقل الحقير البشرى فى مثل هذه الأمور التى طورها فوق طور العقل فاشبهوا فى ذلك النصارى فى دعوى التثليث الى آخره .

(والجواب أن يقال) ان هذه البراهين التى تزعمون أنها عقلية انما هى شبه خيالية مبناها على معان متشابهة وألفاظ مجملة ، فتى وقع الاستفسار والبيان ظهر أنها شبه سوفسطائية لابراهين يقينية عقلية ، ودعواه أن من نفاها قد شابه فى ذلك النصارى . والنصارى عليهم لعنة الله ، انما نزعوا الى ما نزعوا اليه من أمر التثليث انما هو بمجرد عقولهم ونتائج قياساتهم وتركهم ما أنزله الله فى كتبه على ألسنة رسله وبغلوهم فى أنبيائهم كما غلوتم أنتم فى الانبياء والاولياء والصالحين فأنتم الذين أشبهتم النصارى فى دعوى التثليث فانهم انما أثبتوا ذلك بمجرد معقولاتهم ونتائج قياساتهم وقدموا حكم العقل على النقل الذى أنزله الله فى كتبه وعلى ألسنة رسله وأنتم نفيتم ما وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله من اثبات صفات كماله ونعوت جلاله بمجرد معقولاتكم ونتائج قياساتكم ونبذتم كتاب الله وسنة رسوله وراء ظهوركم ، وزعمتم أن نصوص الكتاب والسنة ظواهر لا تفيد اليقين وانما يفيد اليقين نتائج عقول الملاحدة التى هى نحاتة الافكار وزبالة الأذهان وريح المقاعد ، فمن أشباه النصارى حينئذ إن كنتم تعلمون ؟

فصل

(ثم قال العراقى) لا ريب أنه اذا تعارض العقل والنقل أو النقل بالعقل اذ لا يمكن حينئذ الحكم بثبوت مقتضى كل منهما لما يلزم عنه من اجتماع النقيضين ولا بانتفاء ذلك لاستلزامه ارتفاع النقيضين لكن بقى أن يقدم النقل على العقل أو العقل على النقل والأول باطل لأنه ابطال للأصل بالفرع ، وايضاحه أن النقل لا يمكن اثباته الا بالعقل وذلك لأن اثبات الصانع ومعرفة النبوة وسائر مايتوقف صحة النقل عليه لا يتم الا بطريق العقل فهو أصل للنقل الذى تتوقف صحته عليه ، فاذا قدم على العقل وحكم بثبوت مقتضاه وحده فقد أبطل الأصل بالفرع ويلزم منه ابطال الفرع أيضاً اذ تكون حينئذ صحة النقل متفرعة على حكم العقل الذى يجوز فساده وبطلانه فلا يقطع بصحة النقل فلزم من تصحيح النقل بتقديمه على العقل عدم صحته واذا كان تصحيح الشىء منجزا الى افساده كان مناقضاً لنفسه فكان باطلا ، فاذا لم يمكن تقديم النقل على العقل بالدليل السابق فقد يعين تقديم العقل على النقل وهو المطلوب .

(والجواب أن نقول) اذا تعارض النقل والعقل وجب تقديم النقل لأن العقل مصدق للنقل فى كل ما أخبر به والنقل لم يصدق العقل فى كل ما أخبر به ولا العلم بصدقه موقوف على كل ما يخبر به العقل فالواجب رد ما أثبته الى نصوص الكتاب والسنة ولا يعترض عليها بالشكوك والشبه والتأويلات الفاسدة أو بقول من يقول العقل يشهد بضد ما دل عليه النقل والعقل أصل النقل فاذا عارضه قدمنا العقل ، وهذا لا يكون قط ، لكن اذا جاء مايوهم مثل ذلك ، فان كان النقل صحيحا فذلك الذى يدعى أنه معقول انما هو مجهول ، ولو حقق النظر لظهر ذلك ، وان كان النقل غير صحيح فلا يصلح للمعارضة فلا يتصور أن يتعارض عقل صريح ونقل صحيح أبدا وتعارض كلام من يقول ذلك بنظره .

فيقال اذا تعارض العقل والنقل وجب تقديم النقل لأن الجمع بين المدلولين جمع بين النقيضين ورفعهما رفع للنقيضين وتقديم العقل ممتنع لأن العقل قد دل

على صحة السمع ووجوب قبول ما أخبر به الرسول ﷺ فلو أبطلنا النقل لكنا قد أبطلنا دلالة العقل ولو أبطلنا دلالة العقل لم يصلح أن يكون معارضاً للنقل لأن ما ليس بدليل لا يصلح لمعارضة شيء من الاشياء فكان تقديم العقل موجباً عدم تقديمه فلا يجوز تقديمه وهذا بين واضح ، فان العقل هو الذى دل على صدق السمع وصحته وان خبره مطابق لمخبره فان جاز أن تكون الدلالة باطلة لبطلان النقل لزم أن لا يكون العقل دليلا صحيحا واذا لم يكن دليلا صحيحا لم يلزم أن يتبع بحال فضلا عن أن يقدم فصار تقديم العقل على النقل قدحا فى العقل فالواجب كمال التسليم للرسول ﷺ والانقياد لأمره وتلقى خبره بالقبول والتصديق دون أن نعارضه بخيال باطل نسميه معقولا أو نحمله بشبهة أو شك أو نقدم عليه آراء الرجال وزبالة أذهانهم وما أحسن المثل المضروب للنقل مع العقل وهو أن العقل مع النقل كالعامى المقلد مع العالم المجتهد بل هو دون ذلك بكثير ، فان العامى يمكنه أن يصير عالما ولا يمكن العالم أن يصير نبيا رسولا فاذا عرف العامى المقلد عالما فدل عليه عامياً آخر ثم اختلف المفتى والدال فان المستفتى يجب عليه قبول قول المفتى دون الدال فلو قال الدال الصواب معى دون المفتى لأنى أنا الأصل فى علمك بأنه مفت فاذا قدمت قوله على قولى قدحت فى الاصل الذى به عرفت أنه مفت فلزم القدح فى فرعه فيقول له المستفتى أنت لما شهدت له بأنه مفت ودللت عليه شهدت له بوجوب تقليده دونك فموافقتى لك فى هذا العلم المعين لايستلزم موافقتك فى كل مسألة وخطأك فيما خالفت فيه المفتى الذى هو أعلم منك لايستلزم خطأك فى علمك لأنه مفت هذا مع علمه أن ذلك المفتى قد يخطأ والعقل يعلم أن الرسول معصوم فى خبره عن الله تعالى لايجوز عليه الخطأ فيجب عليه التسليم له والانقياد لأمره وقد علمنا بالاضطرار من دين الاسلام أن الرجل لو قال للرسول هذا القرآن الذى تلقيه علينا والحكمة التى جئتنا بها قد تضمنت كل منهما اشياء كثيرة تناقض ما علمناه بعقولنا ونحن انما علمنا صدقك بعقولنا فلو قبلنا جميع ما تقوله مع ان عقولنا تناقض ذلك لكان ذلك قدحا فيما علمنا به صدقك فنحن نعتقد موجب الأقوال المناقضة لما ظهر من

كلامك وكلامك نعرض عنه لا نتلقى منه هديا ولا علما لم يكن مثل هذا الرجل مؤمنا بما جاء به الرسول ولم يرض منه الرسول بهذا بل يعلم أن هذا لو ساغ لأمكن كل أحد أن لا يؤمن بشيء مما جاء به الرسول إذ العقول متفاوتة والشبهات كثيرة والشياطين لا تزال تلقى الوسواس فى النفوس فيمكن كل أحد أن يقول مثل هذا فى كل ما أخبر به الرسول وما أمر به وقد قال تعالى : (ما على الرسول إلا البلاغ) . وقال : (فهل على الرسول إلا البلاغ المبين) وقال تعالى : (وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم فتضل الله من يشاء ويهدى من يشاء قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ـ حم والكتاب المبين ـ تلك آيات الكتاب المبين ـ ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون ـ ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين) ونظائر ذلك كثيرة فى القرآن فأمر الايمان بالله واليوم الآخر اما أن يكون الرسول تكلم فيه بما يدل على الحق أم لا . (الثانى) باطل وان كان قد تكلم على الحق بالفاظ مجملة محتملة فبلغ البلاغ المبين وقد شهد له خير القرون بالبلاغ وأشهد الله عليهم بالموقف الأعظم فمن يدع أنه فى أصول الدين لم يبلغ البلاغ المبين فقد افترى عليه ﷺ وفى المعلوم بالاضطرار ان عقل رسول الله ﷺ اكمل عقول أهل الارض على الاطلاق فلو وزن عقله بعقولهم لرجحها وقد أخبر الله أنه قبل الوحى لم يكن يدر الايمان كما لم يكن يدرى الكتاب فقال تعالى : (وكذلك أوحينا اليك روحاً من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نوراً نهدى به من نشاء من عبادنا) . وقال تعالى : (ألم يجدك يتيما فآوى ووجدك ضالا فهدى ووجدك عائلا فأغنى) وتفسير هذه الآية بالآية التى فى آخر سورة الشورى فاذا كان أعقل الخلق على الاطلاق انما حصل له الهدى بالوحى كما قال تعالى : (قل ان ضللت فانما أضل على نفسى وان اهتديت فبما يوحى الىّ ربى انه سميع قريب) فكيف يحصل لسفهاء العقول واخفاء الاحلام الاهتداء الى حقائق الايمان بمجرد عقولهم دون نصوص الوحى حتى اهتدوا بتلك الهداية الى المعارضة بين

العقل ونصوص الانبياء ، (لقد جئتم شيئا إدّا تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا) وقد سئل شيخ الاسلام عن مثل ما أورده هذا الملحد فقال قول السائل اذا تعارضت الادلة السمعية والعقلية أو السمع والعقل أو النقل والعقل أو الظواهر النقلية والقواطع العقلية أو نحو ذلك من العبارات فاما أن يجمع بينهما وهو محال لأنه جمع بين النقيضين واما ان يردا جميعا واما ان يقدم السمع وهو محال لأن العقل اصل النقل فلو قدمناه عليه كان ذلك قدحا فى العقل الذى هو اصل النقل والقدح فى أصل الشيء قدح فيه فكان تقديم النقل قدحا فى النقل والعقل جميعا فوجب تقديم العقل ثم النقل اما ان يتأول واما ان يفوض واما اذا تعارضا تعارض الضدين امتنع الجمع بينهما ولم يمتنع ارتفاعهما قال رحمه الله تعالى وهذا الكلام قد جعله الرازى وإتباعه قانونا كليا فيما يستدل به من كتب الله وكلام انبيائه وما لا يستدل به ولهذا ردوا الاستدلال بما جاءت به الانبياء والمرسلون صلوات الله وسلامه عليهم فى صفات الله تعالى وغير ذلك من الأمور التى أنبأوا بها وظن هؤلاء أن العقل يعارضها وقد يضم بعضهم الى ذلك ان الأدلة السمعية لا تفيد اليقين الى ان قال ومثل هذا القانون الذى وضعه هؤلاء يضع كل فريق لانفسهم قانونا فيما جاءت به الأنبياء عن الله فيجعلون الأصل الذى يعتقدونه ويعتمدونه هو ما ظنوا ان عقولهم عرفته ويجعلون ما جاءت به الانبياء تبعا فما وافق قانونهم قبلوه وما خالفه لم يتبعوه وهذا يشبه ما وضعه النصارى من أماناتهم التى جعلوها عقيدة ايمانهم وردوا التوراة والانجيل اليها لكن تلك الامانة اعتمدوا فيها على ما فهموه من نصوص الانبياء أو ما بلغهم عنهم وغلطوا فى الفهم أو فى تصديق الناقل كسائر الغالطين فمن يحتج بالسمعيات فان غلطه اما فى الاسناد واما فى المتن وأما هؤلاء فقد وضعوا قوانينهم على ما رواه بعقولهم وقد غلطوا فى الرأى والعقل فالنصارى أقرب الى تعظيم الأنبياء والرسل من هؤلاء لكن النصارى يشبههم من ابتدع بدعة بفهمه الفاسد من النصوص أو بتصديقه النقل الكاذب عن الرسول كالخوارج والوعيدية والمرجئة والامامية وغيرهم بخلاف

بدعة الجهمية والفلاسفة فانها مبنية على ما يقرون هم بأنه مخالف للمعروف من كلام الانبياء ثم ذكر طريقة أهل التبديل وطريقة أهل التجهيل وطريقة أهل التحريف والتأويل وقد تقدم منه طرفا الى أن قال وجماع الأمر ان الادلة نوعان شرعية وعقلية فالمدعون لمعرفة الآلهيات بعقولهم من المنتسبين الى الحكمة والكلام والعقليات يقول من يخالف نصوص الأنبياء منهم ان الأنبياء لم يعرفوا الحق الذى عرفناه أو يقولون عرفوه ولم يبينوه للخلق كما بيناه بل تكلموا بما يخالفه من غير بيان منهم والمدعون للسنة والشريعة واتباع السلف الجهال بمعانى النصوص يقولون أن الأنبياء والسلف الذين اتبعوا الأنبياء لم يعرفوا معانى هذه النصوص التى قالوها والتى بلغوها عن الله أو الانبياء عرفوا معانيها ولم يبينوا مرادهم للناس فهؤلاء الطوائف قد يقولون نحن عرفنا الحق بعقولنا ثم اجتهدنا فى حمل كلام الانبياء على ما يوافق مدلول العقل وفائدة انزال هذه المتشابهات المشكلات اجتهاد الناس فى أن يعرفوا الحق بعقولهم ثم يجتهدون فى تأويل كلام الانبياء الذين لم يبينوا به مرادهم أو انا عرفنا الحق بعقولنا وهذه النصوص لم تعرف الانبياء معناها كما لم يعرفوا وقت الساعة ولكن أمرنا بتلاوتها من غير تدبر لها ولا فهم لمعانيها أو يقولون هذه الامور لا تعرف بعقل ولا نقل بل نحن منهيون عن معرفة العقليات وعن فهم السمعيات وان والانبياء وأتباعهم لايعرفون العقليات ولا يفهمون السمعيات ثم ذكر كلاما طويلا لا يحتمله هذا الموضع ثم قال :

والمقصود هنا الكلام على قول القائل اذا تعارضت الادلة السمعية والعقلية الى آخره كما تقدم والكلام على هذه الجملة بنى على ما فى مقدمتها من التلبيس فانها مبنية على مقدمات أولها ثبوت تعارضهما والثانية انحصار التقسيم فيما ذكره من الاقسام الاربعة والثالثة بطلان الاقسام الثلاثة والمقدمات الثلاث باطلة وبيان ذلك بتقديم أصل وهو ان يقال اذا قيل تعارض دليلان سواء كانا سمعيين أو عقليين أو أحدهما سمعياً والآخر عقلياً فالواجب أن يقال لايخلو إما أن يكونا قطعيين أو يكونا ظنيين وإما ان يكون أحدهما قطعياً

والآخر ظنياً فاما القطعيان فلا يجوز تعارضهما سواء كانا عقليين أو سمعتين أو أحدهما عقلياً والآخر سمعياً وهذا متفق عليه بين العقلاء لان الدليل القطعى هو الذى يجب ثبوت مداوله ولا يمكن أن تكون دلالته باطلة وحينئذ فلو تعارض دليلان قطعيان وأحدهما يناقض مدلول الآخر لزم الجمع بين النقيضين وهو محال بل كل ما يعتقد تعارضه من الدلائل التى يعتقد أنها قطعية فلا بد من أن يكون الدليلان أو أحدهما غير قطعى أو أن لا يكون مداولهما متناقضين فاما مع تناقض المداولين المعلومين فيمتنع تعارض الدليلين وان كان أحد الدليلين المتعارضين قطعياً دون الآخر فانه يجب تقديمه باتفاق العقلاء سواء كان هو السمعى أو العقلى فان الظن لايدفع اليقين .

وإما إن كانا جميعاً ظنيين فانه يصار الى طلب ترجيح أحدهما فأيهما ترجح كان هو المقدم سواء كان سمعياً أو عقلياً . ولا جواب عن هذا إلا أن يقال الدليل السمعى لا يكون قطعياً وحينئذ فيقال هذا مع كونه باطلا فانه لاينفع فانه على هذا التقدير يجب تقديم القطعى لكونه قطعياً لا لكونه عقلياً ولا لكونه أصلا للسمع وهؤلاء جعلوا عمدتهم فى التقديم كون العقل هو الأصل للسمع وهذا باطل كما سيأتى بيانه إن شاء الله . واذا قدر انه لم يتعارض قطعى وظنى لم ينازع عاقل فى تقديم القطعى لكن كون السمعى لا يكون قطعياً دونه خرط القتاد .

وأيضاً فان الناس متفقون على أن كثيراً مما جاء به الرسول معلوم بالاضطرار من دينه كايجاب العبادات وتحريم الفواحش والظلم وتوحيد الصانع وإثبات المعاد وغير ذلك وحينئذ فلو قال قائل اذا قام الدليل القطعى على مناقضة هذا فلا بد من تقديم أحدهما فلو قدم هذا السمعى قدح فى أصله وإن قدم العقلى لزم تكذيب الرسول فيما علم بالاضطرار انه جاء به ، وهذا هو الكفر الصريح فلا بد لهم من جواب عن هذا والجواب عنه انه يمتنع أن يقوم عقلى قطعى يناقض هذا فتبين ان كل ماقام عليه دليل قطعى سمعى يمتنع أن يعارضه قطعى عقلى ومثل هذا اللفظ يقع فيه كثير من الناس يقدرون تقديراً يلزم منه لوازم فيثبتون تلك اللوازم

ولا يهتدون لكون ذلك التقدير ممتنعاً والتقديم الممتنع قد يلزمه لوازم ممتنعة كما فى قوله تعالى (لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا) ثم ذكر كلاماً الى أن قال وبه يتبين أن اثبات التعارض بين الدليل العقلى والسمعى والجزم بتقديم العقلى معلوم الفساد بالضرورة وهو خلاف ما اتفق عليه العقلاء .

وحينئذ فنقول الجواب من وجوه (أحدها) أن قوله اذا تعارض النقل والعقل اما أن يريد به القطعيين فلا نسلم امكان التعارض حينئذ واما أن يريد به الظنيين فالمقدم هو الراجح مطلقا واما أن يريد به ما احدهما قطعى ، فالقطعى هو المقدم مطلقا واذا قدر أن العقلى هو القطعى كان تقديمه لكونه قطعيا لا لكونه عقليا فعلم أن تقديم العقلى مطلقا خطأ كما أن جعل جهة الترجيح كونه عقليا خطأ .

(الوجه الثانى) أن يقال لا نسلم انحصار القسمة فيما ذكرته من الأقسام الاربعة إذ من الممكن أن يقال يقدم العقلى تارة والسمعى أخرى فأيما كان قطعيا قدم وإن كانا جميعا قطعيين فيمتنع التعارض وإن كانا ظنيين فالراجح هو المقدم فدعوى المدعى أنه لابد من تقديم العقلى مطلقا والسمعى مطلقا أو الجمع بين النقيضين أو رفع النقيضين دعوى باطلة . بل هنا قسم ليس من هذه الاقسام كما ذكرناه بل هو الحق الذى لا ريب فيه .

(الوجه الثالث) قوله ان قدمنا النقل كان ذلك طعنا فى أصله الذى هو العقل فيكون طعنه فيه غير مسلم وذلك لأن قوله ان العقل أصل للنقل اما أن يراد به أنه أصل فى ثبوته فى نفس الامر أو أصل فى علمنا بصحته والاول لا يقوله عاقل فانما هو ثابت فى نفس الامر بالسمع أو بغيره هو ثابت سواء علمنا بالعقل أو بغير العقل ثبوته أولم نعلم ثبوته لا بعقل ولا بغيره إذ عدم العلم ليس علما بالعدم وعدم علمنا بالحقائق لا ينفى ثبوتها فى أنفسها فما أخبر به الصادق المصدوق ﷺ هو ثابت فى نفس الامر سواء علمنا صدقه أو لم نعلم ومن أرسله الله تعالى الى الناس فهو رسوله سواء علم الناس أنه رسول أو لم يعلموا وما أخبر به فهو حق وان لم يصدقه الناس وما أمر به عن الله

فالله آمر به وإن لم يطعه الناس فثبوت الرسالة فى نفسها وثبوت صدق الرسول وثبوت ما أخبر به فى نفس الأمر فليس موقوفا على عقولنا أو على الادلة التى نعلمها بعقولنا وهذا كما أن وجود الرب تعالى وما يستحقه من الاسماء والصفات ثابت فى نفس الامر سواء علمناه أو لم نعلمه فتبين بذلك أن العقل ليس أصلا لثبوت الشرع فى نفسه ولا معطياً له صفة لم تكن له ولا مفيداً له صفة كمال إذ العلم مطابق للمعلوم المستغنى عن العلم تابع له ليس مؤثراً فيه فان العلم نوعان (أحدهما) العملى وهو ما كان شرطا فى حصول المعلوم كتصور أحدنا لما يريد أن يفعله فالمعلوم هنا متوقف على العلم به محتاج اليه (والثانى) الخبرى النظرى وهو ما كان المعلوم غير مفتقر فى وجوده الى العلم به كعلمنا بوحدانية الله تعالى وأسمائه وصفاته وصدق رسله وملائكته وكتبه وغير ذلك فان هذه المعلومات ثابتة سواء علمناها أو لم نعلمها فهى مستغنية عن علمنا بها والشرع مع العقل هو من هذا الباب فان الشرع المنزل من عند الله ثابت فى نفسه سواء علمناه بعقولنا أو لم نعلمه وهو مستغن فى نفسه عن علمنا وعقلنا ولكن نحن محتاجون اليه والى أن نعلمه بعقولنا فان العقل اذا علم ماهو عليه الشرع فى نفسه صار عالماً به وبما تضمنه من الأمور التى يحتاج اليها فى دنياه وآخرته وانتفع بعلمه به وأعطاه ذلك صفة لم تكن له قبل ذلك ولو لم يعلمه لكان جاهلا ناقصاً ثم ذكر كلاما طويلا .

ثم قال رحمه الله (فان قيل) فهب ان تقديم الشرع عليها لا يكون قدحا فى أصله لكن يكون تقديما له على أدلة عقلية فلابد من بيان المُوجب لتقديم الشرع قبل (الجواب) من وجوه (أحدها) أن المقصود هنا بيان أن تقديم الشرع على ما عارضه من مثل هذه العقليات المحدثة فى الاسلام ليس تقديما له على أصله الذى يتوقف العلم لصحة الشرع عليه وقد حصل فانا ذكرنا فى هذا المقام بيان بطلان من يزعم أنه يقدم العقل على الشرع المعارض له وذكرنا أن الواجب تقديم ما قام به الدليل على صحته مطلقا (الجواب الثانى) أن نقول الشرع قول المعصوم الذى قام الدليل على صحته وهذه الطرق لم يقم دليل على صحتها

فلا يعارض ما علمت صحته بما لم تعلم صحته . (الجواب الثالث) : أن نقول بل هذه الطرق المعارضة للشرع كلها باطلة فى العقل وصحة الشرع مبنية على ابطالها لا على صحتها فهى باطلة بالعقل وبالشرع والقائل بها مخالف للعقل والشرع من جنس أهل النار الذين قالوا : (لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا فى أصحاب السعير) وهكذا شأن جميع بدع المخالفين لنصوص الانبياء فانها مخالفة للسمع والعقل فكيف ببدع الجهمية المعطلة التى هى فى الاصل من كلام المكذبين للرسل والكلام على ابطال هذه الوجوه على التفصيل وأن الشرع لا يتم إلا بابطالها مبسوط فى غير هذا الموضع ، انتهى .

والمقصود أن ما ذكره هذا العراقى الملحد فى أوراقه هو كلام الرازى وكتاب موافقة العقل الصحيح للنقل الصريح من أوله الى آخره فى بطلان هذه المقدمات التى ذكرها وبيان مخالفتها للشرع فالمصير اليها والاعتماد عليها اعتماد ومصير الى مذهب الجهمية فاذا تبين لك ما تقدم علمت أن هذا الملحد قد عزل كتاب الله وسنة رسوله ونبذهما وراءه ظهرياً لاعتقاده ان ما عارضهما بالعقل كان واجباً وقولا جلياً . واذ انكشفت الحقائق علمت من هو خير مقاما وأحسن نديا ، فمن أراد الوقوف على التفصيل فكلام الشيخ فى العقل والنقل فى ذلك مبسوط موضح بأدلته العقلية والنقلية اذ المقام لا يحتمل ما ذكره الشيخ هنا لأنى انما قصدت الاختصار والاقتصار .

(وأما قوله) اما تأويلا اجمالياً ويفوض تفصيله الى الله تعالى كما هو مذهب أكثر السلف .

فأقول : قال شيخ الاسلام الوجه السادس أن يقال غاية ما ينتهى اليه هؤلاء المعارضون لكلام الله ورسوله بآرائهم من المشهورين بالاسلام هو التأويل أوالتفويض ، فأما الذين ينتهون الى أن يقولوا الانبياء أوهموا وخيلوا مالا حقيقة له فى نفس الأمر فهؤلاء معروفون عند المسلمين بالالحاد والزندقة ، والتأويل المقبول هو ما دل عليه مراد المتكلم والتأويلات التى يذكرونها لا يعلم أن الرسول أرادها ، بل يعلم بالاضطرار فى عامة النصوص أن المراد منها نقيض ما قالوه

كما يعلم مثل ذلك فى تأويلات القرامطة والباطنية من غير أن يحتاج ذلك الى دليل خاص ، وحينئذ فالمتأول ان لم يكن مقصوده معرفة مراد المتكلم كان تأويله للفظ بما يحتمله من حيث الجملة فى كلام من تكلم بمثله من العرب هو من باب التحريف والالحاد ، لا من باب التفسير وبيان المراد .

(وأما التفويض) فمن المعلوم أن الله تعالى أمرنا أن نتدبر القرآن وحضنا على عقله وفهمه ، فكيف يجوز مع ذلك أن يراد منا الاعراض عن فهمه ، ومعرفته وعقله ، وأيضاً فالخطاب الذى أريد به هدانا ، والبيان لنا ، واخراجنا من الظلمات الى النور ، اذا كان ما ذكر فيه من النصوص ظاهره باطل وكفر ، ولم يرد منا أن نعرف لا ظاهره ولا باطنه ، أو أريد منا أن نعرف باطنه من غير بيان فى الخطاب لذلك ، فعلى التقديرين لم يخاطب بما بين فيه الحق ، ولا عرفنا أن مدلول هذا الخطاب باطل وكفر ، وحقيقة قول هؤلاء فى المخاطب لنا أنه لم يبين الحق ولا أوضحه مع أمره لنا أن نعتقده ، وأن ما خاطبنا به وأمرنا باتباعه والرد اليه لم يبين به الحق ولا كشفه ، بل دل ظاهره على الكفر والباطل ، وأراد منا أن لا نفهم منه شيئاً ، أو أن نفهم منه ما لا دليل عليه فيه ، وهذا كله مما يعلم بالاضطرار تنزيه الله ورسوله عنه ، وأنه من جنس أقوال أهل التحريف والالحاد . ثم ذكر كلاماً الى ان قال : فتبين ان قول اهل التفويض الذين يزعمون انهم متبعون للسنة والسلف من أشر أقوال اهل البدع والالحاد ، انتهى .

فاذا تبين لك هذا فاعلم ان التأويل والتفويض ليس هو مذهب السلف لا أكثرهم ولا أقلهم ، ونسبة ذلك الى السلف خطأ ، وضلال ، وتلبيس ، وانما قال بذلك من يزعم أنه متبع للسنة والسلف وهم على خلاف السنة وأقوال السلف فى هذه المسائل ، وهذا كلام أئمة الحديث واهل السنة المحضة ليس فيها شىء من هذا الكلام المحدث المبتدع الملعون .

(وقوله) واما تفصيلياً كما هو مذهب أكثر الخلف . . .

فأقول : قد تبين لك مما تقدم أن هؤلاء هم الذين كثر فى باب الدين

اضطرابهم ، وغلظ عن معرفة الله حجابهم ، وأخبر الواقف على نهاية أقدامهم بما أنتهى اليه مرامهم ، وهو ابو المعالى الجوينى :

لعمرى لقد طفت المعاهد كلها ... وسيرت طرفى بين تلك المعالم
فلم أر إلا واضعاً كفّ حائر ... على ذقن أو قارعا سن نادم

وأقروا على انفسهم بما قالوا متمثلين به ، او منشئين له فيما صنفوه من كتبهم كقول بعض رؤسائهم وهو ابو عبد الله محمد بن عمرو الرازى :

نهاية إقدام العقول عقال ... واكثر سعى العالمين ضلال
وأرواحنا فى وحشة من جسومنا ... وغاية دنيانا اذى ووبال
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا ... سوى ان جمعنا فيه قيل وقالوا
فكم قد رأينا من رجال ودولة ... فبادروا جميعاً مسرعين وزالوا
وكم من جبال قد علت شرفاتها ... رجال فزالوا والجبال جبال

لقد تأملت الطرق الكلامية ، والمناهج الفلسفية ، فما رأيتها تشفى عليلا ، ولا تروى غليلا ، ورأيت اقرب الطرق طريقة القرآن اقرأ فى الاثبات : (الرحمن على العرش استوى * اليه يصعد الكلم الطيب) . واقرأ فى النفى : (ليس كمثله شىء) . (ولا يحيطون به علماً) . ومن جرب مثل تجربتى ، عرف مثل معرفتى . ويقول الآخر منهم : لقد خضت البحر الخضم ، وتركت اهل الأسلام وعلومهم ، وخضت فى الذى نهونى عنه ، والآن ان لم يتداركنى برحمته فالويل لفلان وها انا اموت على عقيدة أمى . ويقول الآخر منهم : أكثر الناس شكا عند الموت اصحاب الكلام . فاذا كان هذا حال أئمة المتكلمين كيف يسوغ لمن يؤمن بالله واليوم الآخر ان يوجب على الناس اعتقاد ما كان عليه هؤلاء المحجوبون المنقوصون المسبوقون ، الحيارى المتهوكون ، وقد علم بالاضطرار ان هؤلاء هم ورثة افراخ الفلاسفة واتباع الهند واليونان ، وورثة المجوس والمشركين ، وضلال اليهود والنصارى والصابئين ، وان من تأول ما تأولته الجهمية والمعتزلة ، ومن نحا نحوهم من المتكلمين كقول هذا الملحد : فالاستواء على العرش فى قوله :

(الرحمن على العرش استوى) هو الاستيلاء ويؤيده قول الشاعر :

قد استوى بشر على العراق ... من غير سيف ودم مهراق

وجوابه فيما ادعى من أن معنى الاستواء انه بمعنى الاستيلاء ، وأنه ليس فى لغة العرب ما يفيد ذلك (أن نقول) قال الامام أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى فى تفسيره قوله تعالى (ثم استوى إلى السماء) قال الاستواء فى كلام العرب منصرف على وجوه منها انتهاء شباب الرجل وقوته فيقال اذا صار ذلك قد استوى الرجل ، ومنها استقامة ما كان فيه أوَد من الأمور والأسباب يقال منه استوى لفلان أمر اذا استقام له بعد أود . ومنه قول الطرماح بن حكيم .

طال على رسم مهده ابده ... وقد عفى واستوى به بلده

أى استقام به ، ومنها الاقبال على الشىء بالفعل كما يقال استوى فلان على فلان بما يكرهه ويسوءه بعد الاحسان اليه ، ومنها الاحتياز والاحتواء كقولهم استوى فلان على المملكة بمعنى احتوى عليها وحازها ، ومنها العلو والارتفاع كقول القائل : استوى فلان على سريره يعنى به علوه عليه ، وأولى المعانى بقول الله جل ثناؤه (ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات) علا عليهن وارتفع فدبرهن بقدرته ، وخلقهن سبع سموات ، والعجب ممن أنكر المعنى المفهوم من كلام العرب فى تأويل قول الله تعالى (ثم استوى إلى السماء) الذى هو بمعنى العلو والارتفاع هربا عند نفسه من أن يلزمه بزعمه اذا تأوله بمعناه المفهوم كذلك أن يكون انما علا وارتفع بعد ان كان تحتها إلى أن تأوله بالمجهول من تأوله المستكره ، ثم لم ينج مما هرب منه ، فيقال زعمت أن تأويل قوله سبحانه استوى اقبل . أو كان مدبراً عن السماء فأقبل اليها ؟ فان زعم أن ذلك ليس باقبال فعل ولكنه اقبال تدبير قيل له فكذلك قيل علا عليها علو ملك وسلطان لا علو انتقال وزوال ، ثم ان يقول فى شىء من ذلك قولا إلا ألزم فى الآخر مثله ، ولولا انا كرهنا اطالة الكتاب بما ليس من جنسه لأثبتنا عند فساد قول كل قائل فى ذلك قولا لأهل الحق فيه مخالفاً ، وفيما بينا منه ما يشرف بذى الفهم على ما فيه الكفاية ان شاء الله تعالى ، انتهى .

فقول الشاعر « قد استوى بشر على العراق » أى ملكها واحتوى عليها وحازها ، ولو كان الله مستويا على العرش بمعنى الاستيلاء وهو عز وجل مستول على الاشياء كلها لـكان مستويا على العرش وعلى الارض ، وعلى السماء ، وعلى الحشوش والاقذار لأنه قادر على الاشياء ، مستول عليها ، واذا كان قادر على الاشياء كلها ولم يجز عند أحد من المسلمين أن يقول إن الله مستو على الحشوش والأخلية لم يجز أن يكون الاستواء على العرش الاستيلاء الذى هو عام فى الاشياء كلها ، ووجب أن يكون معنى الاستواء يختص بالعرش دون الاشياء كلها فيكون استواءه على العرش علوه عليه وارتفاعه كما هو مذهب سلف الامة وأئمتها ، وقد تقدم بيان ذلك .

ثم قال العراقى: وقوله تعالى (وجاء ربك والملك صفاً صفاً) أى جاء أمره ، وقوله اليه يصعد الكلم الطيب أى يرتضيه ، فان الكلم عرض يمتنع عليه الانتقال بنفسه . وقوله سبحانه (هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام) أى يأتى عذابه ، وقوله تعالى (ثم دنا فتدلى ، فكان قاب قوسين أو أدنى) أى قرب رسوله اليه بالطاعة والتقدير بقاب قوسين أو أدنى تصوير للمعقول بالمحسوس ، وقوله ﷺ « إنه تعالى ينزل إلى السماء الدنيا فى كل ليلة فيقول : هل من تائب فأتوب عليه ؟ هل من مستغفر فاغفر له ؟ » معناه تنزل رحمته ، وخص بالليل لأنه مظنة الخلوات ، وأنواع الخضوع والعبادات ، إلى غير ذلك من الآيات والاحاديث ، انتهى كلامه .

(وقد علمت مما تقدم) بطلان هذه التأويلات وأنها تأويلات الجهمية والمعتزلة الخارجين عن طريقة أهل السنة والجماعة ، وانما ذكرناها هاهنا من كلامه ليعرف المسلم قدر نعمة الله عليه بالاسلام ، وسلوكه طريقة سلف الامة وأئمتها ، ويشكر الله عليها ويحمده فان من انعم الله عليه بالسلامة من سلوك طريقة هؤلاء الضلال فقد أوتى خيراً كثيراً ، فمن وجد خيراً فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه ، فان الرسول قد بلغ البلاغ المبين ، ونصح الامة ، وأدى الامانة ، وقامت حجة الله على خلقه ، و « من يرد الله به خيراً يفقهه فى الدين » (ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور) .

فصل

قال العراق : الوهابية ونفيها الاجماع حيث كان ما انطوت عليه العقيدة الوهابية مبايناً لما أجمع عليه الصحابة الكرام والمجتهدون العظام وكافة علماء الاسلام لم ير أصحاب تلك العقيدة بدأ من انكار الاجماع ونفى كونه حجة يعمل بها فهم كفروا كل مسلم عداهم ممن قال لا إله الا الله محمد رسول الله بسبب زيارته لقبور الأنبياء والأولياء والتوسل بهم الى الله .

والجواب أن نقول نسبة نفى الاجماع الى الوهابية كذب وبهتان ، بل هذا توصل منه الى القدح فيهم بغير حجة ولا برهان ، وإلا فالوهابية يعلمون أن الاجماع حجة ويعتقدون أن الامة لاتجتمع على ضلاله وهو الاصل الثالث عندهم وعقيدة الوهابية لا تخالف ما أجمع عليه الصحابة الكرام والأئمة المجتهدون العظام وكافة علماء الاسلام ومن تدبر أقوالهم ومصنفاتهم علم علما يقيناً انهم كانوا على ما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ فى المعتقد وسائر أحكام الاسلام وأن هذا الملحد الضال ومن نحا نحوه على طريقته هم المخالفون لما أجمع عليه الصحابة ومن تبعهم باحسان ومخالفون العقيدة السلف الصالح والصدر الأول وما كان عليه الأئمة الاربعة المقلدون والأئمة المجتهدون من أهل السنة المحضة ومن تمسك بهديهم وعلى طريقتهم يعرف ذلك من كلامه وضلالاته التى ذكرناها عنه فيما سبق وفيما يأتى بعد .

وقوله فهم قد كفروا كل مسلم عداهم ممن قال لا إله الا الله محمد رسول الله بسبب زيارتهم لقبور الانبياء والاولياء والتوسل بهم الى الله مع أن الامة قد أجمعت على أن من نطق بالشهادتين أجريت عليه أحكام الاسلام الى آخره .

فأقول هذا كذب على الوهابية فانهم ما كفروا كل مسلم عداهم ولا كفروا بمجرد الزيارة لقبور الانبياء والاولياء وانما كفروا من أشرك بالله فى عبادته غيره جيث نطق القرآن بتكفيره وجاءت الاخبار الصحيحة عن رسول الله بتكفير من فعل ذلك سواء زار القبور أو لم يزر .

وأما دعواه اجماع الامة على أن من نطق بالشهادتين أجريت عليه أحكام الاسلام فهذه دعوى كاذبة خاطئة فان الصحابة رضى الله عنهم أجمعوا على قتال من منع الزكاة وسموهم أهل الردة وقاتلوا بنى حنيفة وهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله لكن لما أشركوا مسيلمة الكذاب فى النبوة وصدقوه أنه قد أشرك فى النبوة مع النبى ﷺ كفروهم فاذا كان من أشرك مسيلمه الكذاب فى النبوة يكون كافراً فكيف لا يكفر من أشرك مخلوقا فى عبادة الخالق سبحانه وجعله نداً لله يستغيث به كما يستغيث بالله ويدعوه مع الله ويرجوه ويلجأ اليه فى جميع مهماته ويذبح له وينذر له مع الله ، فقد كفر الصحابة هؤلاء وهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وكفر الله تعالى ورسوله المنافقين وهم يشهدون أن لا إله الا الله وأن محمداً رسول الله كما قال تعالى (يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم) وقال تعالى (لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم) وكذلك لا خلاف بين العلماء كلهم ان الانسان اذا صدق رسول الله ﷺ فى شىء وكذبه فى شىء لم يدخل فى الاسلام وكذلك اذا آمن ببعض القرآن وجحد بعضه كمن أقر بالتوحيد وجحد وجوب الصلاة أو أقر بالصلاة وجحد الزكاة أو أقر بهذا كله وجحد الصوم أو أقر بهذا كله وجحد الحج ولما لم ينقد أناس فى زمن النبى ﷺ الى الحج أنزل الله فى حقهم (ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غنى عن العالمين) ومن أقر بهذا كله وجحد البعث كفر بالاجماع وحل دمه وماله كما قال تعالى (إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا ۞ أولئك هم الكافرون حقاً) وكذلك بنوعبيد القداح الذين ملكوا المغرب ومصر فى زمن بنى العباس كلهم يشهدون أن لا إله الا الله وأن محمداً رسول الله ويدعون الاسلام ويصلون الجمعة والجماعة فلما أظهروا مخالفة الشريعة فى أشياء دون مانحن فيه أجمع العلماء على كفرهم وقتالهم وان بلادهم بلاد حرب وغزاهم المسلمون حتى استنقذوا ما بأيديهم من بلدان المسلمين ـ الى أمثال هذا مما لا يحصى ولا يستقصى .

وأما قوله وقال ابن القيم أجمع المسلمون على أن الكافر اذا قال لا اله الا الله وأن محمداً رسول الله فقد دخل فى الاسلام الى آخره (فأقول) هذا حق اذا صدر من الكافر الأصلي ولكن اذا أتى بناقض من نواقض الاسلام كفر ولو أقر بالشهادتين وكذلك من عمل بجميع الأركان ممن ولد فى الاسلام لكنه مع ذلك قدجحد شيئاً مما جاء به الرسول وابتدع فى الاسلام بدعة تخرجه منه كفر وابن القيم الذى حكيت عنه اجماع المسلمين على أن من أقر بالشهادتين فقد دخل فى الاسلام قد حكا اجماع أهل الحجة من أهل الاسلام على تكفير الجهمية كما قال فى الكافية الشافية فى الانتصار للفرقة الناجية

ولقد تقلد كفرهم خمسون فى عشر من العلماء فى البلدان
واللا لكائى الامام حكاه عنهم بل حكاه قبله الطبرانى

وذكر فى كتاب الصلاة له تكفير من أمر بالصلاة فامتنع حتى يخرج وقتها وأنه يستتاب فان تاب وإلا قتل.

وأما قوله ولذلك انعقد الاجماع على أن المرتد اذا كانت ردته بالشرك فان توبته بالشهادتين .

فأقول هذا غير مسلم ودعوى انعقاد الاجماع على ذلك دعوى مجردة بل من كانت ردته بالشرك بالله فتوبته الاقلاع عن هذا الشرك فان كثير من المشركين اليوم يشهدون أن لا اله إلا الله وأن محمداً رسول الله كالرافضة فانهم يشهدون أن لا اله الا الله وأن محمداً رسول الله وهم مع ذلك يدعون الحسن والحسين مع الله وكذلك عباد القبور يشهدون أن لا اله الا الله وأن محمداً رسول الله ومع ذلك يدعون عبد القادر واحمد البدوى وغيرهما ويستغيثون بهم فى الشدائد والملمات ، ويرغبون اليهم فى جميع الحاجات وكشف الكربات واغاثة اللهفات، وقد انعقد الاجماع على أن من أشرك بالله فى عبادته غيره كان مشركا وان تلفظ بالشهادتين كما هو مذكور فى كتب الفقه فى باب حكم المرتد .

(وقوله) ثم ان الوهابية عدوا الاستشفاع الى الله تعالى بالنبي ﷺ بعد موته كفراً مع أن الاجماع منعقد على جوازه .

فأقول ان كان أراد بالاستشفاع بالنبي ﷺ، كأن يقول القائل اللهم انى أسألك بجاه محمد أو بحقه أو حرمته، فهذا القول بدعة محدثة محرمة ولا يكفر الوهابية أحداً بهذا وان أراد بالاستشفاع بالنبي بأن يدعوه ويستغيث به كأن يقول يارسول الله أغثنى وادركنى وأنا فى حسبك، أو يسأله أو يطلب منه مالا يقدر عليه الا الله ويتوكل عليه ويلجأ اليه فى جميع مهمانه وطلباته ويجعله واسطة فى جلب منفعة أو دفع مضرة، فان كان أراد هذا فقد ذكر فى الاقناع من كتب الحنابلة أن منَ جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويتوكل عليهم كفر اجماعا وكذلك ذكرفيه عن شيخ الاسـلام تقى الدين، أن من دعا على ابن أبى طالب فهو كافر، ومن شك فى كفره فهو كافر، والوهابية على مذهب احمد رحمه الله، وأما دعوى انعقاد الاجماع على جوازه فدعوى مجردة، اللهم الا اجماع عباد القبور وأولئك ليسوا من أهل الاسلام فضلا عن أن يجمعوا على الاحكام.

(وأما قوله) وهم لم يجوزوا لأحد أن يقلد مجتهداً من أئمة المسلمين.

(فأقول) هذا كذب على الوهابية، وان وجد هذا فى بعض الكتب لمن هو على مذهب الوهابية فى تجريد التوحيد واخلاص العبادة لله ممن ينسبه هؤلاء الى الوهابية فنسبته الى الشيخ محمد وأتباعه من الكذب عليهم وكذلك قوله: (وجوزوا لكل أحد أن يستنبط من القرآن ما استطاع أنْ يستنبط) إلى آخره فهذه كلها من الأوضاع المكذوبة على الوهابية.

ثم ذكر الاجماع وأنه اتفاق المجتهدين وأن الاجماع ينعقد فى كل عصر لأن الحوادث تحدث فى كل يوم بالأمور التى لم يصرح بحكمها الكتاب والسنة وهذا مما يعلم كل أحد غلطه فى ذلك وتخبيطه فيه فلا فائدة فى الجواب عنه.

ثم قال العراقى الوهابية ونفيها للقياس: ان الوهابية كما أنكروا الاجماع كذلك أنكروا القياس الى آخر ما قال.

(فأقول) وهذا أيضاً من نمط ما قبله من الكذب والزور فان الوهابية لا ينكرون القياس مطلقا وفيه تفصيل لكن ذكر صاحب الدين الخالص من ذلك ما أوجب لهؤلاء أن ينسبوا الى الوهابية ما يقوله صديق وليس ما قاله

مطلقا يقول به الوهابية بل لهم فيه تفصيل ليس هذا موضع ذكره اذ المقصود نفي ما يدعيه من الكذب على الوهابية .

(ثم قال ومن العجب) أن الوهابية لأجل تخطئة المجتهدين فى قبولهم القياس جعلت تعبث بكلام الله تعالى ، فتصرف الآيات القرآنية عن معانيها الصحيحة مؤولة اياها بما يوافق هواها مع أنها لا تأول من الآيات ما يلزم من ظاهره النقص على الله تعالى والمحال كآية الاستواء واليدين والوجه وتقول أن المجتهدين عاملون بآرائهم ، مع أنها تجوز حتى للجهلة الرعاع من ذوى نحلتها أن يفسروا كلام الله بحسب افهامهم القاصرة .

والجواب أن نقول . هذا كذب على الوهابية فانهم من أعظم الناس تعظيما لكتاب الله وسنة رسوله فبهتهم بالبعث بكتاب الله ظلم وعدوان والى الله المرجع واليه التحاكم (وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون) بل الوهابية يضعون الآيات القرآنية فى معانيها الصحيحة ، ويسيرون على منهاج أئمة التفسير ولا يؤولونها على ما يوافق أهواءهم بل يستدلون بالآيات النازلة فى المشركين على تكفير من فعل كما يفعله الكفار من الإشراك بالله والكفر به لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب .

(وأما قوله) مع أنها لا تؤول من الآيات ما يلزم من ظاهره النقص على الله تعالى والمحال كآية الاستواء واليد والوجه .

(فأقول) نعم لا يتأولون الآيات والأحاديث النبوية فيصرفونها عن ظاهرها وعما اقتضته من اثبات صفات الكمال ونعوت الجلال لأجل ما يزعمه أعداء الله من أنه يلزم من ظاهرها النقص على الله والمحال ، فان ما أثبته الله ورسوله من الاستواء والوجه واليدين وغير ذلك من الصفات ـ وصف كمال ونعوت جلال لا وصف نقص ، بل من أثبت ذاتاً مجردة عن أوصاف الكمال فقد تنقصه غاية التنقص وشبهه بالجمادات ومثله بأنقص المعقولات الذهنية وجعله دون الموجودات الخارجية ، واثبات الصفات لا يلزم منها مماثلة الله بخلقه ، ولا تشبيههم به ، لأن الله تعالى أحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد فمن شبه الله بخلقه فقد

كفر ومن جحد ما وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله فقد كفر وقد تقدم بيان ذلك مراراً عديدة .

(وأما قوله) وتقول ان المجتهدين عاملون بآرائهم .

(فأقول) هذا كذب عليهم وما علمنا أحداً قال بهذا من الوهابية كما أنا لا نعلم أن أحداً منهم أجاز للجهلة الرعاع كما تزعمونه أن يفسر كلام الله بحسب مفهومه القاصر ونعوذ بالله من ذلك .

(ثم ذكر القياس) وزعم أن الوهابية ينكرونه وقد قدمنا أن الوهابية لا ينكرون القياس مطلقاً ولا يثبتونه مطلقاً ، لأن القياس ينقسم إلى حق وباطل وممدوح ومذموم ، ولهذا لم يجيء فى القرآن مدحه ولا ذمه ولا الأمر به ولا النهى عنه فانه مورد تقسيم الى صحيح وفاسد فالصحيح هو الميزان الذى انزله مع كتابه فى قوله : (لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط) والفاسد ما يضاده كقياس الذين قاسوا البيع على الربا بجامع ما يشتركان فيه من التراضى بالمعاوضة المالية ، ولهذا تجد فى كلام السلف ذم القياس وأنه ليس من الدين وتجد فى كلامهم استعماله ، والاستدلال به وهذا حق والحاصل أن الناس فيه طرفان ووسط ، فأحد الطرفين من ينفى العلل والمعانى والاوصاف المؤثرة ويجوز ورود الشريعة بالفرق بين المتساويين ، والجمع بين المختلفين ، ولا يثبت أن الله سبحانه شرع الاحكام لعلل ومصالح ، وربطها بأوصاف مؤثرة فيها مقتضية لها طرداً وعكساً ، وأنه قد يوجب الشيء ويحرم نظيره من وجه ويأمر به لا لمصلحة بل لمحض المشيئة المجردة من المصلحة والحكمة ، وبأزاء هؤلاء قوم أفرطوا فيه وتوسعوا جداً وجمعوا بين الشيئين الذين فرق الله بينهما بأدنى جامع من شبه أو طرد أو وصف يتخيلونه علة يمكن أن يكون علته وأن لا يكون ، فيجعلونه هو السبب الذى علق الله ورسوله عليه الحكم بالخرص والظن ، وهذا هو الذى اجمع السلف على ذمه ، والنبى ﷺ يذكر فى الاحكام العلل والاوصاف المؤثرة فيها طرداً وعكساً ، وكان الصحابة رضى الله عنهم يجتهدون فى النوازل ويقيسون بعض الاحكام على بعض ،

ويعتبرون النظير بنظيره . والمقصود أن من زعم أن الوهابية ينفون القياس مطلقاً فقد كذب عليهم وافترى .

(وأما قوله) فقول الوهابية أن النصوص تستوعب جميع الحوادث بدون استنباط أو قياس غير مسلم ، فان استيعابها جميع الحوادث لايتم إلا بطريقهما .

فالجواب أن نقول : قد ذكر ابن القيم فى أعلام الموقعين أن الناس انقسموا فى هذا الموضع إلى ثلاث فرق ، فرقة قالت : ان النصوص لا تحيط بأحكام الحوادث ، وغلا بعض هؤلاء حتى قال : ولا بعشر معشارها . وذكر حجتهم وأبطلها بثلاثة وجوه أجاد فيها وأفاد ، ثم قال : لما ذكر أقوال الطائفتين المنحرفتين عن الوسط قول المعتزلة المكذبين بالقدر ، وقول الجهمية المنكرين للحكم ، والاسباب ، والرحمة ، والتعليل . قال . والمقصود أنهم كما أنقسموا إلى ثلاث فرق فى هذا الأصل انقسموا فى فروعه وهو القياس إلى ثلاث فرق ، فرقة أنكرته بالكلية ، وفرقة قالت به وأنكرت الحكم والتعليل والمناسبات ، والفرقتان أخلت النصوص عن تناولها لجميع أحكام المكلفين ، وأنها أحالت على القياس ، ثم غلاتهم أحالت عليه أكثر الأحكام . وقال متوسطهم : بل أحالت عليه كثيراً من الأحكام لا سبيل إلى اثباتها إلا به ، والصواب وراء ما عليه الفرق الثلاث وهو أن النصوص محيطة بأحكام الحوادث ، ولم يحلنا الله ورسوله على رأى ولا قياس بل قد بين الأحكام كلها والنصوص كافية وافية بها ، والقياس الصحيح حق مطابق للنصوص فهما دليلان : الكتاب والميزان ، وقد تخفى دلالة النص . ولا يبلغ العالم فيعدل إلى القياس ، ثم قد يظهر موافقاً للنص فيكون قياساً صحيحاً ، وقد يظهر مخالفا له فيكون فاسداً . وفى نفس الأمر لا بد من موافقته أومخالفته ولكن عند المجتهد قد تخفى موافقته أومخالفته إلى آخر كلامه رحمه الله .

وقال شيخ الإسلام بعد أن ذكر هذه المسألة وقررها أحسن تقرير ، وبالجملة الامر نوعان ، كلية عامة ، وجزئية خاصة ، فأما الجزئيات الخاصة كالجزء الذى يمنع تصوره من وقوع الشركة فيه من ميراث هذا الميت وعدل هذا

الشاهد ونفقة هذه الزوجة ووقوع الطلاق بهذا الزوج ، وإقامة الحد على هذا المفسد وأمثال ذلك ، فهذا مما لا يمكنه لا نبياً ولا امام ولا أحد من الخلق أن ينص على كل فرد منه لأن أفعال بنى آدم وأعيانهم يعجز من معرفة أعيانها أعيانها الجزئية واحد من البشر وعبارته : لا يمكن بشر أن يعلم ذلك كله بخطاب الله له ، وانما الغاية الممكنة ذكر الأمور الكلية العامة كما قال ﷺ « بعثت بجوامع الكلم » .

فصل

(قال العراقى) الوهابية وتكفيرها من قلد المجتهدين .

لما كانت أقوال المجتهدين السالفين رحمهم الله تعالى وما وصلوا اليه باجتهادهم من الأحكام المقررة الدينية تصادم ما ابتدعته الفئة المارقة الوهابية لم تر هذه الفئة بدأ من انكارها صحة اجتهادهم ، وتخطئة آرائهم ، وتكفير من قلدهم ، حتى يخلو لها الجو فتبيض ، وتصفر ، وتلعب بالدين كما شاء هواها ؛ ويتمهد لها الطريق الا تأسيس قواعد ضلالها المبين ، اذ هى لو لم تنف اجتهادهم لما تم لها أن تصرف بحسب هواها الآيات النازلة فى المشركين الى المسلمين الذين يتوسلون الى الله تعالى بجاه رسوله وكرامة أوليائه لأن هذا الصرف مما لم يقل به مجتهد ، ولم يرض به أحد من أئمة الدين .

والجواب أن نقول : أما دعوى تكفير المجتهدين فمن الكذب الواضح ، والافك الفاضح ، وأما ماتخرق به من انا مصادمون لما اجتهد الأئمة فيه من الأحكام الدينية ، وانا انكرنا اجتهادهم ليخلو لنا الجو ، كما زعمه هذا البوّ ، فما ذاك إلا من فيض كلب العداوة فى الدين لأنه جهمى معتزلى مشرك ونحن ولله الحمد على طريقة السلف وأئمة الدين فى باب معرفة الله وأسمائه وصفاته . وفى باب العمل والعبادة فلا نشرك بربنا أحداً ، ولا نتخذ من دونه أولياء ، ومن تأمل كلامه علم انه هو المارق المبتدع ، وانه من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً كل حزب بما لديهم فرحون ، بل هو برىء من الأئمة المجتهدين وهم براء منه ،

فان عقيدته مخالفة لعقائدهم فهو إلى طريقة الفلاسفة والملاحدة ومن نحا نحوهم من المتكلمين ، أقرب منهم إلى الأئمة المجتهدين . وهذا العراقى متبع لهواه ، عابد لما يهواه ، قد اتخذ الكذب ديدانه ، والزور والفجور ميزانه ، ودخل من الكذب فى ظلمات بعضها فوق بعض ، حتى آل به زوره وفجوره الى أن زعم أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله كان كثير الميل الى الاطلاع على أخبار من ادعى النبوة كمسيلمة الكذاب ، والاسود العنسى ، وانه كان يضمر فى نفسه أن يؤسس ديناً يحذو به حذو أولئك الكذابين ـ الى غير ذلك من مفترياته ، ورعونات جهالاته وخزعبلاته ، فالموعد الرحمن واليه التحاكم وحسبنا الله ونعم الوكيل ، ثم لو استهواه الشيطان ، وحكى ما يقول أهل البغى والعدوان ، كيف ساغ له أن يحكى عما فى ضميره لو كان ، وحاشا لله أن يكون ذلك فى الامكان .

(وأما زعمه) أن الشيخ يدعى الاجتهاد المطلق ، فمن نمط ما قبله من المفتريات فانه لا يدعى ذلك ، وقد نفاه فى بعض رسائله ومن طالع كتب الشيخ وتصانيفه ورسائله علم محله من العلم والفقه والمتانة فى الدين ورسوخه فيه ، وقد شهد له علماء وقته بذلك كما مضى بيانه .

(وأما قوله) وقال ابن القيم فى أعلام الموقعين لا يجوز لأحد أن يأخذ من الكتاب والسنة ما لم تجتمع فيه شروط الاجتهاد من جميع العلوم .

فأقول : هذا لسان جاهل ، وتركيب نبطى لا يدرى شيئاً من صناعة العلم ، وابن القيم ينزه عن هذا اللفظ وهذا التركيب ، ولا يقول مالم تجتمع فيه شروط الاجتهاد من جميع العلوم ، فان البحث ما هكذا ايراده ولا تقريره ، والعلوم فيها ما لا دخل له هنا ولا اعتبار كعلم الطب ، والهندسة ، والإنشاء ، وقريض الشعر وميزانه ، والعلم بالرسم واتقانه ، ومعرفة التاريخ ، واما بالنظر للمعنى فابن القيم رحمه الله قد شن الغارة على من لايجوز لأحد ان يأخذ من الكتاب والسنة ما لم تجتمع فيه شروط الاجتهاد ، وشنع على قائله تجهيلا وتخطئة وقال : هذا سد لباب اخذ العلم والهدى من كتاب الله وسنة رسوله ، وذكر فى هذا المبحث من النصوص والآثار والمناظرة بين المجتهد والمقلد ما لا تتسع له هذه الرسالة ، وذكر

هذه العبارة راداً لها مجهلا لقائلها ، بل ذكر فيه عن الامام احمد انه لا يجوز الافتاء إلا لرجل عالم بالكتاب والسنة ، ثم ذكر بعد ذلك فصولا فى تحريم الافتاء فى دين الله بالرأى المتضمن لمخالفة النصوص ، والرأى الذى لم تشهد له النصوص بالقبول . وقال ايضاً فى الاعلام لما ذكر القياس قال : ونحن نقول قولا ندين الله به ، ونحمد الله على توفيقنا له ، ونسأله الثبات عليه ، ان الشريعة لم تحوجنا الى قياس قط ، فان فيها غنية وكفاية عن كل رأى وقياس وسياسة واستحسان ولكن ذلك مشروط بفهم يؤتيه الله عبده فيها ، وقد قال تعالى : (ففهمناها سليمان) ، وقال على رضى الله عنه : الا فهما يؤتيه الله عبده فى كتابه . وقال النبى ﷺ لعبد الله بن عباس : « اللهم فقهه فى الدين ، وعلمه التأويل » . وقال ابو سعيد كان ابو بكر أعلمنا برسول الله ﷺ . وقال عمر لأبى موسى الفهم الفهم ، انتهى . والذى غر هؤلاء الجهلة أنهم ظنوا ان الأخذ بكتاب الله وسنة رسوله هو مرتبة الاجتهاد ، او من تجوز له الفتيا فى الحلال والحرام ، وما علموا ان الاجتهاد هو النظر فى الادلة اذا تعارضت ، وفيما يخفى دليله ، وهذا لا يتهيأ إلا لمن كملت فيه شروط الاجتهاد ، او اجتمعت فيه أدوات الفتيا ، واما اتباع كلام الله ورسوله والاخذ بما فيهما فهو فرض واجب على المجتهد والمقلد والعالم والمتعلم ، والآيات والاحاديث فى ذلك معروفة مشهورة مبسوطة ذكرها ابن القيم فى الاعلام ، وقال ابن عباس رضى الله عنه لمن ناظره فى متعة الحج : يوشك ان تنزل عليكم حجارة من السماء ، اقول قال رسول الله ﷺ : وتقولون قال ابو بكر وعمر ، وقال الامام احمد : عجبت لقوم عرفوا الاسناد وصحته يذهبون الى رأى سفيان ، والله تعالى يقول : (فليحذر الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب أليم) اتدرى ما الفتنة ، الفتنة الشرك لعله اذا رد بعض قوله ان يقع فى قلبه شىء من الزيغ فيهلك ، وقال ابن القيم رحمه الله فى الاعلام قال ابو بكر بن ابى شيبة : حدثنا صالح بن عبد الله حدثنا سفيان بن عامر عن عتاب بن منصور قال : قال عمر بن عبد العزيز : لا أرى لأحد مع سنة سنها رسول الله ﷺ ، وقال الشافعى : أجمع الناس على ان من

استبانت له سنة رسول الله ﷺ لم يكن له أن يدعها . وقال : لا أقول لأحد مع سنة رسول الله ﷺ . وقال شداد بن حكيم عن زفر بن الهذيل انما نأخذ بالرأى ما لم يجيء الأثر ، فاذا جاء الاثر تركنا الرأى وأخذنا بالاثر .

وقال محمد بن اسحاق بن خزيمة الملقب بامام الائمة لا قول لأحد مع رسول الله ﷺ ، اذا صح الخبر عنه وقال الأصم ، سمعت الربيع يقول ، سمعت الشافعي يقول اذا وجدتم فى كتابى خلاف سنة رسول الله ﷺ فقولوا بسنة رسول الله ﷺ ودعوا ما قلت ، وقال أحمد بن على بن عيسى بن ما هان الرازى ، سمعت الربيع يقول ، سمعت الشافعي يقول كل مسألة تكلمت فيها صح الخبر فيها عن رسول الله عند أهل النقل بخلاف ما قلت فانى راجع عنها فى حياتى وبعد موتى ، وقال الربيع قال الشافعي ، لم أسمع أحداً نسبه عامة أو نسب نفسه الى علم يخالف فى أن فرض الله اتباع أمر رسوله ﷺ والتسليم لحكمه ، فان الله لم يجعل لأحد بعده الا أتباعه ، وأنه لا يلزم قول رجل قال الا بكتاب الله وسنة رسوله وان ما سواهما تبع لها ، وان فرض الله علينا وعلى من بعدنا وقبلنا فى قبول الخبر عن رسول الله ﷺ واحد لا يختلف فيه الغرض ، وواجب قبول الخبر عن رسول الله ﷺ ، الا فرقة سأصف قولها ان شاء الله وذكر كلاما طويلا عن الشافعي رحمه الله وغيره تركناه طلبا للاختصار .

والمقصود أنه كذب على ابن القيم فى دعواه أنه لا يجوز لأحد أن يأخذ من الكتاب والسنة مالم تجتمع فيه شروط الاجتهاد من جميع العلوم ، ولا عجب من هذا فقد كذب على السلف رحمهم الله فى أن مذهبهم فى آيات الصفات وأحاديثها أنها تؤول اما تفصيلا واما اجمالا أو يفوض تفصيلها الى الله .

ثم ذكر العراقى كلاما زعم فيه أن الوهابية اتخذته ذرائع لتأسيس بدعتها ، وقد تقدم الكلام عليه ، ولكن أعاده ليكبر حجم كتابه ، وليزداد ان شاء الله بذكره مقتاً من الله وغضباً وزيادة فى عقابه .

(ثم ذكر) أن تكفير المسلم أمر غير هين وأنه قد أجمع العلماء منهم الشيخ

ابن تيمية وابن القيم على أن الجاهل والمخطىء من هـذه الأمة ولو عمل ما يجعل صاحبه مشركا أو كافراً يعذر بالجهل والخطأ ، حتى تبين له الحجة بيانا واضحا لا يلتبس على مثله .

(فيقال) فى جوابه اما تكفير المسلم فقد قدمنا أن الوهابية لا يكفرون المسلمين والشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله من أعظم الناس توقفاً واحجاما عن اطلاق الكفل حتى إنه لم يجزم بتكفير الجاهل الذى يدعو غير الله من أهل القبور أو غيرهم اذا لم يتيسر له من ينصحه ويبلغه الحجة التى يكفر تاركها قال فى بعض رسائله وان كنا لا نكفر من عبد قبة الكواز لجهلهم وعدم من ينبههم فكيف من لم يهاجر الينا ، وقال وقد سئل عن مثل هؤلاء الجهال فقرر أن من قامت عليه الحجة وتأهل لمعرفتها يكفر بعبادة القبور ، وأما من أخلد الى الأرض واتبع هواه فلا أدرى ما حاله .

(وأما نقله) عن شيخ الاسلام وابن القيم على أن الجاهل والمخطىء الى آخره فالجواب : أن يقال كلام الشيخين انما هو فى المسائل النظرية والاجتهادية التى قد يخفى الدليل فيها واما عباد القبور فهم عند السلف وأهل العلم يسمون الغالية لأن فعلهم غلو يشبه غلو النصارى فى الأنبياء والصالحين وعبادتهم ، وأيضاً فان هذا النقل فيه تكفير من قامت عليه الحجة ولو فى المسائل الخفية ، فبطلت الشبهة العراقية ، ومسألة توحيد الله واخلاص العبادة له لم ينازع فى وجوبها أحد من أهل الاسلام لا أهل الاهواء ولا غيرهم ، وهى معلومة من الدين بالضرورة ، كل من بلغته الرسالة وتصورها على ما هى عليه عرف أن هذا زبدتها وحاصلها وسائر الاحكام تدور عليه ، وقد قال شيخ الاسلام ابن تيميـة فى الرد على المتكلمين لما ذكر أن بعض أئمتهم توجد منهم الردة عن الاسلام كثيراً ، قال وهذا ان كان فى المقالات الخفية ، فقد يقال فيها إنه مخطىء ضال لم تقم عليه الحجة التى يكفر تاركها لكن هذا يصدر منهم فى أمور يعلمها الخاصة والعامة من المسلمين أن رسول الله ﷺ بعث بها وكفر من خالفها ، مثل عبادة الله وحده لا شريك له ونهيه عن عبادة أحد سواه من الملائكة والنبيين وغيرهم ، فان هذه

أظهر شعائر الاسلام ومثل ايجابه للصلوات الخمس وتعظيم شأنها ، ومثل تحريم الفواحش والزنا والخمر والميسر ، ثم تجد كثيراً من رءوسهم وقعوا فيها فكانوا مرتدين ، وأبلغ من ذلك أن منهم من صنف فى دين المشركين كما فعل أبو عبد الله الرازى ، قال وهذه ردة صريحة ، انتهى .

فاذا علمت هذا فمن بلغته رسالة محمد ﷺ وبلغه القرآن فقد قامت عليه الحجة فلا يعذر فى عدم الايمان بالله وملائكته ورسله واليوم الآخر فلا عذر له بعد ذلك بالجهل ، وقد أخبر الله سبحانه بجهل كثير من الكفار مع تصريحه بكفرهم ، ونقطع أن اليهود والنصارى اليوم جهال مقلدون ، ونعتقد كفرهم وكفر من شك فى كفرهم ، وقد دل القرآن على أن الشك فى أصول الدين كفر ، والشك هو التردد بين شيئين كالذى لا يجزم بصدق الرسول ولا كذبه ولا يجزم بوقوع البعث ولا عدم وقوعه ، ونحو ذلك كالذى لا يعتقد وجوب الصلاة ولا عدم وجوبها ، أولا يعتقد تحريم الزنا ولا عدم تحريمه ، وهذا كفر باجماع العلماء ، ولا عذر لمن حاله هكذا بكونه لم يفهم حجج الله وبيناته لأنه لا عذر له بعد بلوغها ، وان لم يفهمها ، وقد أخبر الله عن الكفار أنهم لم يفهموا فقال : (وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفى آذانهم وقرا) والآيات فى هذا المعنى كثيرة والله أعلم .

(وأما قول هذا العراقى) حتى تتبين له الحجة بياناً واضحاً لا يلتبس على مثله .

(فأقول) هذا تحريف لكلام الشيخ فان الشيخ لم يقل حتى تتبين له الحجة إلى آخره وانما هى زيادة عراقية ، وانما قال الشيخ ولكن لغلبة الجهل وقلة العلم بآثار الرسالة من المتأخرين لم يمكن تكفيرهم حتى يبين لهم ما جاء به الرسول ، فقوله حتى تتبين له الحجة بيانا واضحا لا يلتبس على مثله انما هو فهم الحجة ، وفرق بعيد بين قيام الحجة وفهم الحجة فان من بلغته دعوة الرسل فقد قامت عليه الحجة اذا كان على وجه يمكن معه العلم . ولا يشترط فى قيام الحجة أن يفهم عن الله ورسوله مايفهمه أهل الايمان والقبول والانقياد لما جاء به الرسول قال تعالى

(أم تحسب أن اكثرهم يسمعون أو يعقلون ان هم الا كالأنعام بل هم أضل سبيلا) وقال (ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة) وقال تعالى (وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه) الى غير ذلك من الآيات فى هذا المعنى .

ويقال أيضاً فرض كلام شيخ الاسلام وتقديره فى الأمور التى قد يخفى دليلها مما ليس هو من ضروريات الدين ، ولا هو من الأمور الجلية بل هو فى الأمور النظرية والاجتهادية والله أعلم .

(وأما قوله) والمسلم قد يجتمع فيه الكفر والاسلام والشرك والايمان ولا يكفر كفراً ينقله عن الملة .

(فأقول) نعم هذا فيما دون الشرك والكفر الذى يخرج من الملة فاما مالا يخرج عن الملة كالشرك الاصغر ، كيسير الرياء والتصنع للخلق والحلف بغير الله وقول الرجل ماشاء الله وشئت وهذا من الله ومنك وما أشبه ذلك ، والكفر كقوله ﷺ «لا ترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض» وقوله ﷺ «من حلف بغير الله فقد أشرك» وفى لفظ «فقد كفر» وغير ذلك مما جاء فى الحديث بلفظ الكفر مما لا ينقل عن الملة من الكفر الاصغر .

(وأما ما ذكره) فى الخوارج فانما هو لأجل ما قام بهم من الشبهة المانعة من تكفيرهم والشيخ محمد بن عبد الوهاب لا يكفر الخوارج كما أن اكثر أهل العلم لا يكفرونهم وقد سئل على بن أبى طالب رضى الله عنه عن الخوارج أكفارهم ؟ فقال من الكفر فروا ، فقالوا منافقون ؟ فقال المنافقون لا يذكرون الله إلا قليلا وهؤلاء يذكرون الله كثيرا أو كلاما نحو هذا ، فقول العراقى : ومع كفرهم لم يكفرهم الصحابة ولا التابعون ، جهل عريض وتناقض بين ، وعدم معرفة بمقادير الصحابة وأهل العلم فانهم لو كانوا عند الصحابة كفاراً كفرا يخرج من الملة لكفرهم الصحابة والتابعون فلما قام المانع من تكفيرهم أمسكوا عنه وهم أعلم الأئمة وأعرفهم بالله وبدينه وأخشاهم له فهذا الكلام ونحوه . انما هو فى أهل الاهواء والبدع كالخوارج وأشباههم من أهل البدع التى لم تخرجهم بدعتهم من الاسلام .

وأما مسئلة عبادة القبور ودعائها مع الله فهى مسئلة وفاقية التحريم، اجماعية المنع والتأثيم، فلم يدخل عباد القبور فى كلام الشيخين لظهور برهانها ووضوح أدلتها وعدم اعتبار الشبهة فيها هذا وجه الاخراج والاستدراج ومراد هذا الملحد أن عباد القبور لا يكفرون لأن الصحابة والتابعين لم يكفروا الخوارج فبعداً للقوم الظالمين.

وأما ماذكره من قتال أهل الردة فليس الأمر كما زعم من التفريق وإن كان قد قال به بعض العلماء فالحق والصواب ما أجمع عليه الصحابة رضى الله عنهم فانهم لم يفرقوا بين من ارتد وصدق مسيلمة الكذاب والأسود العنسى وطليحة الاسدى وسجاح وبين من منع الزكاة، بل قاتلوهم كلهم واستحلوا دمائهم وأموالهم وسبيهم وسموهم كلهم أهل الردة ولم يقولوا لمانع الزكاة أنت مقر بوجوبها أو جاحد لها؟ هذا لم يعهد عن الخلفاء والصحابة بل قال الصديق رضى الله عنه لعمر رضى الله عنه والله لو منعونى عقالا كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعه فجعل المبيح للقتال مجرد المنع لا جحد الوجوب وقد روى أن طوائف منهم كانوا يقرون بالوجوب لكن بخلوا بها ومع هذا فسيرة الخلفاء فيهم جميعاً سيرة واحدة وهى قتل مقاتلتهم وسبى ذراريهم وغنيمة أموالهم والشهادة على قتلاهم بالنار وسموهم جميعهم أهل الردة وكان من أعظم فضائل الصديق رضى الله عنه أن ثبته الله عند قتالهم ولم يتوقف كما توقف غيره فناظرهم حتى رجعوا إلى قوله كما بينه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله فاذا علمت ذلك فمن المحال أن يكون الحق والصواب مع من قال بخلاف ما قاله أصحاب رسول الله ﷺ الذين هم أفضل الامة وأن يكون الحق والصواب مع من بعدهم ممن لا يساويهم ولا يقاربهم فى العلم والفضل والمعرفة وقد ذكر ابن القيم رحمه الله فى أعلام الموقعين نحواً من خمسة وأربعين وجهاً تدل على أن ما قاله الصحابة رضى الله عنهم هو الحق والصواب الذى لا شك فيه.

فصل

ثم ذكر العراقى فرق أهل الضلال من أهل الاهواء والبدع الذين فارقوا الجماعة كالقدرية والمعتزلة والمرجئة والجهمية والرافضة ولم يذكر من فرق أهل الاهواء إلا هؤلاء ، ثم قال ومذهب السلف الذى تتستر به الوهابية هو عدم القول بتكفير طوائف المارقين الذين ذكرناهم ، والعجب كل العجب أن هذا العراقى يقرّ أن هؤلاء الطوائف هم المارقون المفارقون للجماعة وهو يقول بأقوالهم فى نفى الصفات .

﴿ والجواب ﴾ أن نقول : هذا كذب على السلف رضوان الله عليهم فانهم كفروا غلاة الرافضة كالذين حرقهم علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه وكذلك كفروا غلاة القدرية وغلاة المرجئة والمعتزلة وغلاة الجهمية ، وقد حكى شيخ الاسلام تكفير من قام به الكفر من أهل الاهواء ، قال واضطرب الناس فى ذلك فمنهم من يحكى عن مالك فيه قولين ، وعن الشافعى كذلك ، وعن احمد روايتين ، وأبو الحسن الاشعرى وأصحابه لهم فيه قولان ، قال وحقيقة الامر أن القول قد يكون كفراً فيطلق القول بتكفير قائله ، ويقال لمن قال هذا فهو كافر لكن الشخص المعين الذى قال لا يكفر حتى تقوم عليه الحجة التى يكفر تاركها ، انتهى . وحيث كان الحال هكذا فى الخوارج قد اختلف الناس فى تكفيرهم والغلاة فى علىّ لم يختلف أحد فى تكفيرهم وكذلك من سجد لغير الله أو ذبح لغير الله أو دعاه مع الله رغباً أو رهباً كل هؤلاء اتفق السلف والخلف على كفرهم كما ذكره أهل المذاهب الاربعة ولا يمكن أحد أن ينقل عنهم قولا ثانياً ، وبهذا تعلم أن النزاع وكلام شيخ الاسلام ابن تيمية وأمثاله فى غير عباد القبور والمشركين فرضه وموضوعه فى أهل البدع المخالفين للسنة والجماعة ، وهذا يعرف من كلام الشيخ فاذا عرفت ان كلام الشيخ ابن تيمية فى أهل الاهواء كالقدرية والخوارج والمرجئة ونحوهم ما خلا غلاتهم تبين لك أن عباد القبور والجهمية خارجون من هذه الاصناف ، وأما كلامه فى عدم

تكفير المعين فالمقصود به فى مسائل مخصوصة قد يخفى دليلها على بعض الناس كما فى مسائل القدر والأرجاء . ونحو ذلك مما قاله أهل الاهواء فان بعض أقوالهم تتضمن أموراً كفرية من رد أدلة الكتاب والسنة المتواترة فيكون القول المتضمن لرد بعض النصوص كفراً ولا يحكم على قائله بالكفر لاحتمال وجود مانع كالجهل وعدم العلم بنفس النص أو بدلالته ، فان الشرائع لا تلزم إلا بعد بلوغها ولذلك ذكر هذا فى الكلام على بدع أهل الاهواء وقد نص على هذا فقال فى تكفير أناس من أعيان المتكلمين بعد أن قرر هذه المسألة ، قال : وهذا إذا كان فى المسائل الخفية فقد يقال بعدم التكفير ، وأما ما يقع منهم فى المسائل الظاهرة الجلية أو ما يعلم من الدين بالضرورة فهذا لا يتوقف فى تكفير قائله ، وبهذا تعلم غلط هذا العراقى وكذبه على شيخ الاسلام ، وعلى الصحابة والتابعين فى عدم تكفير غلاة القدرية وغلاة المعتزلة وغلاة المرجئة وغلاة الجهمية والرافضة ، فان الصادر من هؤلاء كان فى مسائل ظاهرة جلية ، وفيما يعلم بالضرورة من الدين ، وأما من دخل عليه من أهل السنة بعض أقوال هؤلاء وخاض فيما خاضوا فيه من المسائل التى قد يخفى دليلها على بعض الناس أو من كان من أهل الاهواء من غير غلاتهم بل من قلدهم وحسن الظن بأقوالهم من غير نظر ولا بحث فهؤلاء هم الذين توقف السلف والأئمة فى تكفيرهم لاحتمال وجود مانع بالجهل وعدم العلم بنفس النص أو بدلالته قبل قيام الحجة عليهم ، وأما إذا قامت الحجة عليهم ، فهذا لا يتوقف فى كفر قائله .

(وأما قوله) قال شيخ الاسلام تقى الدين بن تيمية لم يكفر الامام احمد الخوارج ولا المرجئة ولا أعيان الجهمية بل صلى خلف الجهمية الذين دعوا الناس إلى قولهم وعاقبوا من لم يوافقهم بالعقوبات الشديدة .

فالجواب أن يقال قد تقدم عدم تكفير الخوارج والمرجئة غير الغالية منهم واما الجهمية فيقال لو سلم هذا فجوابه من أوضح الواضحات عند أهل العلم والأثر وذلك أن الامام احمد وأمثاله من أهل العلم والحديث لايختلفون فى تكفير

الجهمية وأنهم ضلال زنادقة ، وقد ذكر من صنف فى السنة تكفيرهم عن عامة أهل العلم والأثر وعد اللالكائى الامام رحمه الله تعالى منهم عدداً يتعذر ذكرهم فى هذا الجواب ، وكذلك ابن الامام احمد فى كتاب السنة والخلال فى كتاب السنة وابن أبى مليكة فى كتاب السنة وامام الأئمة ابن خزيمة قرر كفرهم ونقله عن أساطين الأئمة . وقد حكى كفرهم شمس الدين بن القيم فى كافيته عن خمسمائة من أئمة المسلمين وعلمائهم والصلاة خلفهم لا تنافى القول بتكفيرهم لكن تجب الاعادة حيث لا تمكن الصلاة خلف غيرهم ، والرواية المشهورة عن الامام احمد هى المنع من الصلاة خلفهم ، وقد يفرق بين من قامت عليه الحجة التى يكفر تاركها وبين من لا شعور له بذلك وهذا القول يميل اليه شيخ الاسلام فى المسائل التى قد يخفى دليلها على بعض الناس . كما تقدم ذكره . وعلى هذا القول فالجهمية فى هذه الازمنة قد بلغتهم الحجة وظهر الدليل وعرفوا ما عليه أهل السنة واشتهرت الاحاديث النبوية وظهرت ظهوراً ليس بعده إلا المكابرة والعناد ، وهذا حقيقة الكفر والالحاد ، كيف لا وقولهم يقتضى من تعطيل الذات والصفات والكفر بما اتفقت عليه الرسالة والنبوات وشهدت به الفطر السليمات ما لا يبقى معه من حقيقة الربوبية والالهية ولا وجود للذات المقدسة المتصفة بجميل الصفات ، وهم انما يعبدون عدما لا حقيقة لوجوده ويعتمدون من الخيالات والشبه ما يعلم فساده بضرورة العقل وبالضرورة من دين الاسلام عند من عرفه وعرف ما جاءت به الرسل من الاثبات . ولبشر المريسى وأمثاله من الشبه والكلام فى نفى الصفات ما هو من جنس هذا المذكور عند الجهمية المتأخرين بل كلامه أخف إلحاداً من بعض هؤلاء الضلال ، ومع ذلك فأهل العلم متفقون على تكفيره وعلى أن الصلاة لا تصح خلف كافر جهمى أو غيره وقد صرح الامام احمد فيما نقل عنه ابنه عبد الله وغيره أنه كان يعيد صلاة الجمعة وغيرها وقد يفعله المؤمن مع غيرهم من المرتدين اذا كانت لهم شوكة ودولة والنصوص فى ذلك معروفة مشهورة من طلبها وجدها ، انتهى . وقد تقدم كلام أبى حنيفة وتصريحه بكفر من قال لا أدرى العرش فى السماء أم فى الارض

قال لأنه أنكر أنه فى السماء لأن الله فى أعلى عليين وأنه يدعى من أعلا لا من أسفل ، وقال الامام الشافعى رحمه الله : لله أسماء وصفات لايسع أحداً ردها ومن خالف بعد ثبوت الحجة عليه كفر ، واما قبل قيام الحجة فانه يعذر بالجهل ونثبت هذه الصفات وننفى عنه التشبيه كما نفى عن نفسه فقال : (ليس كمثله شىء وهو السميع البصير) انتهى .

وقال شيخ الاسلام رحمه الله بعد كلام سبق : والبدعة التى يُعد بها الرجل من أهل الاهواء ما اشتهر عند أهل العلم بالسنة مخالفتها للكتاب والسنة كبدعة الخوارج والروافض والقدرية والمرجئة ، فان عبدالله بن المبارك ويوسف ابن أسباط وغيرهما ، قالوا أصول الاثنتين وسبعين فرقة هى أربع : الخوارج والروافض والمرجئة والقدرية ، قيل لابن المبارك فالجهمية ، قال ليست من أمة محمد ﷺ والجهمية نفاة الصفات الذين يقولون القرآن مخلوق وان الله لايرى فى الآخرة ، وان محمداً لم يعرج به الى الله ، وان الله لا علم له ولا قدرة ولاحياة ونحو ذلك كما يقوله المعتزلة والمتفلسفة ومن اتبعهم . وقد قال عبد الرحمن ابن مهدى هما صنفان فأحدهما الجهمية والرافضة فهذان الصنفان شرار أهل البدع ومنهم دخلت القرامطة الباطنية كالنصيرية والاسماعيلية ومنهم اتصلت الاتحادية فانهم من جنس الطائفة الفرعونية والرافضة فى هذه الازمان مع الرفض جهمية قدرية فانهم ضموا الى الرفض مذهب المعتزلة ثم يخرجون الى مذهب الاسماعيلية ونحوهم من أهل الزندقة والاتحاد ، انتهى كلامه رحمه الله . وهذا العراقى الملحد ضم الى معتقده فى عبادة القبور مذهب الجهمية والمعتزلة ، وقول الرافضة فى الرؤية والقدرية .

(وأما قوله) عن شيخ الاسلام وقال أيضاً ما محصله ان من البدع المنكرة تكفير طائفة من المسلمين واستحلال دمائهم وأموالهم اذ لعل تلك الطائفة ليس فيها من البدعة ما فى الطائفة المنكرة لها ولو فرض أن تلك الطائفة قد ابتدعت لم يجز للطائفة التى على السنة أن تكفرها لما عسى أن تكون بدعتها ناشئة عن خطأ الى آخره .

(فالجواب) أن نقول ليس هـذا مما نحن فيه فى شىء ، فان من أهل البدع من لم تخرجه بدعته من الاسلام وليس الكلام فى هؤلاء وفرض كلام الشيخ فيمن لم تكن بدعته تخرجه من الاسلام وانما الكلام فى غلاة هؤلاء الطوائف وبهذا يعلم كل من له أدنى مسكة من عقل وأقل معرفة من علم أن عباد القبور والجهمية لا يدخلون فى أهل البدع والاهواء الذين تقدم كلام الشيخ فيهم ، والشيخ محمد رحمه الله لا يكفر أحداً من هذا الجنس ولا من هؤلاء النوع وانما يكفر من نطق بتكفيره الكتاب العزيز وجاءت به السنة الصحيحة واجتمعت على تكفيره الامة كمن بدل دينه وفعل فعل الجاهلية الذين يعبدون الملائكة والانبياء والصالحين ويدعونهم مع الله فان الله كفرهم وأباح دماءهم وأموالهم كما دل عليه الكتاب العزيز والسنة المستفيضة .

فصل

اذا تبين لك هذا فمن عجيب أمر هذا العراقى وشدة غباوته ، وأنه انما دهى من عجمته ، وعدم معرفته وتلقى العلوم الشرعية من مظانها تناقضه كما قال تعالى (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيراً) . فمن ذلك أنه ذكر فيما تقدم فى غير موضع أن الوهابية قد خبطت كل الخبط فى تنزيهه تعالى حيث أبت إلا جعل استوائه سبحانه ثبوتاً على عرشه ، واستقراراً وعلواً فوقه ، وأثبتت له الوجه واليدين ، وبعضته سبحانه فجعلته ماسكا بالسموات على أصبع والارض على أصبع ، والشجر على أصبع ، والملك على أصبع ، ثم أثبتت له تعالى الجهة فقالت : هو فوق السموات ثابت على العرش يشار اليه بالاصابع الى فوق اشارة حسية ، وينزل الى السماء ويصعد ، ثم نفى الرؤية فى مواضع أخر وأولها بنوع من الانكشاف والتجلى من غير حاجة للباصرة ، ولا محاذاة لها . وفى موضع آخر قال : فاعتقدوا متمسكين بظواهر الآيات أن الله تعالى على عرشه وعلاه علواً حقيقياً ، وأن له تعالى وجهاً ويدين ، وأنه ينزل الى السماء الدنيا ويصعد نزولا وصعوداً حقيقين ، وأنه يشار اليه فى السماء بالاصبع ،

ثم نكس على رأسه ، فقال : لما أتى على فرق أهل الاهواء قال :

ثم فارقت الجهمية الجماعة فقالوا : ليس على العرش إله يعبد ، ولا لله فى الارض من كلام ، وأنكروا صفات الله التى أثبتها لنفسه فى كتابه المبين ، وأثبتها رسوله الصادق الأمين ، وأجمع على القول بها الصحابة ، وكذلك أنكروا رؤية الله تعالى فى الدار الآخرة الى غير ذلك من أقوالهم ومعتقداتهم الكفرية .

هذا لفظه بحروفه فنقض ما تقدم من قوله فى الوهابية بما قاله هاهنا من أن الجهمية فارقوا الجماعة ، وقالوا : انه ليس على العرش إله يعبد ، وأنهم أنكروا الصفات التى أثبتها لنفسه ، وأثبتها له رسوله ، وأجمع على القول بها الصحابة ، وكذلك قال فى رؤية الله تعالى وصرح أن هذا وغيره من معتقداتهم الكفرية ، وكذلك قال فى سائر الفرق أنهم فارقوا الجماعة ، وأن أهل السنة لم يكفروهم بهذه الكفريات وهكذا يكون كلام من اتبع هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله وإلا فكيف يعتقد أن الله ينزه عن اثبات صفات كماله ونعوت جلاله ، ثم يحكم على أن القائل بها مفارق للجماعة مخالف لما أجمع عليه الصحابة ، وأن اعتقاد هذا من العقائد الكفرية ثم يقول ، ومع تماديهم فى ضلالهم واستمرارهم على عنادهم ، بعد أن بين أهل الحق لهم خطأ مذهبهم لم يكفروهم ، بل جعلوا الاخوة الايمانية ثابتة لهم ولمن قبلهم من أهل البدع ، هذا قوله فى المرجئة والمعتزلة والقدرية ، وأما الجهمية فقال ومع ذلك فقد رد عليهم الأئمة وبينوا ضلالهم حتى انهم قتلوا بعض دعاتهم كجهم بن صفوان والجعد بن درهم ، وبعد أن قتلوهم غسلوهم وصلوا عليهم ودفنوهم فى مقابر المسلمين ، ولم يجروا عليهم أحكام أهل الردة ، وقال فى الرافضة ومع ذلك فلم يكفرهم أحد من العلماء ولا منعوهم عن التوارث ولا التناكح وأجروا عليهم أحكام المسلمين ، ويكفى مجرد حكاية ضلاله عن التكلف فى رده ، اذ من المعلوم بالضرورة أن هذا الكلام بكلام المجاذيب الذين ينطقون بما لا يعقلون أشبه به من نسبته الى أحد من أهل العلم والله المستعان .

(ثم ذكر) انعقاد الاجماع على أن من أقر بما جاء به الرسول وان كانت فيه خصلة من الكفر أو الشرك لا يكفر حتى تقام عليه الحجة إلى آخر ما ذكره مما قد بيناه فيما تقدم جوابه وكلام العلماء فيه .

(ثم قال) : فى آخر فقد تبين ما للوهابية فى تكفيرها المسلمين من البدعة والمخالفة لما جاء كتاب الله وسنة رسوله ولأقوال أئمة الدين والعلماء المجتهدين .

والجواب : أن يقال قد بينا فيما تقدم أن الوهابية لا يكفرون المسلمين ولا يكفرون أيضاً أهل الاهواء مطلقاً إلا بعد بلوغ الحجة على من قام به مكفر من المكفرات وناقض من النواقض ، ولم نكفر إلا من نطق كتاب الله وسنة رسوله بتكفيره وخالف أئمة الدين والعلماء المجتهدين وأجمعت الامة على تكفيره كمن بدل دينه وفعل فعل الجاهلية الذين يعبدون الملائكة والانبياء والصالحين ويدعونهم مع الله فان الله كفرهم وأباح دماءهم وأموالهم فلا يهولنك سفسطة هذا العراقى وتمويهه بهذه العبارة ، فانه أول من خالفها كيف وقد قال فيما مضى من كلامه أن أدلة نصوص الكتاب والسنة ظواهر ظنية لا تعارض اليقينيات يعنى باليقينيات معقولات الفلاسفة واليونان وانباط فارس وفروخ الجهمية وورثة المجوس والصابئين من المتكلمين الخارجين عن سبيل المؤمنين .

فصل

قال العراقى : الوهابية ونفيها التوسل : ذكرنا فيما سبق تكفير الوهابية لمن خالف بدعتها من جميع المسلمين ونسبتها اياهم الى الشرك الاكبر ، وقد آن لنا أن نذكرها هنا ما اتخذته ذريعة لتكفيرهم من الأمور فمنها الاستغاثة بالانبياء والاولياء والتوسل بهم الى الله تعالى وزيارتهم قبورهم فهى قد نفت ذلك وحرمته وشددت النكير على المستغيثين والمتوسلين والزائرين فكفرتهم وعدتهم مشركين كعباد الأوثان بل جعلتهم أسوأ حالا منهم حيث قالت إن

المشركين السابقين كانوا مشركين فى الألوهية فقط ، وأما مشركوا المسلمين تعنى بهم من خالفها منهم فقد أشركوا فى الالوهية والربوبية ، وقالت أيضاً ان الكفار فى زمن رسول الله ﷺ لا يشركون دائماً بل تارة يشركون وتارة يوحدون الله ويتركون دعاء الانبياء والصالحين ، وذلك أنهم اذا كانوا فى السراء دعوهم واعتقدوا بهم واذا أصابهم الضر والشدائد تركوهم وأخلصوا لله الدين وعرفوا أن الانبياء والصالحين لا يملكون ضراً ولا نفعاً .

والجواب على سبيل النقض ـ وسيأتى الجواب على ما يجيب به عما قالت الوهابية ـ أن نقول : أما الاستغاثة بالأنبياء والاولياء فهى من الشرك الأكبر لأن الاستغاثة طلب الغوث ، ومن طلب من ميت أو غائب مالا يقدر عليه الا الله كان مشركا لأن الاستغاثة من أنواع العبادة فصرفها لغيره شرك ، قال شيخ الاسلام ومن أعظم الشرك أن يستغيث الرجل بميت أو غائب كما ذكره السائل ويستغيث به عند المصائب يا سيدى فلان كأنه يطلب منه ازالة ضره أو جلب نفعه وهذا حال النصارى فى المسيح وأمه واحبارهم ورهبانهم ، ومعلوم أن خير الخلق وأكرمهم على الله نبينا محمد ﷺ ، وأعلم الناس بقدره وحقه أصحابه ولم يكونوا يفعلون شيئاً من ذلك فى مغيبه ولا بعد مماته الى آخر كلامه رحمه الله تعالى ، وأما التوسل بهم الى الله كأن يسأل الله تعالى بجاههم أو بحرمتهم ، فهذا ليس بشرك بل هو من البدع المحرمة والذرائع المفضية الى ما هو أكبر من ذلك ، وأما زيارة قبورهم على الوجه الشرعى فلا مانع منه ونسبته الى الوهابية كذب عليهم ، وأما مع شد الرحل فبدعة محرمة ، فان تضمنت زيارتهم دعاءهم والاستغاثة بهم والالتجاء اليهم فهو الشرك الاكبر المخرج عن الملة ، وأدلة ذلك الآيات التى ذكرها فيما يأتى :

وأما كون مشركى أهل هذه الازمان أسوأ حالا من مشركى الجاهلية فنعم لأن الكفار الأولين كانوا مقرين بتوحيد الربوبية فيقرون أن الله هو الخالق الرازق المحيي المميت المدبر النافع الضار الى غير ذلك مما ذكره الله عنهم ولم يدخلهم ذلك فى الاسلام ، وانما كان شركهم فى الالوهية ، فان الاله هو الذى

تألهه القلوب محبة واجلالا وتعظيما ، ومن أنواع ذلك الدعاء والخوف والرجاء والحب والتعظيم والاستغاثة والاستعاذة والذبح والنذر والتوكل والالتجاء والرغبة والرهبة والخضوع والخشوع والانابة الى غير ذلك من أنواع العبادة وهذه حال عباد القبور فى هذه الازمان ·

وأما كون الكفار فى زمن رسول الله ﷺ لايشركون دائما بل تارة يشركون وتارة يوحدون ويتركون دعاء الانبياء والصالحين وذلك أنهم اذا كانوا فى السراء دعوهم واعتقدوا بهم واذا أصابهم الضر والشدائد تركوهم وأخلصوا لله الدين وعرفوا أن الانبياء والصالحين لا يملكون ضراً ولا نفعا - فهذا ليس هو قول الوهابية بل هو نص كتاب الله تعالى ، قال تعالى : (فاذا ركبوا فى الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون ٭ ليكفروا بما آتيناهم وليتمتعوا فسوف يعلمون) الى غير ذلك من الآيات ، وأما مشركوا أهل هذه الأزمان فانه لا يشتد شركهم إلا اذا وقعت بهم الشدائد فانهم ينسون الله ولا يدعون إلا معبودهم ، فشركهم دائم فى الرخاء والشدة ، وهذا أمر معلوم مشاهد لا ينكره الا مكابر فى الحسيات مباهت فى الضروريات .

(قال العرقى) حملت الوهابية جميع الآيات القرآنية التى نزلت فى المشركين على الموحدين من أمة محمد ﷺ وتمسكت بها فى تكفيرهم منها قوله تعالى : (فلا تدعوا مع الله أحدا) ، وقوله تعالى : (ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لايستجيب له الى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون ٭ واذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين) ، وقوله تعالى : (ولا تدع من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك فان فعلت فانك إذاً من الظالمين) ، وقوله تعالى : (والذين يدعون من دونه ما يملكون من قطمير ٭ ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبؤك مثل خبير) ، وقوله : (ولا تدع مع الله إلها آخر فتكون من المعذبين) ، وقوله تعالى : (له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشىء إلا كباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه وما دعاء الكافرين

إلا فى ضلال) ، وقوله تعالى : (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا ۞ أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذورا) إلى غير ذلك من الآيات النازلة فى المشركين ، فزعم ابن عبد الوهاب أن كل من استغاث بالنبى ﷺ ، وتوسل به أو بغيره من الانبياء والأولياء والصالحين أو ناداهم أو سأله الشفاعة أو زار قبره يكون فى عداد هؤلاء المشركين داخلا فى عموم هذه الآيات وشبهته فى ذلك أن هذه الآيات وان كانت نازلة فى المشركين الا أن العبرة لعموم اللفظ لا لخصوص السبب ، انتهى .

فكل ما ذكره عن الوهابية حق وبه نقول إلا ما كان من لفظ التوسل أو زيارة القبور فقد تقدم فى الفصل الأول الجواب عن ذلك وانا لا نكفر بهما ، ثم انظر ماذا يجيب به من الخرقة السامجة المارجة الساذجة .

قال والجواب انا لا ننكر أن العبرة هى لعموم اللفظ لا لخصوص السبب ، ولكن نقول إن هذه الآيات لا تشمل من زعمت الوهابية أنها شاملة لهم لما أنه ليس من أحوال الكفار الذين نزلت هذه الآيات فيهم شىء عند المتوسلين والمستغيثين ، فان الدعاء يأتى لمعان شتى كما سنذكره قريباً وهو فى هذه الآيات كلها بمعنى العبادة ، والمسلمون لا يعبدون الا الله تعالى وليس فيهم من اتخذ الانبياء والأولياء آلهة وجعلهم شركاء لله تعـــالى حتى تعمهم هذه الآيات ، ولا اعتقدوا أنهم يستحقون العبادة ، ولا أنهم يخلقون شيئاً ، ولا أنهم يملكون ضراً ولا نفعاً ، بل انما اعتقدوا انهم عبيد الله مخلوقون له ، ما قصدوا بزيارة قبورهم والتوسل بهم الى الله تعالى الا التبرك بهم لكونهم أحباء الله المقربين الذين اصطفاهم واجتباهم فببركتهم يرحم عباده .

قالت الوهابية : ان اعتذاركم هو عين اعتذار المشركين عن عبادة الاصنام فقد قال تعالى حكاية عن المشركين فى اعتذارهم عن عبادة الاصنام (ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى) فالمشركون ما اعتقدوا فى الاصنام أنها تخلق شيئاً ، بل اعتقدوا أن الخالق هو الله تعالى بدليل قوله (ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن

الله) وقوله تعالى (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله) فإنما حكم الله تعالى عليهم بالكفر لقولهم (ليقربونا إلى الله زلفى) قالت : وهكذا المتوسلون بالأنبياء والصالحين يقولون ما هو بمعنى قول المشركين ليقربونا إلى الله زلفى .

قال العراقى : والجواب من وجوه . الاول أن المشركين جعلوا الاصنام آلهة والمسلمون ما اعتقدوا إلا إلهاً واحداً فعندهم أن الانبياء أنبياء والاولياء أولياء ليس إلا فلم يتخذوهم آلهة مثل المشركين .

(والجواب عن أجوبة هذا الملحد) أن نقول ما ذكره العراقى ليس هو حاصل ما تجيب به الوهابية من أشرك بالله غيره واتخذ معه آلهة من دونه ، فان عندهم من الادلة والاجوبة مالم تحط به علماً ، ولا تقدر على نقضه وإبطاله ، كما قال تعالى (ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً) فانهم هم أتباع رسول الله على الحقيقة لا على الدعوى والانتساب ، ولكنا فى هذا المقام إنما نجيب على أجوبته بما يبين بطلانها ، ويهدم أركانها ، ويهدّ بنيانها ، وإن كان ما أجابهم به أوهن من خيط العنكبوت فنقول : قد كان من المعلوم عند من له معرفة بالعلوم الشرعية أن المشركين الذين قاتلهم رسول الله ﷺ منهم من يعبد الاصنام المصورة على صور الصالحين وُدٍّ وسواع ويغوث ويعوق ونسر ، ومنهم من يعبد الملائكة والانبياء والصالحين ويجعلونهم وسائط بينهم وبين الله، ويقولون نريد منهم التقرب إلى الله ، ونريد شفاعتهم ، ومنهم من يعتقد فى الاشجار والاحجار يرجون بركتها وغير ذلك ومع ذلك كانوا يعلمون أن الانبياء أنبياء ، وأن الاولياء أولياء ، وأن الاشجار كالعزى شجرة ، وأن مناة أكمة يذبحون لآلهتهم عندها يرجون بركتها ، وكذلك اللات يعلمون انها صخرة كان يلت عليها السويق للحاج فبعث محمداً ﷺ يجدد لهم دين أبيهم ابراهيم ويخبرهم أن هذا التقرب والاعتقاد محض حق الله لا يصلح منه شيء لا لملك مقرب ، ولا نبي مرسل فضلا عن غيرهما ، وهؤلاء المشركون لم يعتقدوا فى آلهتهم التى يدعونها

من دون الله من الأصنام ، والملائكة ، والانبياء والاولياء والصالحين ، انهم يستحقون العبادة ولا أنهم يخلقون شيئاً ، ولا انهم يملكون ضراً ولا نفعاً ، ويعلمون أن الله هو الخالق الرازق ، المحيي المميت ، المدبر لجميع الأمور ، ولكن لم يدخلهم ذلك فى التوحيد الذى دعاهم اليه رسول الله ﷺ من اخلاص العبادة لله وحده لا شريك له ، وأن يكون الدين كله لله ، والنذر كله لله ، والذبح كله لله والاستغاثة كلها بالله ، والالتجاء اليه وحده ، والتوكل عليه ، والخوف والرجاء منه ، والدعاء كله لله ، وجميع أنواع العبادة كلها لله . فاذا عرفت أن اقرارهم بتوحيد الربوبية لم يدخلهم فى الاسلام ، وأن قصدهم الملائكة والانبياء والاولياء يريدون شفاعتهم والتقرب إلى الله بهم ، ويتبركون بهم لكونهم أحباء الله المقربين الذين اصطفاهم الله واجتباهم ، هو الذى أحل دماءهم وأموالهم . عرفت حينئذ التوحيد الذى دعت اليه الرسل ، وأبى عن الاقرار به المشركون ، وهذا التوحيد هو معنى قولك لا إله إلا الله ، فان الإله هو الذى تألهه القلوب ، ويقصد لأجل هذه الامور سواء ، كان ملكا ، أو نبياً ، أو ولياً ، أو شجرة ، أو قبراً ، أو جنياً . لم يريدوا أن الإله هو الخالق الرازق المدبر ، فمن صرف من هذه العبادة المتقدم ذكرها شيئاً لغير الله فقد اتخذه إلهاً لانه صرف خالص حق الله لغيره ، وأشركه معه فى عبادته ، ومن أشرك بالله أحداً فى عبادته كان مشركا سواء كان المدعو المستغاث به ملكا أو نبياً ، أو ولياً ، أو صنما ، فقول هذا العراقى إن المشركين جعلوا الاصنام آلهة والمسلمون ما اعتقدوا إلا إلها واحداً ، جهل عظيم وغباوة مفرطة ، فان المشركين عبدوا الملائكة ، وعيسى ، واللات ، وهو قبر رجل صالح مع الاصنام المصورة وصرفوا لهم خالص حق الله كما تقدم ذكره . وأيضا فان رسول الله ﷺ لما قال لهم « قولوا لا إله الا الله » قالوا : — اجعل الآلهة إله واحد ان هذا لشيء عجاب — فالكفار الجهال يعلمون أن مراد النبي ﷺ بهذه الكلمة هو افراد الله تعالى بالتعلق والكفر بما يعبد من دون الله والبراءة منه ، وأن يكون الدين كله لله ، فاذا صرف المشركون لمن يعتقدون فيه شيئاً من هذه العبادة كانوا بذلك مشركين ، فكذلك

من يزعم انه مسلم ويتلفظ بالشهادتين ويقر بسائر الأركان إذا صرف من هذه العبادة شيئاً لغير الله كان مشركاً ، ولا ينفعه اعتقاده أن الله إله واحد وهو يعبد معه غيره ، ولا تنفعه معرفته أن الأنبياء أنبياء ، والأولياء أولياء وهو يشركهم فى عبادة الله .

فصل

قال العراقى : الثانى أن المشركين اعتقدوا أن تلك الآلهة تستحق العبادة بخلاف المسلمين فانهم لم يعتقدوا أن أحداً من المتوسلين بهم مستحق لأقل عبادة وليس عندهم المستحق للعبادة إلا الله وحده .

والجواب أن نقول : هذه العبادة التى صرفها المشركون الأولون لآلهتهم هى ما يفعله المشركون من عباد القبور فى هذه الازمان سواء بسواء وان زعموا أن هذا توسل ، فالعبرة بالحقائق لا بالاسماء ، فان المشركين الأولين ما زعموا أن آلهتهم التى عبدوها من دون الله من الأنبياء والاولياء والصالحين والملائكة شاركوا الله فى خلق السموات والأرض ، أو استقلوا بشىء من التدبير والتأثير والإيجاد ولو فى خلق ذرة من الذرات ، ولا أنهم مستحقون للعبادة ، وإنما كانوا يدعونهم ويلتجئون اليهم ، ويسألونهم على وجه التوسل بجاههم وشفاعتهم ليقربوهم إلى الله زلفى .

ويقال لهذا الملحد أيضاً لا يخلو معتقد هذه الافعال عن أحد ثلاثة أمور ، اما ان يعتقد أنهم مستحقون للعبادة من دون الله أو مع الله ، واما أن لا يعتقد ذلك لكن ليقربوهم إلى الله زلفى ، واما أن لا تكون هذه الأفعال عبادة ، فان كان أراد أن هذه ليست بعبادة فقد كابر العقل والشرع وباهت فى الضروريات وان كان أراد بها ليقربوهم إلى الله زلفى مع اعتقادهم أن الله هو النافع الضار المدبر لجميع الامور ، وأنه لا خالق إلا الله فهذا هو شرك الجاهلية ، وان أراد

أنهم مستحقون للعبادة من دون الله أو مع الله كان هذا أعظم من شرك الجاهلية فان هذا شرك فى الربوبية والالوهية معاً .

فاذا عرفت ان هذا الشرك الذى يسميه هؤلاء توسلا وتشفعاً بجاه النبى أو بحقه وغير ذلك من الالفاظ ، أو بجاه غير النبى كالملائكة والأولياء والصالحين وهو ان يعتقد أحدهم فى غير الله انه بذاته يقدر على جلب منفعة لمن دعاه أو استغاث به ، أو دفع مضرة ، أو أن يحصل ببركته وشفاعته كان هذا هو العبادة التى لا يستحقها الا الله فان العبادة التى لا يستحقها إلا الله مع الإقرار بتوحيد الربوبية هى أفعال العبد الصادرة منه كالدعاء ، والحب . والخوف ، والرجاء ، والخضوع ، والخشوع ، والانابة والتوكل والمحبة والتعظيم ، والاستغاثة والدعاء والالتجاء ، والاستعانة ، والاستعاذة ، والذبح والنذر ، وغير ذلك من أنواع العبادة التى اختص بها دون من سواه وهو المستحق لها دون من عداه ، فمن صرف منها شيئاً لغير الله كان مشركاً سواء اعتقد التأثير فيما يدعوه ويستغيث به ، أو أنه مستحق لذلك أو غير مستحق ، أو لم يعتقد ذلك وان فر من تسمية فعله شركاً وتألها وعبادة ، فانه من المعلوم عند كل عاقل أن حقائق الأشياء لا تتغير بتغير اسمائها فلا تزول هذه المفاسد بتغير أسمائها كتسمية عبادة غير الله توسلا وتشفعاً ، أو تبركاً وتعظيما للصالحين وتوقيراً ، فان الاعتبار بحقائق الأمور لا بالأسماء والاصطلاحات ، والحكم يدور مع الحقيقة وجوداً وعدماً لا مع الأسماء . فقوله عن مشركى هذا الزمان أنهم لا يعتقدون أن أحداً منهم بتوسله يزعم أنهم مستحقون لأقل عبادة تمويه وسفسطة من هذا العراقى لأن المستحق للعبادة هو الذى تألهه القلوب محبة واجلالا وتعظيما فمن تأله غير الله فقد اعتقد أنه مستحق للعبادة بتألهه اياه بأنواع هذه العبادة شاء أم أبى ، ولا ينفعه اقراره أن المستحق للعبادة هو الله وحده وهو يشرك به غيره .

(وأما قوله) الثالث أن المشركين عبدوا تلك الآلهة بالفعل كما قال تعالى حكاية عنهم (مانعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) والمسلمون ما عبدوا الانبياء والصالحين فى توسلهم إلى الله تعالى .

(فالجواب) أن يقال : إن المشركين عبدوا تلك الآلهة بالفعل الصادر منهم كالدعاء والحب والخوف والتعظيم والرجاء والاستغاثة والاستعاذة والذبح لهم والنذر والالتجاء اليهم فصرفوا لهم هذه العبادة ليشفعوا لهم عند الله وليقربوهم إلى الله زلفى وهكذا حال مشركى هذه الازمان انما عبدوهم بالفعل والاعتقاد فيهم وتوسلوا بهم وقصدوهم لأجل التبرك بهم والاستشفاع بجاههم لا لأجل أنهم مستحقون للعبادة ولا أنهم مستقلون بالخلق والايجاد والنفع والضر وأيضاً فان مجرد ارتكاب فعل أو قول أو اعتقاد لغير الله مما يعد من العبادة من الدعاء والذبح وما تقدم ذكره موقع فى الاشراك سواء وجد معه اعتقاد ألوهية غير الله أم لا .

(وأما قوله) الرابع أن المشركين قصدوا بعبادة أصنامهم التقرب الى الله تعالى كما حكى الله وأما المسلمون فلم يقصدوا بتوسلهم بالانبياء وغيرهم التقرب الى الله تعالى لما أن التقرب اليه لا يكون الا بالعبادة ولذلك قال الله حكاية عن المشركين (ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى) بل المسلمون قصدوا التبرك والاستشفاع بهم والتبرك بالشىء غير التقرب به كما لا يخفى .

(فالجواب) أن نقول : وهكذا حال مشركى العرب مع أوثانهم انما كانوا يعتقدون حصول البركة منها بتعظيمها ودعائها والاستغاثة بها والاعتماد عليها فى حصول ما يرجونه منهـــا ويؤملونه ببركتها وشفاعتها وغير ذلك فالتبرك بالصالحين أو بقبورهم كالتبرك باللات وبالاشجار والاحجار كالعزى ومناة من جملة فعل أولئك المشركين مع تلك الاوثان فمن فعل مثل ذلك واعتقد فى قبر أو صاحبه أو حجر او شجر فقدضاهأ عبادة هذه الاوثان فيما كانوا يفعلونه معها من هذا الشرك على أن الواقع من هؤلاء المشركين فى هذه الازمان مع معبوديهم أعظم ممـا وقع من أولئك فمن دعا غير الله واستغاث به ولجأ اليه وصرف له شيئاً من خالص حق الله كان هذا الفعل منه بهذا القصد شركا بدليل ما رواه الترمذى وصححه عن أبى واقد الليثى قال خرجنا مع رسول الله ﷺ الى حنين ونحن حدثاء عهد بكفر وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون

بها أسلحتهم يقال لها ذات أنواط فمررنا بسدرة فقلنا يارسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط فقال رسول الله ﷺ (الله اكبر انها السنن ، قلتم والذى نفسى بيده كما قالت بنو اسرائيل لموسى (اجعل لنا الهاً كما لهم آلهة ، قال انكم قوم تجهلون) لتتبعن سنن من كان قبلكم ، فقوله وينوطون بها أسلحتهم أى يعقلونها للبركة ففى هذا بيان ان عبادتهم لها بالتعظيم والعكوف والتبرك وبهذه الأمور الثلاثة عبدت الاشجار ونحوها فظنوا أن هذا الامر محبوب عند الله فقصدوا التقرب به فأقسم ﷺ ان طلبتهم كطلبة بنى اسرائيل بجامع ان كلا طلبه ان يجعل له ما يأله ويعبده من دون الله وان اختلف اللفظان فالمعنى واحد فتغير الاسم لا يغير الحقيقة ففى هذا الحديث دلالة واضحة على أن طلبتهم من النبى ﷺ أن يجعل لهم ذات أنواط يتبركون بها كطلبة بنى اسرائيل من موسى أن يجعل لهم الهاً فأقسم ﷺ ان مقالة هؤلاء كمقالة أولئك سواء بسواء واذا كان القصد من الشرك بالشىء كالتبرك مثلا هو القصد من التأله به كان الكل عبادة يتقرب بها الى الله فالفرق بين العبادتين لاختلاف اللفظين تحكم بغير دليل فقد اتضح عدم الفرق فى هذه القضية فانجلت الشبهة العراقية .

(وأما قوله) الخامس أن المشركين لما كانوا يقصدون أن الله تعالى جسم فى السماء أرادوا بقولهم ليقربونا الى الله زلفى التقرب الحقيقى ويدل عليه تأكيده بقولهم زلفى اذ تأكيد الشىء بما ظاهره معناه يدل فى الاكثر على أن المقصود به هو المعنى الحقيقى دون المجازى فاذا قلنا قتله قتلا تبادر القتل الحقيقى الى الفهم لا الضرب الشديد بخلاف ما لو قلنا قتله فقط فانه قد يراد به الضرب الشديد ، وأما المسلمون فحيث لم يقصدوا أن الله جسم فى السماء بعد منهم أن يطلبوا التقرب الحقيقى اليه بالتوسل فلا ينطبق عليهم حكم الآية .

نعم أن الوهابية لما اعتقدت أن الله تعالى جسم استوى على عرشه فى السماء لم تجد للتبرك الذى قصده المسلمون بتوسلهم معنى غير التقرب الذى يكون الى الاجسام ولذلك جعلت هذه الآية منطبقة عليهم .

(فالجواب) أن يقال : قد كان من المعلوم أن مشركى الجاهلية لا يعرفون من لفظ الجسم ما أحدثه هؤلاء المتأخرون من أنه مركب اما من المادة والصورة أو من الجواهر المنفردة أو ما تركب من أجزاء متفرقة ولا كانوا يعرفون ما أحدثه هؤلاء من لفظ الاعراض والاغراض والابعاض والحيز والجهة وانما يعرف هذا عن ورثة المجوس والمشركين وضلال اليهود والنصارى والصابئين وأفراخ المتفلسفة وأتباع الهند واليونان ، وأما العرب الذين نزل القرآن بلغتهم فان الجسم معناه فى لغتهم البدن الكثيف الذى لا يسمى فى اللغة جسم سواه ، فلا يقال للهواء جسم لغة ولا للنار ولا الماء ، واذا كان ذلك كذلك كان هذا المعنى منفياً عن الله تعالى عقلا وسمعاً ، وكذلك ما يعنى هؤلاء الملاحدة بالجسم أنه مركب من المادة والصورة والهيولى أو من الجواهر الفردة أو من الاجزاء المتفرقة - منفى عن الله تعالى باتفاق من أثبته ومن نفاه من العقلاء حتى فى الممكنات . فاذا تمهد هذا فالكفار الجهال كانوا أصح عقولا وأسلم فطراً من ورثة المتفلسفة والصابئين وأنباط فارس والروم فانهم كانوا يعلمون بفطرهم التى فطروا عليها أن الله الذى خلقهم وأوجدهم فوق السماء كما قال ﷺ لحصين الخزاعى : « كم كنت تعبد ؟ » قال : سبعة . ستة فى الارض وواحد فى السماء . قال : « من كنت تعد لرغبتك ورهبتك ؟ » ، قال : الذى فى السماء . وكانوا اذا لجئوا الى الله ودعوه رفعوا أبصارهم وأيديهم الى السماء . ومن أشعارهم قول أمية بن أبى الصلت الثقفى الذى أنشد للنبى ﷺ فاستحسنه ، وقال « آمن شعره وكفر قلبه » قال :

مجدوا الله فهو للمجد أهل ... ربنا فى السماء أمسى كبيرا
بالبناء الأعلى الذى سبق النا ... س وسوى فوق السماء سريرا
شرجعا ما يناله بصر العـ ... ـين ترى دونه الملائك صورا

وقول عبد الله بن رواحة رضى الله عنه حين قال :

شهدت بأن وعد الله حق ... وان النار مثوى الكافرينا
وان العرش فوق الماء طاف ... وفوق العرش رب العالمينا

واذا كان العرب يعرفون بفطرهم ان الله فوق السماء ولا كانوا يعرفون ما أحدثه هؤلاء من لفظ الجسم على اصطلاحهم الحادث الملعون واختلافهم فى ذلك كان تفريعا باطلا على تأصيل باطل مخترع ، وكان من المعلوم ان المشركين انما اتخذوا من دونه أولياء يعبدونهم انما هو بطلب القربة والمنزلة عند الله بشفاعة من يعبدونه والقربى هى المنزلة ، فكان من المعلوم انهم ما طلبوا منزلة مجازية لا حقيقة لها فى الخارج .

قال البغوى رحمه الله فى تفسير هذه الآية (والذين اتخذوا من دونه أولياء) يعنى الاصنام (ما نعبدهم) اى قالوا ما نعبدهم (إلا ليقربونا الى الله زلفى) وكذلك قرأ ابن مسعود وابن عباس . قال قتادة : وذلك انهم كانوا اذا قيل لهم : من ربكم ومن خلقكم ومن خلق السموات والأرض ؟ قالوا : الله ، فيقال لهم : فما معنى عبادتكم الأوثان ؟ قالوا : ليقربونا الى الله زلفى . اى قربى وهو اسم أقيم مقام المصدر كأنه قال : إلا ليقربونا الى الله تقريبا ويشفعوا لنا عند الله ، وبهذا يندفع توهم هذا العراقى ان التقرب بالمعنى المجازى لا على المعنى الحقيقى لأنه لا يعتقد ان الله على عرشه بائن من خلقه ، فلذلك ظن المشركين كانوا يعتقدون أن الله فى السماء على عرشه فوق خلقه ، واذا كان على عرشه فوق خلقه كان جسما ، وقد بينا فيما تقدم بطلان ما توهمه من اللوازم التى أحدثوها ما انزل الله بها من سلطان (ان هى إلا اسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان) .

واذا تبين لك ما قدمناه كان حكم الآيه منطبقاً على هؤلاء المشركين الذى يزعم هذا الملحد انهم مسلمون ، وايضا فان هذا الملحد ومن نحا نحوه من المشركين حيث أنكروا التقرب الحقيقى ، فرادهم انه ليس فوق السموات رب ولا على العرش إله ولا يشار اليه بالاصابع الى فوق اشارة حسية كما اشار اليه أعلم الخلق به ولا ينزل منه شىء ولا يصعد اليه شىء ولا تعرج الملائكة والروح اليه ولا رفع المسيح اليه ولا عرج برسول الله ﷺ اليه حقيقة ولا يتقرب اليه شىء ولا يقرب منه أحد لأنه يلزم على هذا عندهم أن يكون جسما ، وقد علم

بالاضطرار أن الله لا سمى له ولا كفو له ولا مثل له ، فانه أحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ، فلا ننفى عن الله ما أثبته لنفسه لتسمية الملاحدة اعداء الله ورسوله للموصوف بها جسما وهؤلاء الضلال قد جمعوا بين الشرك فى الآلهية وبين تعطيل الرب عن صفات كماله ونعوت جلاله فكان المشركون الأولون أخف شركا منهم لأنهم ما أنكروا علو الله على عرشه ولا عطلوه من صفات كماله .

فصل

(قال الملحد) ويجدر بنا ان نبين هنا انواع الشرك فنقول منها ما يقال له شرك الاستقلال وهو اثبات إلهين مستقلين كشرك المجوس ومنها شرك التبعيض وهو تركيب الإله من عدة آلهة كشرك النصارى ، ومنها شرك التقريب وهو عبادة غير الله تعالى ليقرب الى الله زلفى كشرك الجاهلية والشرك الذى جعلته الوهابية أصلا لشرك المستغيث والمتوسل وبنت عليه قاعدتها هو شرك التقريب الذى دانت به الجاهلية .

(والجواب) أن نقول هذا التقسيم بهذا اللفظ لم أجده فى شىء من كتب أهل الإسلام الذين هم الأسوة وبهم القدوة ولم ينسبه الى عالم من علماء الإسلام وانما هو تنويع عراقى وفيه من التقصير والقصور ما لا يخفى واذا كان هذا مبلغ علمه ومحصول ما لديه تعين ان نذكر من أقوال أهل العلم ما يبين تخليط هذا العراقى وتخبيطه حيث اعتقد ان ما يفعله المشركون فى هذه الأزمان ليس من الشرك فنقول اعلم ان ضد التوحيد الشرك وهو ثلاثة انواع شرك أكبر وشرك أصغر وشرك خفى ، والدليل على الشرك الأكبر قوله تعالى (ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيداً) وقال المسيح (يا بنى اسرائيل اعبدوا الله ربى وربكم انه من يشرك بالله فقد حرَّم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار) . وهو أربعة أنواع شرك الدعوة والدليل على ذلك قوله تعالى (فاذا ركبوا فى الفلك دعوا الله

مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون) . النوع الثانى : شرك النية والارادة والقصد والدليل ، قوله تعالى : (من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون ۞ أولئك الذين ليس لهم فى الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون) . النوع الثالث : شرك الطاعة ، والدليل قوله تعالى : (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح بن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا اله إلا هو سبحانه عما يشركون) وتفسيرها الذى لا إشكال فيه طاعة العلماء والعباد فى المعصية لادعاؤهم اياهم كما فسرها النبى صلى الله عليه وسلم لعدى بن حاتم لما سأله قال لسنا نعبدهم فذكر أن عبادتهم طاعتهم فى المعصية . النوع الرابع : شرك المحبة والدليل ، قوله تعالى : (ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله) .

﴿ وأما النوع الثانى ﴾ فهو الشرك الاصغر وهو الرياء والدليل ، قوله تعالى : (فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً) وهو أنواع .

﴿ والنوع الثالث ﴾ الشرك الخفى والدليل عليه قوله ﷺ « الشرك فى هذه الأمة أخفى من دبيب النملة السوداء على صفاة سوداء فى ظلمة الليل » وكفارته قوله ﷺ « اللهم انى أعوذ بك أن أشرك بك شيئاً وأنا أعلم وأستغفرك من الذنب الذى لا أعلم » .

﴿ وقال ابن القيم ﴾ رحمه الله تعالى : الشرك شركان . شرك يتعلق بذات المعبود وأسمائه وصفاته وأفعاله ، وشرك فى عبادته ومعاملته وان كان صاحبه يعتقد أنه سبحانه لا شريك له فى ذاته ولا فى صفاته ولا فى أفعاله والشرك الأول نوعان أحدهما شرك التعطيل وهو أقبح أنواع الشرك كشرك فرعون اذ قال وما رب العالمين ؟ وقال تعالى مخبرا عنه انه قال : (وقال فرعون ياهامان ابن لى صرحاً لعلى أبلغ الاسباب ۞ أسباب السموات فأطلع الى إله موسى وانى لأظنه كاذباً) فالشرك والتعطيل متلازمان فكل مشرك معطل وكل معطل مشرك

لكن الشرك لايستلزم أصل التعطيل بل قد يكون المشرك مقراً بالخالق سبحانه وصفاته ولكن عطل حق التوحيد .

وأصل الشرك وقاعدته التي يرجع اليها هو التعطيل وهو ثلاثة أقسام تعطيل المصنوع عن صانعه وخالقه وتعطيل الصانع سبحانه عن كماله المقدس بتعطيل أسمائه وصفاته وأفعاله وتعطيل معاملته عما يجب على العبد من حقيقة التوحيد ومن هذا الشرك شرك طائفة أهل وحدة الوجود الذين يقولون ما ثم خالق ومخلوق ولا ها هنا شيئان بل الحق المنزه هو عين الخلق المشبه ، ومنه شرك الملاحدة القائلين بقدم العالم وأبديته وانه لم يكن معدوماً أصلا بل لم يزل ولا يزال . والحوادث بأسرها مستندة عندهم الى أسباب ووسائط اقتضت ايجادها يسمونها العقول والنفوس . ومن هذا شرك من عطل أسماء الرب تعالى وأوصافه وأفعاله من غلاة الجهمية والقرامطة فلم يثبتوا له اسما ولا صفة بل جعلوا المخلوق أكمل منه إذ كمال الذات باسمائها وصفاتها .

فصل

﴿ النوع الثاني ﴾ شرك من جعل معه الها آخر ، ولم يعطل أسماءه وربوبيته وصفاته كشرك النصارى الذين جعلوه ثالث ثلاثة فجعلوا المسيح الها والله الها وأمه الها ، ومن هذا شرك المجوس القائلين باسناد حوادث الخير الى النور ، وحوادث الشر الى الظلمة ، قلت فانظر الى كلام شمس الدين بن القيم والى كلام هذا الملحد حيث قال : منها شرك الاستقلال وهو اثبات الهين مستقلين كشرك المجوس ومنها شرك التبعيض وهو تركيب الإله من عدة الهة كشرك النصارى وبهذا تعرف أنه ما عرف أنواع الشرك ولا أقسامه .

ثم قال ابن القيم ومن هذا شرك القدرية القائلين بأن الحيوان هو الذي يخلق أفعال نفسه وانها تحدث بدون مشيئة الله وتقديره وارادته ولهذا كانوا من اشباه المجوس ، ومن هذا شرك الذي حاج ابراهيم في ربه (اذ قال ابراهيم ربي الذي يحيي ويميت ، قال أنا أحيي وأميت) فهذا جعل نفسه مثلا لله يحيي ويميت بزعمه

كما يحيي الله ويميت ، فألزمه ابراهيم عليه السلام ورحمة الله وبركاته ، أن طرد قولك أن تقدر على الاتيان بالشمس من غير الجهة التى يأتى الله بها ، وليس هذا انتقالا كما زعمه بعض أهل الجدل بل الزاما على طرد الدليل ان كان حقا ، ومن هذا شرك كثير ممن يشرك بالكواكب العلويات ويجعلها أرباباً مدبرة لأمر هذا العالم كما هو مذهب مشركى الصابئة وغيرهم ، ومن هذا شرك عباد الشمس وعباد النار وغيرهم ، ومن هؤلاء من يزعم أن معبوده هو الإله على الحقيقة ومنهم من يزعم أنه أكبر الآلهة ومنهم من يزعم انه اله من جملة الآلهة ، وانه اذا خصه بعبادته والتبتل اليه والانقطاع اليه اقبل عليه واعتنى به ، ومنهم من يزعم أن معبوده الادنى يقربه الى المعبود الذى فوقه والفوقانى يقربه الى من فوقه حتى تقربه تلك الالهة الى الله سبحانه ، فتارة تكثر الوسائط وتارة تقل .

ثم ذكر الشرك فى العبادة وأنواعه ، وهو الشرك الخفى ، وذكر أن منه ما ينقسم الى كبير وأكبر وليس منه شيء مغفور ، كالشرك بالله فى المحبة .

ثم ذكر الشرك بالله سبحانه فى الاقوال والافعال والارادات والنيات وان منه ما هو أكبر وأصغر ، تركنا ذكر ذلك طلبا للاختصار فمن أراد الوقوف عليه فهو فى الجواب الكافى والدواء الشافى ، وبما ذكرناه يتبين لكل منصف أن هذا العراقى مزجى البضاعة من العلوم النبوية والعقائد السلفية ، وانه لا دربة ولا روية .

وحيث انه ما عرف من الشرك الا ما ذكره من هذه الأنواع التى خبط فيها خبط عشواء صار ماعداه عنده ليس من الشرك ، وان ما عداها من الأمور الشركية ـ المخرجة من الملة التى هى أعظم وأدهى ـ لا تخرج من الملة لكونه قد تلبس بها وتضمخ بوضرها ، فلذلك كان يسمى أهلها هم المسلمون عنده .

فمن تلك الأمور التى ماذكرها ولا عرف أنها من الكفر المخرج من الملة الشرك الذى يتعلق بذات المعبود وأسمائه وصفاته وأفعاله كتعطيله سبحانه عن كماله المقدس بتعطيل أسمائه وصفاته وأفعاله وتعطيل معاملته عما يجب على العبد من حقيقة التوحيد ، ومنها الشرك بالله فى المحبة والتعظيم بأن يحب مخلوقا كما

يحب الله ، فهذا من الشرك الاكبر الذى لا يغفره الله وغير ذلك من الأمور الشركية التى تقدم ذكرها ، فاذا عرفت ذلك تبين لك ضلال هؤلاء الملاحدة الذين أشربت قلوبهم عداوة أهل التوحيد ولقبوهم بالالقاب الشنيعة ورموهم بالعظائم التى لا ترام ولا تطاق وحسبنا الله ونعم الوكيل .

فصل

(قال العراقى) والأمر الذى حمل الجاهلية على شركها هذا هو تسويل الشيطان لها أن عباده غير الله تعالى على ماهى عليه من غاية الضعف والعجز وتركها التقرب اليه بعبارة من هو أعلى منها عنده وأشرف وأقوى ، كنحو الملائكة انما هو سوء أدب، ولكن لما رأت غيبة من عبدته عنها دائما أو بعض الأوقات صنعت الأصنام امثلة لما غاب عنها من معبوداتها فعبدتها ، اه .

والجواب أن نقول : ليس الامر كما زعمت ، ولا ما اليه ذهبت ، وانما الامر الذى حمل الجاهلية على شركها هو الغلو فى الصالحين كما قال تعالى : (يا أهل الكتاب لاتغلوا فى دينكم) الاية ، والغلو هو الافراط فى التعظيم بالقول والاعتقاد ، أى لاترفعوا المخلوق عن منزلته التى أنزله الله فتنزلوه المنزلة التى لاتنبغى الا لله .

والخطاب وان كان لاهل الكتاب فانه عام يتناول جميع الامة تحذيراً لهم أن يفعلوا بنبيهم ﷺ فعل النصارى فى عيسى واليهود فى العزير كما قال تعالى : (ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الامد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون) وفى الصحيح عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى : (وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن وداً ولاسواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا) صارت الاوثان التى فى قوم نوح فى العرب بعد . أما ود فكانت لكلب بدومة الجندل وأما سواع فكانت لهذيل ، وأما يغوث فكانت لمراد ، ثم لبنى غطيف بالجرف عند سبا ، وأما يعوق فكانت لهمدان ، وأما نسر فكانت لحمير لآل ذى الكلاع . (هذه) أسماء رجال صالحين فى قوم نوح ، فلما هلكوا أوحى الشيطان

الى قومهم أن انصبوا الى مجالسهم التى كانوا يجلسون اليها أنصابا وسموها بأسمائهم ففعلوا ولم تعبد حتى اذا هلك أولئك ونسى العلم عبدت .

قال ابن جرير رحمه الله حدثنا ابن حميد قال حدثنا مهران عن سفيان عن موسى بن محمد بن قيس أن يغوث ويعوق ونسرا كانوا قوما صالحين من بنى آدم وكان لهم أتباع يقتدون بهم فلما ماتوا قال أصحابهم : لو صورنا صورهم كان أشوق لنا الى العبادة فصوروهم فلما ماتوا وجاء آخرون دب اليهم ابليس فقال انما كانوا يعبدونهم وبهم يسقون المطر فعبدوهم ، انتهى .

فالشيطان هو الذى زين لهم عبادة الأصنام وأمرهم بها فصار هو معبودهم فى الحقيقة كما قال تعالى (ألم أعهد اليكم يابنى آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين ﴿ وأن اعبدونى هذا صراط مستقيم ﴿ ولقد أضل منكم جبلا كثيراً أفلم تكونوا تعقلون) وهذا يفيد الحذر من الغلو ووسائل الشرك وان كان القصد بها حسنا فان الشيطان أدخل أولئك فى الشرك من باب الغلو فى الصالحين والافراط فى محبتهم كما قد وقع مثل ذلك فى هذه الأمة أظهر لهم الغلو والبدع فى قالب تعظيم الصالحين ومحبتهم ليوقعهم فيما هو أعظم من ذلك من عبادتهم لهم من دون الله ، وفى رواية أنهم قالوا ما عظم أولونا هؤلاء إلا وهم يرجون شفاعتهم عند الله أى يرجون شفاعة أولئك الصالحين الذين صوروا تلك الأصنام على صورهم وسموها بأسمائهم ومن هنا يعلم أن اتخاذ الشفعاء ورجاء شفاعتهم بطلبها منهم شرك بالله قال ابن القيم رحمه الله وما زال الشيطان يوحى الى عباد القبور ويلقى أن البناء والعكوف عليها من محبة أهل القبور من الأنبياء والصالحين وأن الدعاء عندها مستجلب ثم ينقلهم من هذه المرتبة الى الدعاء بها والاقسام على الله بها فان شأن الله أعظم من أن يقسم عليه أو يسأل بأحد من خلقه.

فاذا تقرر ذلك عندهم نقلهم منه إلى دعائه وعبادته وسؤاله الشفاعة من دون الله واتخاذ قبره وثناً تعلق عليه القناديل والستور ويطاف به ويستلم ويقبل ويحج اليه ويذبح عنده ، فاذا تقرر هذا عندهم نقلهم منه الى دعاء الناس الى عبادته واتخاذه عيداً ومنسكا ورأوا أن ذلك أنفع لهم فى دنياهم وأخراهم وكل هذا

مما قد علم بالاضطرار من دين الاسلام أنه مضاد لما بعث الله به رسوله ﷺ من تجريد التوحيد وأن لا يعبد إلا الله .

فاذا تقرر ذلك عندهم نقلهم منه الى أن من نهى عن ذلك فقد تنقص أهل الرتب العالية وحطهم عن منزلتهم ، وزعم أنه لا حرمة لهم ولا قدر ، وغضب المشركون واشمأزت قلوبهم كما قال تعالى (واذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة ، وإذا ذكر الذين من دونه اذا هم يستبشرون) وسرى ذلك فى نفوس كثير من الجهال والطغام وكثير ممن ينتسب الى العلم والدين حتى عادوا أهل التوحيد ورموهم بالعظائم ونفروا الناس عنهم ووالوا أهل الشرك وعظموهم وزعموا أنهم أولياء الله وأنصار دينه ورسوله ، ويأبى الله ذلك (وما كانوا أولياءه ان أولياؤه إلا المتقون) ، انتهى كلام ابن القيم رحمه الله تعالى .

فاذا عرفت ما تقدم من أن سبب كفر بنى آدم وتركهم دينهم هو الغلو فى الصالحين لا كما يزعمه هذا الضال تبين لك أن حال مشركى الجاهلية منطبق على حال هؤلاء المشركين فى هذه الأزمان والواقع شاهد بذلك كما ذكره ابن القيم رحمه الله تعالى .

ثم قال العراقى : اذا تحققت هذا اتضح لك أن حال مشركى الجاهلية لا ينطبق بوجه من الوجوه على المسلمين المتوسلين إلى الله بالانبياء الصالحين .

فأقول قد تقدم جواب هذا .

(وقوله) فأولئك اتخذوا الاصنام آلهة والإله معناه المستحق للعبادة فهم اعتقدوا استحقاق الاصنام للعبادة ، واعتقدوا أولا أنها تضر وتنفع فعبدوها .

فأقول : أن أولئك اتخذوا الاصنام والملائكة والانبياء والاولياء والصالحين آلهة يعبدونها من دون الله ، والإله معناه الذى تألهه القلوب بالمحبة والخضوع والخوف والرجاء ، وتوابع ذلك من الرغبة والرهبة والتوكل والاستغاثة والدعاء والذبح والنذر والسجود وجميع أنواع العبادة الباطنة والظاهرة ، فهو إله بمعنى مألوه أى معبود ، وأجمع أهل اللغة أن هذا معنى الاله

قال الجوهرى أله بالفتح الاهة أى عبد عبادة ، قال : ومنه قولنا الله وأصله الاه على فعال بمعنى مفعول لأنه مألوه بمعنى معبود كقولنا امام فعال بمعنى مفعول لأنه مؤتم به . قال : والتأليه التعبيد ، والتأله التنسك والتعبد . قال روبة :

سبحن واسترجعن من تأله ، انتهى . وقال فى القاموس : أله ، إلهة ، وألوهة عبد عبادة ومنه لفظ الجلالة واختلف فيه على عشرين قولا يعنى فى لفظ الجلالة . قال : وأصله إله بمعنى مألوه ، وكل ما اتخذ معبوداً إله عند متخذه . قال : والتأله التنسك والتعبد ، انتهى . وجميع العلماء من المفسرين وشراح الحديث والفقه وغيرهم يفسرون الاله بأنه المعبود ، فاذا كان هذا هو معنى الاله فى اللغة والشرع فهو المستحق للعبادة المتقدم ذكرها دون من سواه ، فمن صرف منها شيئاً لغير الله فقد أشرك ذلك الغير فى عبادة الله . وأما كون المشركين اعتقدوا أن آلهتهم تنفع وتضر فغير مسلم ، فانهم قد اعترفوا أن الله هو النافع الضار ، وأنه المستحق للعبادة ، ولكنهم ما أرادوا ممن عبدوه الا الجاه والشفاعة وليقربوهم الى الله زلفى كما هو قول المشركين فى هذه الازمان سواء بسواء . وقد قال ﷺ « لتركبن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو كان فيهم من أتى أمه علانية لكان فى هذه الامة من يفعله ، وفى لفظ « حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه ، قالوا يارسول الله : اليهود والنصارى ؟ قال « فمن »

(وقوله) فاعتقادهم هذا وعبادتهم اياها أوقعتهم فى الشرك ، فلما أقيمت عليهم الحجة بأنها لا تملك نفعاً ولا ضراً (قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى) .

فأقول : لما أقام الله عليهم الحجة باقرارهم أن الله هو المحي المميت المدبر لجميع الامور ، وأن الله هو النافع الضار ، وأن آلهتهم لا تملك لهم نفعاً ولا ضراً ، ولا حياة ، ولا نشوراً واعترفوا بذلك ، قال الله تعالى (أفلا تتقون) أى تتقون الشرك فى العبادة ، فان الفاعل لهذه الاشياء هو الذى يستحق العبادة دون من سواه ، فقول الكفار (ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى) كقول مشركى هذه الازمان لسنا نعبد الا الله ولكن ما قصدنا بزيارة قبورهم

إلا التوسل بهم إلى الله تعالى والتبرك بهم لكونهم أحباء الله المقربين الذين اصطفاهم واجتباهم .

وقوله : فكيف يجوز للوهابية أن تجعل المؤمنين الموحدين مثل أولئك المشركين .

فأقول : ما جعلت الوهابية المؤمنين الموحدين مثل المشركين ، وإنما جعلت من فعل فعل المشركين مشركا لكونه حذا حذو أولئك فى صرف خالص حق الله تعالى ، ويزعم أنه ما أراد إلا الجاه والشفاعة منهم لأنهم مقربون عند الله .

(وقوله) اذ لا شك أن المشركين انما كفروا بسبب عبادتهم تماثيل الانبياء والملائكة والأولياء التى صوروها على صورهم . وسجدوا لها وذبحوا ، وسبب اعتقادهم فى الملائكة والأنبياء والاولياء أنهم آلهة مع الله يضرون وينفعون بذواتهم .

فأقول : وهؤلاء المشركون فى هذه الازمان انما كفروا بسبب غلوهم فى الانبياء والاولياء والصالحين . والعكوف على قبورهم . واستغاثتهم بهم ، والالتجاء اليهم ، ودعائهم ، والذبح لهم . والنذر لهم ، الى غير ذلك من أنواع العبادة التى كانوا يفعلونها فى هذه الازمان عند ضرائح الاولياء والصالحين ، فان من صرف من هذه العبادة شيئا لغير الله كان مشركا ، وان اعتقد أن من يدعوه ويستغيث به ، ويرجوه ، ويذبح له ، ويلجأ اليه ، ويعلق آماله به ، لا يضر ولا ينفع وأنه ليس إلها ، ولا يستحق العبادة .

وقوله : ولذلك احتج الله تعالى على إبطال قولهم وضرب الامثال للرد على معتقدهم فى كثير من الآيات بأن الاله المستحق للعبادة يجب أن يكون قادراً على كشف الضر وايصال النفع لمن عبده ، وبأن ما عبدوه من جملة المحدثات المنافية للربوبية .

(فأقول وهذا هو الحق) ولكنه مع كونه منافياً للربوبية فهو مناف للألوهية فكيف اذا عرفت أن هذا مناف للربوبية لأى شىء صرفك عن كونه منافيا لتوحيد الالهية لأن توحيد الربوبية هو الاقرار والاعتراف بأن الله هو الخالق

الرازق ، المحيي المميت ، المدبر لجميع الأمور ، وأنه النافع الضار ، وأنه رب كل شيء ومليكه ، وأنه المتفرد بالايجاد والاعدام الى غير ذلك من أفعال الرب . وأما توحيد الإلهية فهو أن يوحد العبد ربه بأفعاله الصادرة منه كالدعاء ، والخوف والرجاء ، والحب والتعظيم ، والاستغاثة والاستعاذة والاستعانة ، والتوكل والذبح ، والنذر والرغبة ، والرهبة والخضوع ، والخشوع والالتجاء ، وغير ذلك من أنواع العبادة التى صرفها المشركون الأولون والآخرون لغير الله .

(وأما قوله) : وأما المستغيث والمتوسل فهو براء من هذه العبادة وهذا الاعتقاد .

فأقول : المستغيث والمتوسل على لغة هؤلاء المشركين ليس هو بريئاً من هذه العبادة وهذا الاعتقاد لأن الاستغاثة هى طلب الغوث وهو ازالة الشدة كالاستنصار طلب النصر ، والاستعانة طلب العون ، قاله شيخ الاسلام ابن تيمية ومن المعلوم بالضرورة أن الله تعالى هو الذى يزيل الشدات ، ويغيث اللهفات ويفرج الكربات ، فمن زعم أن الاستغاثة ليست من العبادات فهو مكابر للحسيات ، مباهت فى الضروريات . وفى الدعاء المشهور عن النبى ﷺ أنه قال فى دعائه « اللهم أنت المستعان ، وبك المستغاث ، واليك المشتكى » الحديث . ودعاء المسلمين ياغياث المستغيثين ، وقد قال تعالى (إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم) فعدم ادخالها فى جملة العبادة هو التحكم والمكابرة من غير دليل عقلى ، ولا نص شرعى .

وقوله : اذ الآيات التى استدلت بها الوهابية انما نزلت جميعاً فى الكفار الذين عبدوا غير الله ، وان قصدوا بعبادتهم ذلك الغير التقرب اليه تعالى ، وفى الذين اعتقدوا أن مع الله الهاً آخر ، وأن له ولداً وزوجة ، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً .

(فأقول) قد تقدم الجواب عن هذا وان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب .

(وقوله) وليس فى الآيات النازلة فى الكفار دلالة على كون الاستغاثة بنبى أو ولىّ مع الإيمان بالله تعالى هى عبادة لغير الله .

(فأقول) بل فيها الدلالة الواضحة على أن من صرف لغير الله شيئاً من العبادة التى لا يستحقها إلا الله فهو مشرك ، فان صرفها لغير الله مناف للايمان بالله تعالى .

فصل

ثم قال العراقى : قالت الوهابية ان الاستغاثة من نوع الدعاء ، وقد ورد فى الحديث أن الدعاء هو العبادة ، فالذى يستغيث بنبي أو ولى فهو انما يعبده بتلك الاستغاثة ، وحيث ان العبادة لا تصلح الا لله وحده ، وان عبادة غيره شرك كان المستغيث به مشركا .

ثم قال : فالجواب على هذا أن ضمير الفصل انما يفيد قصر المسند على المسند اليه وكذا تعريف الخبر كما ذكره صاحب المفتاح وعليه الجمهور ، فقولنا الله هو الرزاق مثلا معناه لا رازق سواه وعلى هذا فقوله عليه الصلاة والسلام « الدعاء هو العبادة » دال على أن العبادة مقصورة على الدعاء فيكون المراد من الحديث أن العبادة ليست غير الدعاء ويؤيده قوله تعالى (قل مايعبؤ بكم ربى لولا دعاؤكم فقد كذبتم) أى مايصنع بكم لولا عبادتكم فان شرف الانسان بعبادته ، وكرامته بمعرفته وطاعته والا فلا فضل له على البهائم ، والحج والصلاة والزكاة والصيام والشهادة كلها دعاء وكذلك التلاوة والأذكار والطاعة فانحصرت العبادة فى الدعاء اذا تقرر هـذا فلا حجة فى الحديث اذ على تقدير كون الاستغاثة من نوع الدعاء كما قالته الوهابية لا يلزم أن تكون عبادة لما أن الدعاء قد لا يكون عبادة كما هو ظاهر . الى آخر كلامه .

والجواب أن نقول : الاستغاثة هى طلب الغوث وهو ازالة الشدة كالاستنصار طلب النصر والاستعانة طلب العون كما تقدم ذكره عن شيخ الاسلام رحمه الله وقال غيره : الفرق بين الاستغاثة والدعاء أن الاستغاثة لا تكون إلا من المكروب والدعاء أعم من الاستغاثة لأنه يكون من المكروب وغير المكروب

فعطف الدعاء على الاستغاثة من عطف العام على الخاص فبينهما عموم وخصوص مطلق يجتمعان فى مادة وينفرد الدعاء عنها فى مادة فكل استغاثة دعاء وليس كل دعاء استغاثة فاذا تبين لك أن بينهما عموما وخصوصاً مطلقاً وأن كل استغاثة دعاء وقد علمت أن الدعاء هو العبادة بنص رسول الله ﷺ فاعلم أن الدعاء نوعان دعاء عبادة ودعاء مسئلة ، ويراد به فى القرآن هذا تارة وهذا تارة ، ويراد به مجموعهما فدعاء المسئلة هو طلب ما ينفع الداعى من جلب نفع أو كشف ضر ولهذا أنكر الله على من يدعو أحداً من دونه ممن لا يملك ضراً ولا نفعاً ، كقوله تعالى (قل أتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضراً ولا نفعاً والله هو السميع العليم) وقوله (قل أندعو من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا ونرد على أعقابنا بعد اذ هدانا الله) الآيات . وقال (ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فان فعلت فانك اذاً من الظالمين) . قال شيخ الإسلام رحمه الله : فكل دعاء عبادة مستلزم لدعاء المسئلة وكل دعاء مسألة متضمن لدعاء العبادة . قال الله تعالى (ادعوا ربكم تضرعاً وخفية انه لا يحب المعتدين) وقال تعالى (قل أرأيتكم ان أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون ان كنتم صادقين ؟ ۞ بل اياه تدعون فيكشف ما تدعون اليه ان شاء الله وتنسون ماتشركون) وقال تعالى (وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً) وقال تعالى (له دعوة الحق) الآية . وأمثال هذا فى القرآن فى دعاء المسألة أكثر من أن يحصر ، وهو يتضمن دعاء العبادة لأن السائل أخلص سؤاله لله وذلك من أفضل العبادات ، وكذلك الذاكر لله والتالى لكتابه ونحوه طالب من الله فى المعنى فيكون داعياً عابداً . فتبين بهذا من قول شيخ الإسلام أن دعاء العبادة مستلزم لدعاء المسألة كما أن دعاء المسألة متضمن لدعاء العبادة .

وقد قال تعالى عن خليله (وأعتزلكم وما تدعون من دون الله وأدعو ربى عسى أن لا أكون بدعاء ربى شقيا ۞ فلما اعتزلهم ومايعبدون من دون الله) الآية فصار الدعاء من أنواع العبادة ، فان قوله (وادعو ربى عسى أن لا أكون بدعاء ربى شقيا) كقول زكريا (رب انى وهن العظم منى واشتعل الرأس شيباً

ولم أكن بدعائك رب شقياً) وقد أمر الله تعالى به فى مواضع من كتابه كقوله (ادعوا ربكم تضرعاوخفية) الى قوله (وادعوه خوفا وطمعا ان رحمة الله قريب من المحسنين) وهذا هو دعاء المسألة المتضمن للعبادة فان الداعى يرغب الى المدعو ويخضع له ويتذلل ، وضابط هذا أن كل أمر شرعه الله لعباده وأمرهم به ففعله لله عبادة فاذا صرف من تلك العبادة شيئا لغير الله فهو مشرك مصادم لما بعث الله به رسوله من قوله (قل الله أعبد مخلصاً له دينى)

فاذا ثبت أن الاستغاثة من أنواع الدعاء وأن كل استغاثة دعاء وليس كل دعاء استغاثة وتقرر أن الدعاء نوعان دعاء مسألة ودعاء عبادة وأن كل دعاء عبادة مستلزم لدعاء المسألة ، وكل دعاء مسألة متضمن لدعاء العبادة ، تبين لك أن الاستغاثة من أنواع العبادة ، وكيف لا تكون من أنواع العبادة وقد قال تعالى (إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم) وقوله ﷺ فى الدعاء المشهور « اللهم أنت المستعان وبك المستغاث واليك المشتكى » الحديث وقول المسلمين ياغياث المستغيثين فان لم يكن هذا من العبادة فلا ندرى ما العبادة ، ولا ما دعاء المسألة المتضمن لدعاء العبادة ، وقد قال شيخ الاسلام رحمه الله : العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة فاذا تمهد هذا واتضح فقول هذا الملحد أو ضمير الفصل انما يفيد قصر المسند على المسند عليه وكذا تعريف الخبر كما ذكره صاحب المفتاح وعليه الجمهور فقولنا : الله هو الرازق مثلا معناه لا رازق الخ سواه ، فيقال لهذا الملحد نعم إذا كان الحصر أو القصر حقيقياً فانه من المعلوم إذا قلنا الله هو الرزاق فمعناه حقيقة لا رازق سواه ، وعلى هذا فقوله عليه السلام « الدعاء هو العبادة » دال على أن العبادة مقصورة على الدعاء فيكون المراد من الحديث أن العبادة ليست غير الدعاء الخ .

(فنقول) ليس الأمر كما توهمت وانما الحصر والقصر فى هذا الحديث الدعائى كما يستفاد من ضمير الفصل المقحم بين المبتدإ والخبر والحصر وان كان ادعائيا فهو يدل على أن الدعاء هو معظم العبادة ومخها وخالصها وأجلها وأشرفها ومثل هذا الحديث الحديث الذى رواه أبو داود فى سننه والامام احمد فى المسند من

حديث أبي بكرة أن رسول الله ﷺ قال « ينزل ناس من أمتي بغائط يسمونه البصرة عند نهر يقال له دجلة يكون عليه جسر يكثر أهلها وتكون من أمصار المهاجرين » ــ وفي رواية المسلمين ــ فاذا كان في آخر الزمان جاء بنو قنطوراء عراض الوجوه صغار الأعين حتى ينزلوا على شط النهر فيفترق أهلها ثلاث فرق فرقة يأخذون أذناب البقر والبرية وهلكوا ، وفرقة يأخذون لأنفسهم وكفروا ، وفرقة يجعلون ذراريهم خلف ظهورهم يقاتلونهم وأولئك هم الشهداء » فأخبر في هذا الحديث أن أولئك هم الشهداء وأنهم مخصوصون بالشهادة دون سائر الشهداء كما يستفاد من الجملة الاسمية المعرفة الطرفين ومن ضمير الفصل المقحم بين المبتدإ والخبر ، والحصر وإن كان ادعائياً فهو يدل على شرف الصنف وفضيلته ، انتهى .

وكذلك قوله تعالى في المنافقين (هم العدو فاحذرهم) فهذا يدل على شدة عداوتهم من بين سائر الكفار لا على أنه لا عدو سواهم وكذلك قوله (أولئك هم الكاذبون ـ أولئك هم الظالمون) وهذا بين بحمد الله لاخفاء به ، مع أنه ورد في حديث آخر « الدعاء مخ العبادة » من حديث أنس ، مع أن الحصر أو القصر في قوله ﷺ « الدعاء هو العبادة » كما قال بعض شراح الحديث أن حصر أحد الجزئين في الآخر يفيدان الدعاء لبها وخالصها وركنها الاعظم وبحديث أنس « الدعاء مخ العبادة » يظهر معنى القصر في حديث النعمان المتقدم فاندفع الاشكال عما ذكره العراقي .

(وأما قوله) اذا تقرر هذا فلا حجة في الحديث إذ على تقدير كون الاستغاثة من نوع الدعاء كما قالته الوهابية لا يلزم أن تكون عبادة لما أن الدعاء قد لا يكون عبادة كما هو الظاهر .

(فالجواب) أنا قد بينا فيما تقدم ما يبطل دعواه الكاذبة الخاطئة وبينا أن العبادة ليست منحصرة في الدعاء بل الدعاء من أنواع العبادة والعبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الاقوال والافعال الظاهرة والباطنة فالدعاء هو مخ العبادة بنص رسول الله ﷺ والاستغاثة من أخص أنواع العبادة وأشرفها

إذ هى دعاء مسألة متضمنة لدعاء العبادة فاذا تبين لك ما ذكرناه فالدعاء الذى جاء فى قوله (يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده) وفى قوله (لاتجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً) وما أشبه ذلك مما هو بمعنى النداء المجرد عن معنى العبادة إذ الدعاء كونه فى الأصل بمعنى النداء والطلب مما لا مرية فيه كما قال الراغب الدعاء والنداء واحد لكن قد يتجرد النداء عن الاسم والدعاء لا يكاد يتجرد فلا يدخل فى دعاء العبادة المستلزم لدعاء المسألة كما انه يدخل فى دعاء المسألة المتضمنة للعبادة وهذا لا يروج إلا على طغام العراق الذين هم كالأنباط أو البربر أو الزنج الذين لا معرفة لهم بلغات العرب فالوهابية لا يقولون أن كل مطلق دعاء يكون عبادة فادخال هذا فى معنى العبادة ترويج وتلبيس وسفسطة وهذه البضاعة لا تروج علينا ولا تنفق لدينا .

(وأما قوله) ولا يقال للطلب من غيره تعالى دعاء فهذا ممنوع فان من طلب من غير الله جلب منفعة أو دفع مضرة يكون داعياً طالباً سائلا منه ، وقد ذكر الرازى تحت قوله تعالى (ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فان فعلت فانك إذاً من الظالمين) ما يقتضى أن المراد بالدعاء فى هذه الآية طلب المنفعة والمضرة ونصه هكذا يعنى لو اشتغلت بطلب المنفعة والمضرة من غير الله فأنت من الظالمين إلا آخر كلامه ، وقال الشيخ صنع الله الحلبى واما الاستغاثة بالقوة والتأثير أو فى الأمور المعنوية من الشدائد كالمرض وخوف الغرق والضيق والفقر وطلب الرزق ونحوه فمن خصائص الله ألا يطلب فيها غيره ، انتهى . فالطلب سؤال والسؤال فى معنى الدعاء .

فصل

قال العراقى التوسل وأدلة جوازه قبل الخوض فى المطلب نبين لك أن المراد من الاستغاثة بالأنبياء والصالحين والتوسل بهم هو أنهم أسباب ووسائل لنيل المقصود وأن الله تعالى هو الفاعل كرامة لهم لا أنهم هم الفاعلون ، كما هو

المعتقد الحق فى سائر الأفعال فان السكين لا يقطع بنفسه بل القاطع هو الله تعالى والسكين سبب عادى خلق الله تعالى القطع عنده .

فالجواب : أن نقول وقبل الكلام على ما يبطل دعواه لابد من مقدمة ينبنى عليها الجواب ، فنقول قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى ، لفظ التوسل بالشخص والتوجه به والسؤال به فيه اجمال واشتراك غلط بسببه من لم يفهم مقصود الصحابة يراد به التسبب به لكونه داعياً وشافعاً مثلا أو لكون الداعى محبا له مطيعاً لأمره مقتدياً به فيكون التسبب إما بمحبة السائل له واتباعه له ، واما بدعاء الوسيلة وشفاعته ويراد به الاقسام به والتوسل بذاته فلا يكون التوسل لا بشىء منه ولا بشىء من السائل بل بذاته أو بمجرد الاقسام به على الله فهذا الثانى هو الذى كرهوه ونهوا عنه وكذلك لفظ السؤال بالشىء قد يراد به المعنى الأول وهو التسبب به لكونه سبباً فى حصول المطلوب وقد يراد به الاقسام وإذا تبين لك هذا فاعلم أن معنى التوسل فى لغة الصحابة رضى الله عنهم وعرفهم أن يطلب منه الدعاء والشفاعة فيكون التوسل والتوجه به فى الحقيقة بدعائه وشفاعته ، وهذا لا محذور فيه ، بل هذا هو المشروع كما فى حديث الثلاثة الذين أووا إلى الغار وهو حديث مشهور فى الصحيحين فانهم توسلوا إلى الله بصالح الأعمال لأن الاعمال الصالحة هى أعظم ما يتوسل به العبد إلى الله تعالى ويتوجه به اليه ويسأله به لأنه وعد أن يستجيب للذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله (وقال ربكم ادعونى استجب لكم) وهؤلاء دعوه بعبادته ، وفعل ما أمر به من العمل الصالح وسؤاله والتضرع اليه ، فمن جعل دعاء الأولياء والصالحين سبباً لنيل المقصود كأن يطلب من الولى أو الصالح أن يدعو الله له لكونه مطيعاً لله محباً له ، فيشفع له عند الله بدعاء الله له فهذا حق فقد كان الصحابة رضى الله عنهم يتوسلون الى الله سبحانه برسوله فيدعو الله لهم كما قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : « اللهم انا كنا اذا أجدبنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا ، وانا نتوسل اليك بعم نبينا فاسقنا» فاستسقوا به كما كانوا يستسقون

بالنبى ﷺ فى حياته وهو أنهم يتوسلون بدعائه وشفاعته لهم فيدعو لهم ويدعون معه كالامام والمأمومين من غير ان يكونوا يقسمون على الله بمخلوق ، كما ليس لهم أن يقسم بعضهم على بعض بمخلوق فاذا تحققت ذلك فاعلم أن التوسل فى عرف أهل هذا الزمان واصطلاحهم هو دعاء الانبياء والأولياء والصالحين وصرف خالص حق الله تعالى لهم بجميع أنواع العبادات من الدعاء والخوف والرجاء والذبح والنذر والالتجاء اليهم والاستغاثة بهم والاستعانة والاستشفاع بهم وطلب الحوائج من الولائج فى المهمات والملمات لكشف الكربات واغاثة اللهفات ، ومعافاة أولى العاهات والبليات ، إلى غير ذلك من الامور التى صرفها المشركون لغير فاطر الارض والسموات ، فمن صرف من هذه الانواع شيئاً لغير الله كان مشركا وسيأتى الكلام على مسألة الاستغاثة .

(وأما قوله) إنهم أسباب ووسائل لنيل المقصود وإن الله تعالى هو الفاعل إلى آخره .

فأقول : وهذا هو قول الجاهلية الكفار فانهم ماعبدوا الانبياء ، والاولياء والصالحين إلا لكونهم أسبابا ووسائل لنيل المقصود وإلا فهم يعتقدون أن الله هو النافع الضار وأنه المتفرد بالايجاد والاعدام ، وأن الله هو الخالق للاشياء ، وأن الله هو رب كل شيء ومليكه ، ولا يعتقدون أن آلهتهم التى يدعونها من دون الله من الانبياء ، والاولياء ، والصالحين والملائكة شاركوا الله فى خلق السموات والارض ، أو استقلوا بشيء من التدبير والتأثير والايجاد ، فمن أثبت الوسائط بين الله وبين خلقه كالوسائط التى تكون بين الملوك والرعية فهو مشرك بل هذا دين عباد الاوثان . وقال شيخ الاسلام : الخامس أن يقال نحن لا ننازع فى اثبات ما أثبته الله من الاسباب والحكم ، لكن من هو الذى جعل الاستغاثة بالمخلوق ، ودعاءه سبباً فى الأمور التى لا يقدر عليها إلا الله ، ومن الذى قال انك اذا استغثت بميت أو غائب من البشر كان أو غيره كان ذلك سبباً فى حصول الرزق والنصر والهدى وغير ذلك مما لا يقدر عليه إلا الله ، ومن الذى شرع ذلك وأمر به ، ومن الذى فعل ذلك من الانبياء والصحابة والتابعين لهم

باحسان . فان هذا المقام يحتاج إلى مقدمتين : أحدهما أن هذه الاسباب مشروعة لا يحرم فعلها ، فانه ليس كل ما كان سبباً كونياً يجوز تعاطيه ، فان المسافر قد يكون سفره سبباً لأخذ ماله وكلاهما محرم ، والدخول فى دين النصارى قد يكون سبباً لمال يعطونه وهو محرم ، وشهادة الزور قد تكون سبباً لنيل المال يؤخذ من المشهود له وهو حرام ، وكثير من الفواحش والظلم قد يكون سبباً لنيل مطلب وهو محرم ، والسحر والكهانة سبب فى بعض المطالب وهو محرم ، وكذلك الشرك كدعوة الكواكب والشياطين ، بل وعبادة البشر قد يكون سبباً لبعض المطالب وهو محرم ، فان الله تعالى حرم من الاسباب ما كان مفسدته راجحة على مصلحته كالخمر ، وإن كان يحصل به بعض الاغراض أحياناً ، وهذا المقام مما يظهر به ضلال هؤلاء المشركين خلقاً وأمراً فانهم مطالبون بالأدلة الشرعية ، انتهى .

(وأما قوله) وإن الله تعالى هو الفاعل كرامة لهم لا أنهم هم الفاعلون .

فالجواب أن نقول : أولا ليس دعاء الانبياء والاولياء والصالحين والاستغاثة بهم فى نيل المقصود سبباً شرعياً ، فان هذه من الاسباب المحرمة كما تقدم فى كلام الشيخ .

وثانياً لو سلمنا أن الكرامات سبب فمن أين يؤخذ انها سبب يقتضى دعاء من قامت به أوفعلت له ، ومن أى وجه دلت الكرامة على هذا ، وأفضل الناس الرسل والملائكة من أفضل خلق الله ، ولهم من المعجزات والكرامات والمقامات ما ليس لغيرهم ، فقد جاء عيسى بن مريم بما هو من أفضل المعجزات والكرامات يخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيها فيكون طيراً باذن الله ويبرىء الاكمه والابرص ويحيي الموتى باذن الله وينبئهم من الغيب ما يأكلون وما يدخرون وقد أنكر الله تعالى على من قصده ودعاه فى حاجاته وملماته وأخبر أن فاعل ذلك كافر به ، ضال بعبادة غيره ، قال تعالى (ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون) والارباب هم المعبودون المدعون . وقال تعالى فيمن عبدوا المسيح (قل أتعبدون من دون الله

مالا يملك ضراً ولا نفعاً والله هو السميع العليم) فأخبر تعالى عن المسيح أنه لا يملك لمن دعاه نفعاً ولا ضراً ، وان قل كما يفيده التنكير ، وابطل عبادته وأنكرها أشد الانكار ومعجزاته أوضح من الشمس فى وسط النهار .

(وأما قوله) فان السكين لايقطع بنفسه ، بل القاطع هو الله تعالى والسكين سبب عادى خلق الله تعالى القطع عنده .

فالجواب أن يقال : هذا القول من أقوال أهل البدع والاهواء وليس هو من كلام أهل السنة والجماعة . قال شيخ الاسلام : وهؤلاء هم الاقترانية الذين يقولون إن الله يخلق عند السبب لا بالسبب ومن نحا نحوهم من المتصوفة القائلين باسقاط الأسباب الظاهرة ، وذلك لأن عندهم ليس فى الوجود شيء يكون سبباً لشيء أصلا ، ولا شيء جعل لشيء ، ولا يكون شيء لشيء فالشبع عندهم لا يكون بالأكل ولا العلم الحاصل فى القلب بالدليل ، ولا ما يحصل للمتوكل من الرزق والنصر له سبب أصلا لا فى نفسه ولا فى نفس الأمر ولا الطاعات عندهم سبب للثواب ولا المعاصى سبب للعقاب . فليس للنجاة وسيلة ، بل محض الارادة الواحدة يصدر عنها كل حادث ، ويصدر مع الآخر مقترناً به اقتراناً عادياً لأن أحدهما متعلق بالآخر أو سبب له ، أو حكمة له ، ولكن لأجل ماجرت به العادة من اقتران أحدهما بالآخر يجعل أحدهما امارة وعلماً ، ودليلا على الآخر بمعنى اذا وجد أحد المقترنين عادة كان الآخر موجوداً معه وليس العلم الحاصل فى القلب حاصلا بهذا الدليل ، بل هذا أيضاً من جملة الاقترانات العادية .

وقال أيضاً بعد كلام سبق : وكذلك أيضاً لزمت من لايثبت فى المخلوقات أسباباً وقوى وطبائع ، ويقولون ان الله يفعل عندها لا بها ، فيلزم أن لا يكون فرق بين القادر والعاجز ، وإن أثبت قدرة وقال انها مقترنة بالكسب ، قيل له تثبت فرقا معقولا بين ما تثبته من الكسب وتنفيه من الفعل ، ولا بين القادر والعاجز إذ كان بجرد الاقتران لا اختصاص له بالقدرة ، فان فعل العبد يقارن حياته وعلمه وارادته وغير ذلك من صفاته . فان لم يكن للقدرة تأثير إلا مجرد

الاقتران فلا فرق بين القدرة وغيرها ، وكذلك قول من قال : القدرة مؤثرة فى صفة الفعل لا فى أصله كما يقوله القاضى أبو بكر ومن وافقه ، فانه أثبت تأثيراً بدون خلق الرب فلزم أن يكون بعض الحوادث لم يخلقه الله تعالى ، وان جعل ذلك معلقاً بخلق الرب فلا فرق بين الأصل والصفة ، وأما أئمة السنة وجمهورهم فيقولون ما دل عليه الشرع والعقل ، قال تعالى : (فسقناه إلى بلد ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات) وقال (وما أنزل الله من السماء ماء فأحيا به الارض بعد موتها) وقال تعالى : (يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام) وقال تعالى (يضل به كثيراً ويهدى به كثيراً) ومثل هذا كثير فى الكتاب والسنة يخبر الله تعالى انه يحدث الحوادث بالأسباب ، انتهى المقصود منه .

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى : وقالت طائفة أخرى أكيس من هؤلاء ، بل الدعاء علامة مجردة نصبها الله تعالى سبحانه امارة على قضاء الحاجة فتى وقف العبد للدعاء كان ذلك علامة له وامارة على أن حاجته قد قضيت ، وهكذا كما اذا رأيت غيما أسود بارقاً فى زمن الشتاء ، فان ذلك دليل وعلامة على أنه يمطر قالوا : وهكذا حكم الطاعات مع الثواب والكفر والمعاصى مع العقاب هى امارات محضة لوقوع الثواب لا أنها أسباب له ، وهكذا عندهم الكسر مع الانكسار ، والحرق مع الاحراق والازهاق مع القتل ليس شىء من ذلك سبباً البتة ، ولا ارتباط بينه وبين ما يترتب عليه الا بمجرد الاقتران العادى لا التأثير السببى ، وخالفوا بذلك الحس والعقل والشرع والفطرة وسائر طوائف العقلاء ، بل أضحكوا عليهم العقلاء . والصواب أن هنا قسما ثالثاً غير ما ذكره السائل وهو أن هذا المقدور قدر بأسباب ومن أسبابه الدعاء فلم يقدر مجرداً عن سببه ، ولكن قدر بسببه فتى أتى العبد بالسبب وقع المقدور ، ومتى ما لم يأت بالسبب انتفى المقدور ، وهذا كما قدر الشبع والرى بالأكل والشرب ، وقدر الولد بالوطء وقدر حصول الزرع بالبذر وقدر خروج نفس الحيوان بذبحه الى أن قال: وقد رتب الله سبحانه حصول الخيرات فى الدنيا والآخرة وحصول الشر فى الدنيا والآخرة فى كتابه على الاعمال ترتيب الجزاء على الشرط

والمعلول على العلة ، والمسبب على السبب ، وهذا فى القرآن يزيد على ألف موضع الى آخر ما قال رحمه الله تعالى والمقصود بيان ضلال هـذا الملحد فى قوله : والسكين سبب عادى خلق الله القطع عنده فاجتمع فى هذا الملحد أنواع من الشر والضلال فأضاف الى كونه مشركا فى عبادة الله غيره مذهب الجهميـة النافين لعلو الله على خلقـه ، ونفى صفات كماله ، ونعوت جلاله ، ومذهب المعتزلة والرافضة مع مذهب الجهمية فى جحد رؤية الله تعـالى فى الآخرة . ومذهب *الاقترانية فى اسقاط الأسباب القائلين أن الله يخلق عنـد السبب لا بالسبب* ، ومراد هذا الملحد أن دعاء الأنبياء والأولياء والصالحين سبب عادى لنيل المقصود ، وقد تقدم من الأدلة ما يبين أن تعاطى هذا السبب محرم ، وأن دعاء الاموات والغائبين من الاولياء والصالحين والاستغاثة بهم فيما لا يقـدر عليه إلا الله شرك وأنه ليس بسبب شرعى .

فصل

وأما قوله قال السبكى والقسطلانى فى المواهب اللدنية والسمهودى فى تاريخ المدينة وابن حجر فى الجوهر المنظم أن الاستغاثة به عليه الصلاة والسلام وبغيره من الانبياء والصالحين انمـا هى بمعنى التوسل بجاههم والمستغيث يطلب من المستغاث به أن يجعل له الغوث ممن هو أعلى منه فالمستغاث به فى الحقيقة هو الله تعالى والنبى ﷺ واسـطة بين المستغيث وبين المستغاث به الحقيق فالغوث منه تعالى انما يكون خلقاً وإيجاداً والغوث من النبى تسببا وكسبا .

(فالجواب) أن يقال : وهكذا كان المشركون السابقون الذين بعث الله الرسول اليهم فانهم كانوا يعلمون أن الله تعالى هو الخالق الموجد وأما الاصنام فيقولون أنها أسباب ووسائل عادية فمن أجل ذلك كانوا يدعونهم ويستغيثون بهم ويعبدونهم وهذا هو دأب عبـــدة الصالحين والقبور فى هذا الزمان يدعونهم ويستغيثون بهم وينحرون لهم وينـذرون لهم والدعاء والاستغاثة

والنحر والنذر كلها من أقسام العبادة واذا جعلتم لفظ الدعاء والاستغاثة والنحر والنذر التى هى من أقسام العبادة على معناها المجازى فكذلك فليحمل لفظ العبادة الواقع فى كلام المشركين الاولين الذى حكاه الله تعالى عنهم حيث قال سبحانه وتعالى (ما نعبدهم إلا ليقربونا الى الله زلفى) فما وجه الفرق . قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله فى رده على ابن البكرى فى مسألة الاستغاثة وانه حرف الكلم عن مواضعه وتمسك بمتشابهه وترك المحكم كما يفعله النصارى وكما فعل هذا الضال يعنى ابن البكرى أخذ لفظ الاستغاثة وهى تنقسم الى الاستغاثة بالحى والميت والاستغاثة بالحى تكون فيما يقدر عليه فجعل حكم ذلك كله واحداً ولم يكفه حتى جعل السؤال بالشخص من مسمى الاستغاثة ولم يكفه ذلك حتى جعل الطالب منه انما طلب من الله لا منه فالمستغيث به مستغيث بالله ثم جعل الاستغاثة بكل ميت من نبى وصالح جائزة فدخل عليه الخطأ من وجوه منها انه جعل المتوسل به بعد موته فى دعاء الله مستغاثاً به وهذا لا يعرف فى لغة أحد من الامم لا حقيقة ولا مجازا مع دعواه الاجماع على ذلك فان المستغاث هو المسئول المطلوب منه لا المسئول به ، الثانى ظنه أن توسل الصحابة فى حياته فان توسلا بذاته ﷺ لا بدعائه وشفاعته فيكون التوسل به بعد موته كذلك وهذا غلط . الثالث انه أدرج السؤال أيضا فى الاستغاثة به وهذا صحيح جائز فى حياته وهو قد سوى فى ذلك بين محياه ومماته وهذا أصاب فى لفظ الاستغاثة لكن أخطأ فى التسوية بين المحيا والممات وهذا ما علمته ينقل عن أحد من العلماء لكنه موجود فى بعض كلام الناس مثل الشيخ يحيى الصرصرى ففى شعره قطعة منه والشيخ محمد بن النعمان له كتاب المستغيثين بالنبى ﷺ فى اليقظة والمنام وهؤلاء ليسوا من العلماء العالمين بمدارك الأحكام الذين يؤخذ بقولهم فى شرائع الاسلام ومعرفة الحلال والحرام وليس لهم دليل شرعى ولا نقل عن عالم مرضى بل عادة جروا عليها وكان بعض الشيوخ الذين أعرفهم ولهم فضل وعلم وزهد اذا نزل به أمر خطا الى الشيخ عبد القادر خطوات معدودة واستغاث به وهذا يفعله كثير من الناس ولهذا لما نبه من نبه

من فضلائهم تنبهوا وعلموا أن ما كانوا عليه ليس من دين الاسلام بل مشابهة لعباد الاصنام ، انتهى.

وقال فى الرسالة السنية فاذا كان على عهد رسول الله ﷺ ممن انتسب الى الاسلام من مرق منه مع عبادته العظيمة فليعلم ان المنتسب الى الاسلام والسنة فى هذه الازمان قد يمرق أيضاً من الاسلام لأسباب منها الغلو فى بعض المشايخ بل الغلو فى على بن أبى طالب بل الغلو فى المسيح عليه السلام فكل من غلا فى نبى أو رجل صالح وجعل فيه نوعا من الالهية مثل أن يقول يا سيدى فلان انصرنى أو أغثنى أو ارزقنى أو أنا فى حسبك ونحو هذه الاقوال فكل هذا شرك وضلال يستتاب صاحبه فان تاب وإلا قتل فان الله سبحانه وتعالى انما أرسل الرسل وأنزل الكتب ليعبدوه وحده لا شريك له ولا يدعى معه إله والذين يدعون مع الله الهة أخرى مثل المسيح والملائكة والاصنام لم يكونوا يعتقدون أنها تخلق الخلائق أو تنزل المطر أو تنبت النبات وانما كانوا يعبدونهم أو يعبدون قبورهم أو يعبدون صورهم يقولون انما نعبدهم ليقربونا الى الله زلفى ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ، فبعث الله سبحانه رسله تنهى عن أن يدعى أحد من دونه لادعاء عبادة ولا دعاء استغاثة ، انتهى .

وقال أيضاً من جعل بينه وبين الله وسائط يتوكل عليهم ويدعوهم ويسألهم كفر اجماعا نقله عنه صاحب الفروع ، وصاحب الانصاف ، وصاحب الاقناع وغيرهم والمقصود أن شيخ الاسلام رحمه الله جعل الاستغاثة بغير الله من الشرك الاكبر المخرج من الملة .

وقال الحافظ محمد بن عبد الهادى رحمه الله فى رده على السبكى فى قوله إن المبالغة فى تعظيمه ـ أى الرسول ﷺ ـ واجبة ان أريد به المبالغة بحسب مايراه كل أحد تعظيما حتى الحج إلى قبره ، والسجود له ، والطواف به ، واعتقاد أنه يعلم الغيب ، وانه يعطى ويمنع ويملك لمن استغاث به من دون الله الضر والنفع وأنه يقضى حوائج السائلين ، ويفرج كربات المكروبين ، وأنه يشفع فيمن

يشاء ويدخل الجنة من يشاء ، فدعوى المبالغة فى هذا التعظيم مبالغة فى الشرك وانسلاخ من جملة الدين ، اهـ .

(وأما قوله) فالغوث منه تعالى انما يكون خلقاً وايجاداً والغوث من النبي ﷺ انما يكون تسببا وكسبا .

فأقول : هكذا كانت مشركوا الجاهلية حذو النعل بالنعل كانوا يدعون الصالحين ، والانبياء ، والمرسلين طالبين منهم الشفاعة عند رب العالمين كما قال تعالى (ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) ، وقال تعالى : (ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) على أن القول بأن اسناد الغوث الى الله تعالى اسناد حقيق باعتبار الخلق والايجاد وإلى الانبياء والصالحين اسناد مجازى باعتبار التسبب والكسب بديهى البطلان ، بيانه من وجوه (الأول) أنه لوكان مناط الاسناد الحقيق اعتبار الخلق ، والايجاد كما توهمه صاحب الرسالة لزم أن يكون اسناد أفعال العباد كلها إلى الله تعالى حقيقيا ، فان اعتقاد أهل السنة والجماعة أن الخالق لأفعال العباد هو الله تعالى ، وهذا يقتضى أن يتصف الله تعالى حقيقة بالايمان ، والصلاة ، والزكاة ، والصوم ، والحج ، والجهاد ، وصلة الرحم ، وغير ذلك من الأعمال الحسنة ، وكذلك يتصف حقيقة بالأعمال السيئة من الكفر ، والشرك ، والفسق ، والفجور ، والزنا ، والكذب والسرقة ، والعقوق ، وقتل النفس ، وأكل الربا وغيرها ، فانه تعالى هو الخالق لجميع الأفعال حسنها وسيئها ، والتزام هذا فعل من لا عقل له ولا دين ، فانه يستلزم لتصاف الله تعالى بالنقائص وصفات الحدوث ، واجتماع الأوصاف المتضادة ، بل المتناقضة .

وقد قال شيخ الإسلام تقى الدين ابن تيمية قدس الله روحه ونور ضريحه ، فى كتاب الاستغاثة فى الرد على ابن البكرى لما استدل بقوله تعالى : (وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى) على مالفقه من أضاليله وما موه به من أباطيله وأساجيله .

قال فى أثناء جوابه على ما شبه به ابن البكرى وعما يبين ذلك « ان أفعال العباد لا يجوز أن تنفى عنهم باتفاق المسلمين من قال ان الله خالقها ومن قال انه لم يخلقها لا يجوز أن يقال هذا ما أكل ولا شرب ولا قعد ولا ركب ولا طاف ولا ركع ولا سجد ولا صام ولا سعى ولكن الله هو الذى أكل وشرب وقعد وركب ، وطاف ، وركع ، وسجد ، وصام ، وسعى . وسواء كانت أفعالا محمودة أو مذمومة ، وسواء كانت سببا لخرق العادة أم لا ، فلا يقال : ان موسى ما ضرب بعصاه البحر ولا الحجر ولكن الله ضرب ، ولا يقال ان نوحا ما ركب فى السفينة ولكن الله ركب ، ولا يقال ان المسيح ما ارتفع بل الله ارتفع ، ولا يقال ان محمداً ﷺ ما ركب البراق بل الله ركب ، وأمثال هذا . والفعل المختص بالمخلوق لا يضاف الى الله إلا على بيان أن الله خلقه وجعل صاحبه فاعلا كقول الخليل عليه السلام (رب اجعلنى مقيم الصلاة ومن ذريتى) وكما قال (ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك) وقال تعالى (وجعلناهم أئمة يدعون الى النار) ولا يقال ان الله يقيم الصلاة ويدعو الى النار ، ولا أنه قد أسلم ، وقال تعالى (ان الانسان خلق هلوعا اذا مسه الشر جزوعا ، واذا مسه الخير منوعا) ولا يوصف الله بالهلع والجزع . وجماع الأمر أن الله لا يوصف بمخلوقاته ، وهذه هى أدلة السلف وأهل السنة على أن كلام الله ليس مخلوقاً ، قالوا : لأنه سبحانه لا يوصف بما خلقه فى غيره ، فاذا خلق فى غيره حركة ، أو طعما ، أو ريحا ، أو لونا كالسواد والبياض لم يوصف بأنه هو المتحرك بها ، ولا بأنه متروح أو أبيض ، أو أسود . واذا خلق فى غيره سمعا ، أو بصرا ، أو حياة ، أو قدرة لم يوصف بذلك . واذا خلق فى غيره كلاما لم يوصف بأنه هو المتكلم به ، يعبرون عن ذلك بأن الصفة اذا قامت بمحل عاد حكمها على ذلك المحل ولم يعد على غيره ، واشتق لذلك المحل منه اسم ولم يشتق لغيره ، فاذا خلق فى محل حركة ، أو علما أو قدرة كان ذلك المحل هو المتحرك العالم القادر لا الخالق لتلك الصفة فيه ، انتهى .

(والثانى) أنه لو كان مناط الاسناد المجازى اعتبار التسبب والكسب

كما زعم هذا الزاعم لزمه أن لا يكون الانسان حقيقة مؤمنا ، ولا كافراً ولا برا ، ولا فاجراً ، ولا كاذبا فيبطل الجزاء والحساب ، وتلغى الشرائع والجنة والنار ، وهذا لا يقول به أحد من المسلمين . (والثالث) أن دعوى كون الانبياء والصالحين سببا للغوث وكسبا له ، محتاج الى اقامة الدليل ، ودونه لا تسمع ، وبالجملة فهذه شبهة داحضة ، ووسوسة زاهقة ، تنادى بأعلى نداء على صاحبها بالجهل والسفه .

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى وقد علم بصريح المعقول أن الله تعالى اذا خلق صفة فى محل كانت صفة لذلك المحل . فاذا خلق حركة فى محل كان ذلك المحل هو المتحرك بها ، واذا خلق لونا أو ريحا فى جسم كان هو المتلون المتروح بذلك ، واذا خلق علما ، أو قدرة ، أو حياة فى محل كان ذلك المحل هو العالم القادر الحى ، فكذلك اذا خلق ارادة وحبا وبغضا فى محل كان هو المريد المحب المبغض ، فاذا خلق فعل العبد كان العبد هو الفاعل ، فاذا خلق له كذبا وظلما وكفراً ، كان هو الكاذب ، الظالم ، الكافر ، وإن خلق له صلاة ، وصوما وحجا ، كان العبد هو المصلى ، الصائم ، الحاج ، والله تعالى لا يوصف بشىء من مخلوقه ، بل صفاته قائمة بذاته وهذا مطرد على أصول السلف وجمهور المسلمين من أهل السنة وغيرهم الى آخر كلامه رحمه الله .

فعلى زعم هذا الملحد أن الله تعالى هو الكاذب ، الظالم ، الكافر حقيقة لأن الله هو الخالق لذلك والموجد له حقيقة واسناده الى العبد مجاز ، سبحانك هذا بهتان عظيم .

وقال صنع الله الحلبى رحمه الله : والاستغاثة تجوز فى الاسباب الظاهرة العادية من الامور الحسية فى قتال ، أو ادراك عدو ، أو سبع ، ونحوه كقولهم: يا لزيد يا للمسلمين بحسب الافعال الظاهرة . وأما الاستغاثة بالقوة والتأثير ، أو فى الامور المعنوية من الشدائد كالمرض ، وخوف الغرق ، والضيق ، والفقر ، وطلب الرزق ونحوه ، فمن خصائص الله لا يطلب فيها غيره ـ الى أن قال : وأما كونهم مستدلين على أن ذلك منهم كرامات فحاشا لله أن تكون أولياء الله

بهذه المثابة فهذا ظن أهل الأوثان ، كذا أخبر الرحمن (هم شفعاؤنا عند الله مانعبدهم ـ إلا ليقربونا الى الله زلفى ـ أأتخذ من دونه آلهة إن يردن الرحمن بضر لاتغن عنى شفاعتهم شيئاً ولاينقذون) فان ذكر ما ليس من شأنه النفع ولا دفع الضر من نبي وولىّ وغيره على وجه الامداد منه اشراك مع الله اذ لا قادر على الدفع غيره ولا خير إلا خيره ، اه.

فصل

(قال العراق) وقد جوز أجلة العلماء الاستغاثة والتوسل بالنبي ﷺ ولا يعارض جوازها بخبر أبي بكر رضى الله عنه ، قوموا بنا نستغيث برسول الله ﷺ من هذا المنافق ، فقال النبي ﷺ « انه لا يستغاث بى انما يستغاث بالله » لأن من رواته ابن لهيعة والكلام فيه مشهور ولو فرضنا أن الحديث صحيح فهو من قبيل قوله تعالى (وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى) وقوله عليه الصلاة والسلام : « ما أنا حملتكم ولكن الله حملكم » فيكون معنى الحديث السابق انى وان يستغاث بى فالمستغاث به فى الحقيقة هو الله تعالى وبالجملة فاطلاق لفظ الاستغاثة على من يحصل منه غوث ولو تسببا وكسبا أمر نطقت به اللغة وجوزه الشرع فتعين تأويل الحديث المذكور ويؤيد ما بيناه فى تأويله حديث البخارى فى الشفاعة يوم القيامة « فبينما هم كذلك استغاثوا بآدم ثم بموسى ثم بمحمد ﷺ » .

والجواب أن نقول : قد تقدم فى كلام شيخ الاسلام ابن تيمية ما يبين كذبه على أجلة العلماء وأنه لم يجزه إلا أناس ليسوا من العلماء العالمين بمدارك الاحكام الذين يؤخذ بقولهم فى شرائع الإسلام ، ومعرفة الحلال والحرام وليس لهم دليل شرعى ولا نقل عن عالم مرضى بل عادة جروا عليها وقال أيضا فى أثناء كلام له ، ونحن نعلم بالضرورة أن الرسول ﷺ لم يشرع لأمته أن يدعوا أحداً من الاموات لا الانبياء ولا الصالحين ، ولا غيرهم لا بلفظ الاستغاثة ولا بغيرها ، كما أنه لم يشرع لأمته السجود لميت ولا الى ميت ونحو ذلك ،

بل نعلم أنه نهى عن كل هذه الامور ، وأن ذلك من الشرك الذى حرمه الله ورسوله ، ولكن لغلبة الجهل وقلة العلم بآثار الرسالة فى كثير من المتأخرين لم يمكن تكفيرهم بذلك حتى يبين لهم ما جاء به الرسول ، ولهذا ما بينت هذه المسألة قط لمن يعرف أصل الاسلام ألا تفطن لها ، وقال هذا أصل دين الاسلام ، انتهى .

(وأما قوله) ولا يعارض جوازها بخبر أبى بكر رضى الله عنه قوموا بنا نستغيث برسول الله ﷺ الى آخره .

(فالجواب) أن يقال : الكلام على هذا من وجوه (أحدها) أن ابن لهيعة خرج له البخارى ومسلم فجاوز القنطرة ولا يقدح فيما رواه ابن لهيعة إلا جاهل بالصناعة والاصطلاح ، وهو قاضى مصر وعالمها ومسندها ، روى عن عطاء ابن أبى رباح والأعرج وعكرمة وخلف ، وعنه شعبة بن الحجاج أمير المؤمنين فى الحديث وعمرو بن الحارث والليث بن سعد وابن وهب ، وخلق . ومن طعن فى ابن لهيعة بقول بعض الناس لزمه الطعن فى كثير من الا كابر المحدثين كسعيد المقبرى وسعيد ابن أياس الجريرى وسعيد بن عروبة واسماعيل بن أبان وأزهر بن سعد السمان البصرى وأحمد بن صالح المصرى وأبى ليمان ، وأمثالهم ممن خرج لهم البخارى وغيره من الأئمة ، وعلى كل حال ، فهو خير من هؤلاء الذين أجازوا الاستغاثة برسول الله ﷺ ، وأعلم بكتاب الله وسنة رسوله منهم وبأقوال أهل العلم (الثانى) أنهم معارضون بأجل منهم وأفضل وأعلم بحدود ما أنزل الله على رسوله كما سنذكره عنهم ان شاء الله تعالى .

(الثالث) أن ابن لهيعة كان اماماً محدثاً من أفاضل العلماء ولم ينقمه أحد بالغلو فى الانبياء ولا الصالحين ، ولا بشىء من العقائد المبتدعة المحدثة فى الاسلام ولكنه كان يدلس عن الضعفاء ، ثم احترقت كتبه ، وليس هذا الحديث من الاحاديث التى دلس فيها ، فمن هنا قال فيه من قال ، قال عمرو بن على : من كتب عنه قبل احتراق كتبه مثل ابن المبارك وابن المقرى أصح ممن كتب عنه بعد احتراقها وقال ابن وهب كان ابن لهيعة صادقا ، وقال ابن وهب أيضاً ، حدثنى

لصادق البار ـ والله ـ عبد الله بن لهيعة ، وقال أبو داود سمعت أحمد يقول : ما كان محدث مصر الا ابن لهيعة ، وقال أحمد بن صالح الحافظ : كان ابن لهيعة صحيح الكتاب طالباً للعلم (الوجه الرابع) أنه قد ثبت أن الاستغاثة من أقسام العبادة فصرفها لغير الله شرك ، فان لم يكن حديث أبي بكر شاهداً لهذا لم يكن مخالفاً له .

(الوجه الخامس) أن النبي ﷺ نفى الاستغاثة عن نفسه حماية للتوحيد وصيانة لجانبه وأدباً مع ربه لا لأن الاغاثة لاتنسب الى المغيث بالسبب العادى حقيقة وأنهـــا تنسب مجازاً كما توهمه الغبي الاكبر ، ولم يرد تعليم أمته أن الاستغاثة إنمـا تنسب للمخلوق مجازاً فان ما جاء به الكتاب والسنة دال على اضافة الفعل لمكتسبه ومن قام به ولذلك رتب الثواب والعقاب والجزاء والحساب ولم يقل قول هذا العراقى الا القدرية المجبرة ، ومن نحا نحوهم من الجهمية ورد عليهم أهل السنة بما يطول ذكره نقلا وعقلا ، وقالوا لو كان مجازاً لصح نفي أفعال المكلفين عنهم وكانوا بمنزلة الجمادات التى يحركها الغير ويفعل بها من غير قصد لها ولا اختيار ويكون التعذيب والعقاب يرجع الى مجرد المشيئة والارادة من غير فعل للعبد يستحق به الثواب والعقاب .

ويقال أيضا الافعال العادية القائمة بفاعلها تنسب اليه ، وتضاف اليه حقيقة من اضافة الفعل الى فاعله ، فيقال أكل وشرب وقام وقعد وحكى ودعا واستغاث حقيقة لا مجازاً باجماع العقلاء ولم يخالف فى اضافة الافعال الى فاعلها حقيقة إلا من هو من أجهل الناس وأضلهم عن سواء السبيل .

(وأما قوله) ولو فرضنا أن الحديث صحيح فهو من قبيل قوله تعالى (وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى) .

(فأقول) ليس هذا من هذا الباب وهذا من نوادر جهل هؤلاء الضلال فان لفظ الاستغاثة طلب الغوث ممن هو بيده لمن أصابته شدة ووقع فى كرب ، وإلا الانجح والاولى لمن أصابه ذلك أن يستغيث بمن يجيب المضطر اذا دعاه

الموصوف بأنه غياث المستغيثين ، مجيب المضطرين ، أرحم الراحمين ، فلفظ الاستغاثة يستعمل فى مخ العبادة ، ومالا يقدر عليه إلا الله عالم الغيب والشهادة فكره ﷺ اطلاقه عليه فيما يستطيعه ، ويقدر عليه حماية لجناب التوحيد ، وسداً لذريعة الشرك وان كان يجوز اطلاقه فيما يقدر عليه المخلوق لحماية جناب التوحيد من مقاصد الرسول ومن قواعد هذه الشريعة المطهرة ، فأين هذا من قوله (وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى) فان الرمى المنفى عن الرسول إيصال التراب إلى أعينهم كلهم ، لان هذا لا يقدر عليه إلى الله ، وأما نفس الرمى المثبت من رميه ﷺ فقد قبض رسول الله ﷺ قبضة من التراب والحصا ورمى به قبلهم حقيقة لا مجازاً . وهذا من خصائص الرسول ﷺ لا يكون لأحد بعده ، ولو كان هذا لأحد بعده لم يكن فيه معجزة لرسول الله ﷺ ، فانه لم يبق أحد منهم إلا وقع فى عينيه من ذلك التراب شىء وهم نحو أربعة آلاف رجل فهزمهم الله بسبب هذه الرمية حقيقة لا عندها ولا معها بل بها .

وكذلك قوله عليه الصلاة والسلام « ما أنا حملتكم ولكن الله حملكم » على حقيقته فان الله هو الذى حملهم بان يسر لرسول الله ﷺ بعد ذلك حمولة لحملهم بأمر الله لأنه ﷺ عبد مأمور منهى لا يفعل شيئاً إلا بأمر الله له ، فنسبة الحمل إلى الله حقيقة قضاء وقدراً وإلى من حملهم باذن الله السببى الشرعى حقيقة لا مجازاً ، وحمله اياهم أمر مقدور عليه غير ممتنع فكان من المعلوم أن رسول الله ﷺ كان متصرفا بأمر الله منفذاً له فالله سبحانه امره بحملهم فنفذ أوامره فكان الله هو الذى حملهم وهذا معنى قوله « انى لا اعطى احدا شيئا ولا امنعه » ولهذا قال : « وانما انا قاسم » فالله سبحانه هو المعطى على لسانه وهو يقسم ما قسمه بامره .

(قوله) فيكون معنى الحديث السابق انى وأن يستغاث بى فالمستغاث به فى الحقيقة هو الله تعالى .

(أقول) هذا التأويل مخالف للفظ الحديث ولمعناه وقد تقدم الكلام عليه فلا معنى لصرفه عما يقتضيه الى مالا يدل عليه لغة ولا شرعا .

(وقوله) وبالجملة فاطلاق لفظ الاستغاثة على من يحصل منه غوث ولو تسبيا وكسبا ، أمر نطقت به اللغة وجوزه الشرع .

(فأقول) هذا كذب على اللغة وعلى الشرع ، أما اللغة فان الافعال العادية القائمة بفاعلها تنسب اليه وتضاف إليه حقيقة من اضافة الفعل إلى فاعله فيقال أكل وشرب وقام وقعد وحكى ودعا واستغاث حقيقة لا مجازاً باجماع العقلاء ، وأما شرعا فان الله قد رتب حصول الخيرات فى الدنيا والآخرة ، وحصول الشرور فى الدنيا والآخرة ، والعقاب والثواب فى كتابه على الاعمال ترتيب الجزاء على الشرط ، والمعلول على العلة والمسبب على السبب وهذا فى القرآن يزيد على ألف موضع كما تقدم بيانه فى كلام ابن القيم رحمه الله تعالى .

(وأما قوله) ويؤيد ما بيناه فى تأويل حديث البخارى فى الشفاعة يوم القيامة فبينما هم كذلك استغاثوا بآدم ثم بموسى ثم بمحمد ﷺ »

فالجواب أن نقول هذا ليس مما نحن فيه فان الاستغاثة بالمخلوق على نوعين (أحدهما) أن يستغيث بالمخلوق الحى فيما يقدر على الغوث فيه مثل أن يستغيث المخلوق بالمخلوق ليغيثه على حمل حجر ويحول بينه وبين عدوه الكافر ويدفع عنه سبعاً صائلا أو لصاً أو نحو ذلك ، ومن ذلك طلب الدعاء لله من بعض عباده لبعض وهذا لا خلاف فى جوازه ، والاستغاثة الواردة فى حديث المحشر من هذا القبيل فان الانبياء الذين يستغيث العباد بهم يوم القيامة يكونون أحياء وهذه الاستغاثة إنما تكون بأن يأتى أهل المحشر هؤلاء الانبياء يطلبون منهم أن يشفعوا لهم الى الله سبحانه ويدعوا لهم بفصل الحساب والاراحة من ذلك الموقف ولا ريب أن الانبياء قادرون على الدعاء فهذه الاستغاثة تكون بالمخلوق الحى فيما يقدر على الغوث فيه والثانى أن يستغاث بمخلوق ميت أو حى فيما لا يقدر عليه إلا الله تعالى وهذا هو الذى يقول فيه أهل التحقيق انه غير جائز .

(فان قلت) هؤلاء المستغيثون بالأموات أو الغائبين أيضاً يطلبون منهم أن يشفعوا لهم الى الله تعالى ويدعوا لهم بقضاء حاجاتهم وهم قادرون على ذلك

فتكون استغاثتهم هذه من قبيل النوع الأول (قيل) هذا فيه خلل من وجوه (الأول) ان فيه ذهول عن قيد الحي والمراد بالحياة الدنيوية لا البرزخية (والثاني) أن ظاهر ألفاظهم مثل قولهم يارسول الله اشف مريضي واكشف عني وهب لي ولداً ورزقا واسعاً ونحو ذلك دال على أنهم لايطلبون منهم الشفاعة بل يطلبون شفاء المريض وكشف الكربة وإعطاء الولد والرزق وهم غير قادرين على تلك الأمور. (الثالث) أن هؤلاء المستغيثين بالأموات والغائبين يدعونهم ويستغيثون بهم من أماكن مختلفة ومواضع بعيدة معتقدين أن الاموات والغائبين يعلمون استغاثتهم ويسمعون دعاءهم من كل مكان وفي كل زمان ولاريب أن هذا إثبات لعلم الغيب لهم الذي هو من الصفات المختصة بالله تعالى فيكون شركا وبهذا وبما تقدم يندفع تأويل الحديث على ما تأوله عليه من المحال الباطل والله أعلم.

فصل

قال العراقي: لنا على جواز التوسل والاستغاثة دلائل منها قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة) قال ابن عباس إن الوسيلة كلما يتقرب به الى الله تعالى، والوهابية جعلت الوسيلة خاصة بالأفعال وهو تحكم. بل ظاهر الآية تخصيصها بالذوات فانه تعالى قال في هذه الآية (اتقوا الله) والتقوى عبارة عن فعل المأمور به وترك المنهي عنه فاذا فسرنا الوسيلة بالأعمال كان الأمر بابتغاء الوسيلة اليه تأكيداً للأمر بالتقوى بخلاف ما إذا أريد بها الذوات فان الأمر حينئذ يكون تأسيساً وهو خير من التأكيد.

والجواب أن نقول: قد استدل بهذه الآية طاغية العراقي داود بن جرجيس على نحو مما ذكره هذا إلا ان هذا أسقط من جواب داود نسبة الكلام الى البغوي وهذا لم يذكره عنه وأجابه على ذلك شيخنا الشيخ عبد اللطيف فقال: والجواب أن يقال: الله أكبر على هؤلاء الضلال الكاذبين على الله وعلى رسله المبدلين لدينه المحرفين للكلم عن مواضعه وهذا الكلام الذي ذكره العراقي جمع فيه من التحريف والالحاد والكذب والقول في كتاب الله برأيه ما سيمر بك بيانه مفصلا، وفي الحديث «من قال في القرآن برأيه - وفي رواية بما لايعلم -

فليتبوأ مقعده من النار ، وقد تكلم الحافظ بن كثير على قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسـيلة) بما يرد قول هذا العراقى ويبطله قال رحمه الله تعالى : أمر عباده المؤمنين بتقواه وهى اذا قورنت بالطاعة كان المراد بها الانكفاف عن المحارم وترك المنهى عنه وقد قال بعدها (وابتغوا اليه الوسيلة) قال سفيان الثورى عن طلحة عن عطاء عن ابن عباس أى القربة وكذا قال مجاهد وعطاء وأبو وائل والحسن وقتادة وعبد الله بن كثير والسدى وأبو زيد قال قتادة أى تقربوا اليه بطاعته والعمل بما يرضيه، وقرأ ابن زيد (أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة) وهذا الذى قاله هؤلاء الأئمة لا خلاف بين المفسرين فيه وانشد ابن جرير قول الشاعر :

اذا غفل الواشون عدنا لوصلنا وعاد التصافى بيننا والوسائل

والوسيلة هى ما يتوصل به الى تحصيل المقصود ، انتهى . وقال البغوى: أى اطلبوا اليه الوسيلة ، أى القربة ، فعليه من توسل الى فلان بكذا أى تقرب اليه وجمعها وسائل . وقال البيضاوى على قوله (وابتغوا اليه الوسيلة) أى ما يتوسلون به الى ثوابه والزلفى منه من فعل الطاعات وترك المعاصى من وسل الى كذا اذا تقرب اليه وقال فى الكلام على آية الاسراء (أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة) هؤلاء الآلهة يبتغون إلى الله القربة بالطاعة أيهم أقرب بدل من واو يبتغون أى يبتغى من هو أقرب منهم إلى الله الوسيلة فكيف بغير الأقرب وقال بن كثير وقوله (أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ايهم أقرب) روى البخارى من حديث سليمان بن مهران الاعمش عن ابراهيم عن ابى معمر عن عبد الله فى قوله تعالى (أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة) قال ناس من الجن كانوا يعبدون فأسلموا وذكر رواية عن بن مسعود كانوا يعبدون صنفاً من الملائكة يقال لهم الجن وذكر عن ابن عباس قال عيسى وأمه وعزير وعنه والشمس والقمر قال مجاهد عيسى وعزير والملائكة واختار ابن جرير قول ابن مسعود لقوله يبتغون وهذا لايعرب به عن الماضى فلا يدخل فيه عيسى والعزير وقال الوسيلة هى القربة كما قال تعالى ولهذا قال (أيهم أقرب) ، انتهى .

واختار شيخ الإسلام ان الآية تعم من ذكر وغيرهم ممن عبده المشركون من أولياء الله وعباده الصالحين فتبين بهـذا رد ما ذكره البغوى فان المفسرين ذكروا ابتغاء الوسيلة وهو طلب القربة فتقدم قول البيضاوى فى قوله أيهم أقرب أنه بدل من الواو فى يبتغون ، وقال أبو حفص العكبرى أيهم مبتدى ، وأقرب خبره وهو استفهام والجملة فى موضع نصب بيدعون وعلى كلا القولين لا يصح ما ذكره البغوى من توسل بعضهم ببعض وفى الجلالين أولئك الذين يدعونهم آلهة يبتغون يطلبون الى ربهم الوسيلة القربة بالطاعة أيهم بدل من واو يبتغون ، أى يبتغيها الذى هو أقرب اليه ، فكيف بغيره اذا عرف هذا تبين فساد قول البغوى فى آية الاسراء فان التوسل فى العرف الشرعى فعل ما يتوسل به الى الله من الإيمان به والعمل الصالح الذى شرعه ويرضاه كما فى حديث الثلاثة الذين آووا الى الغار فانطبقت عليهم الصخرة هذا هو التوسل المعروف كما عليه أهل الإسلام من المفسرين وغيرهم ، ومن قول قتادة ، أى تقربوا اليه بطاعته والعمل بما يرضيه ، وتقدم قول ابن كثير بعد حكاية هذا ، وهذا مما لاخلاف فيه بين المفسرين ، فذكر الاجماع على أن المراد القربة بالعمل الصالح وما يرضاه تعالى ثم لو سلم صحة ما ذكره البغوى ، فليس المراد أن بعضهم يدعو من هو أقرب منه ويسأله الشفاعة والتقرب ، بل التوسل يطلق عنده على سؤال الله بجاه المقربين وبحق الصالحين لا كما يظنه عباد القبور من أن التوسل هو دعاء الصالح نفسه وقصده بالمسألة والطلب من دون الله والتقرب اليه بالذبح والنذر وغيرهما من العبادات ، فان هذا عين الشرك الذى نزلت الآية بابطاله والرد على أهله ، فان الجاهلية من الأميين والكتابيين يدعون الملائكة وعيسى وأمه والعزير ويتوجهون اليهم فى حاجاتهم وملماتهم ويتقربون اليهم بصرف الأموال ذبحاً ونذراً ، فرد الله عليهم هذا الفعل من صنيعهم ، وأخبرهم أن هؤلاء المدعوين لا يملكون كشف الضر ولا تحويله من حال الى حال ، لأن من عبد الانبياء والصالحين يدعى أنه يكشف الضر بواسطتهم وعلى أيديهم ، كما يقوله عباد القبور . فأخبرهم تعالى أن هؤلاء المدعوين عبيده ،

كما أن الداعين عبيده وأنهم يرجون رحمته ويخافون عذابه والخائف الراجي لا يصلح أن يكون مدعواً ومعبوداً فانظر هذه الآية الكريمة وما دلت عليه وما سيقت له وانظر حقيقة دعوى العراقى وما يفعله الغلاة فى الأولياء والصالحين ومسألتهم وتعظيمهم بشيء من العبادات كالذبح والنذر لهم وعلى أبطال دعواه أيضاً فى التوسل الشركى بالصالحين ودعائهم ومسألتهم وبهذا تعرف انه مشاق لله ورسوله يستدل بالآية الكريمة على نقيض ما دلت عليه ويفهم منها عكس ما دعت اليه وهكذا حال القلوب المنكوسة تتصور الأشياء على خلاف ماهى عليه وأهل العلم كافة استدلوا بهذه الآية على ابطال التوسل الشركى الذى هو دعاء الصالحين ، والعراقى استدل بها على جوازه واستحبابه ، فبعداً للقوم الظالمين .

وأما قول العراقى فظاهر الآية عام فى الافعال والذوات هذا قول داود وقال صاحب هذه الرسالة والوهابية جعلت الوسيلة خاصة بالأفعال وهو تحكم بل ظاهر الآية تخصيصها بالذوات .

قال شيخنا فهذا يكذبه ويبطله مامر من اجماع المفسرين على أن الوسيلة هى التقرب الى الله بطاعته وبما يرضيه مما شرعه وأذن فيه والتوسل الذى يريده العراقى بذات الصالحين هو دعائهم ومسألتهم وتعظيمهم بالعبادة وتقدم كلام ابن القيم فى أنه يستحيل أن تأتى شريعة من الشرائع باباحة ذلك .

وقوله ومن ادعى التخصيص بأحدهما فقد تحكم فى هذا القول من سوء الأدب مع الشارع والجرأة على الله وعلى رسوله ما يعلمه أهل العلم بدينه الذين عقلوا عن مراده وعرفوا أنه أخص القرب التى يحبها ويرضاها ونهى عن مجاوزتها الى البدع والضلالات فالمخصص للقرب والوسائل هو الله ورسوله قال تعالى (أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله) ثم اقتحم العراقى وأتى بقوله يضحك منها صبيان المكاتب فقال على أن ظاهر سياق الآيات تخصيصه بالذوات فأتى على ما قاله المفسرون قاطبة فهدمه واجتث أصله ورده

من لا يؤمن بالكتاب ولا يخاف سوء الحساب واستدلاله على تلك الدعوى الضالة بأن التقوى فعل المأمور وترك المنهى عنه واذا فسر ابتغاء الوسيلة بالأعمال يكون تأكيداً فيكون مكرراً وإذا أريد التوسل بالذوات يكون تاسيساً وهو خير من التأكيد هذا كلامه بحروفه وكفى بهذا خزيا وفضيحة وتسجيلا على جهالة وانه ماعرف شرعا ولا لغة ولا دينا وهذا مردود بوجوه .

(الأول) ان ابن كثير قرر أن التقوى إذا قرنت بالطاعة أو الوسيلة كان المراد بها الانكفاف عن المحارم وترك المنهى كما فى هذه الآية والوسيلة هى التقرب الى الله بأنواع الطاعات وأصناف العبادات ومراده أنها إذا أطلقت ولم تقترن بغيرها دخل فيها فعل المأمور وترك المحظور وهكذا اسم العبادة والطاعة تعم عند الاطلاق وتخص مع الاقتران والتقييد . فالعراقى لم يعرف مسمى التقوى فى هذا المحل وخبط خبط عشواء .

(الوجه الثانى) أن الوسيلة مايقرب الى الله تعالى والتقوى تطلق على مايتقى به عذابه ويرجى به ثوابه فلو قيل بهذا الاطلاق هنا فالقرب الى الله وطلبه أخص مما قبله .

(الوجه الثالث) ان التأكيد يكون خيراً من التأسيس اذ اقتضاه الحال وقصد رفع المجاز وإبطال توهمه أو قصد بيان خصوصية الفرد المعطوف والاهتمام به كما فى قوله تعالى (الذين يمسكون بالكتاب وأقاموا الصلاة) .

(الوجه الرابع) أن التأسيس لايجرى هنا ولا يصح قصده .

فصل

قال العراقى : ومنها قوله تعالى (أولئك الذين يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب) قال ابن عباس هم عيسى وأمه وعزير والملائكة وتفسير الآية أن الكفار يعبدون الأنبياء والملائكة على أنهم أرباب فيقول الله لهم أولئك الذين تعبدونهم هم يتوسلون الى الله بمن هو أقرب فكيف تجعلونهم أرباباً وهم عبيده مفتقرون الى ربهم متوسلون اليه بمن هو أعلى مقاما منهم .

والجواب أن يقال : وهكذا قال داود بن جرجيس وقد أجابه الشيخ

فقال والجواب أولا لولا ما يقصده المؤمن من رد هذه الاقوال الضالة الكاذبة التى تتضمن الكذب على الله وتحريف كتابه ، وتغيير دينه ، والقول عليه بغير علم لما جازت حكاية هذا الافك ونقله ، والله سبحانه ذكر أقوال اعدائه وأعداء رسله فى معرض الرد لها ، وابطالها ، والتسجيل على ضلالة أهلها ، فاما مانقله عن البغوى فقد حرفه وكذب فيه ، وهذه عبارة البغوى نسوقها بحروفها ، قال فى قوله تعالى : (أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة) يعنى الذين يدعونهم المشركون آلهة ويعبدونهم . قال ابن عباس ومجاهد : هم عيسى وأمه وعزير والملائكة ، والشمس ، والقمر ، والنجوم يبتغون أى يطلبون الى ربهم الوسيلة أى القربة ، وقيل الوسيلة الدرجة العليا ، أى يتضرعون الى الله فى طلب الدرجة العليا ، وقيل الوسيلة كلما يتقرب به إلى الله عز وجل ، وقوله : (أيهم أقرب) معناه ينظرون أيهم أقرب إلى الله فيتوسلون به . وقال الزجاج (أيهم أقرب) يبتغى الوسيلة إلى الله ، ويتقرب اليه بالعمل الصالح هذه عبارة البغوى بحروفها .

وقد تصرف فيها هذا الضال لحذف منها قول ابن عباس والشمس والقمر والنجوم ، وحرف قوله يطلبون إلى ربهم الوسيلة أى القربة ، فقال العراقى كل ما يتقرب به الى الله ، وعبارة البغوى القربة وحذف قول البغوى ، وقيل الوسيلة الدرجة العليا أى يتضرعون الى الله فى طلب الدرجة العليا وزاد فى قوله ينظرون أيهم أقرب الى الله فقال العراقى وأعلى جاهاً وزاد ويتشفعون به الى ربهم هذا تحريفه لكلام البغوى .

قلت وأما صاحب الرسالة فانه ألطف فى التحريف وأجرأ على الله بالكذب من داود فان داود نسب الكلام الى البغوى وحرفه وتصرف فيه وزاد وهذا جزم ان تفسير الآية أن الكفار يعبدون الانبياء والملائكة على أنهم أربابهم كما ذكر داود وذكر هذا كما ذكر داود الى آخره والمقصود انهم يغترفون من عين واحد . قال الشيخ فى جوابه والرجل يشتهى يأخذ ما يهوى ويدع ما هو الأولى والأقوى فأول عبارة البغوى ترد قوله ينظرون أيهم أقرب الى الله

فيتوسلون به لأن الشمس والقمر والنجوم لا يتأتى منهم ذلك والملائكة وعزير وعيسى لم يرد نقل ولا حجة ولا برهان على ان بعضهم يسأل الله ببعض ويتوسل به ويقصده فى حاجاته وملماته فما قاله البغوى هنا غير مسلم وقد تقدم كلام المفسرين وانهم لم يرتضوا هذا ولم يقله أحد منهم وتقدم قول ابن كثير فى تفسير قتادة انه لا خلاف بين المفسرين فى ذلك وتقـــدم قول أبى حفص والبيضاوى والجلالين فعدل العراقى عن هذا كله وتمسك بالمتشابه كما قال ابن القيم : وأعرض النصارى عن الاصول المحكمة وتمسكوا بالمتشابه على أن عبارة البغوى ليس فيها شاهد ودليل لعباد القبور بل هى تدل على خلافه فان التوسل الذى يشير اليه وينصرف الاسم عليه عند الاطلاق هو التوسل الشرعى ومنه دعاء المؤمنين بعضهم لبعض كالأسباب العادية وقد يراد بالتوسل فى عرف بعض الناس سؤال الله تعالى بحق أوليائه وعلى كل فليس فيه دليل لدعاء الموتى والغائبين كما يفعله عباد القبور من الضالين والمشركين ويحتمل انه أراد بقوله انّ ينظرون أيهم أقرب فيتوسلون به معنى صحيحاً شرعياً وهو الاقتداء بهم وسلوك سبيلهم واقتفاء آثارهم ، قال تعالى : (أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده) وقد يتعين هذا الاحتمال لوجوب إحسان الظن بالعلماء.

وقول العراقى فى معنى الآية إن الكفار يعبدون الانبياء والملائكة على انهم أربابهم يريد به أن المشركين يعتقدون ان آلهتهم تخلق وترزق وتدبر وهذا قد رده القرآن وأبطله فى غير موضع كما تقدم تقريره والعراقى يلجأ الى هذا لئلا يدخل ما فعله عباد القبور فيما نهى عنه القرآن من اتخاذ الالهة من دون الله وعبادتها معه وهذا لازم لعباد القبور لا محيص عنه والحكم يدور مع علته والقرآن كفر المشركين وأنكر عليهم دعاء غير الله ومحبة سواه وتعظيم ما يدعى معه بالذبح والنذر وسائر العبادات قال تعالى : (ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله) ، وقال : (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا) ، وقال تعالى : (ومن يدع مع الله إلهاً آخر لا برهان له به) ، وقال تعالى : (ولا تدع من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك

فان فعلت فانك اذاً من الظالمين) وقال تعالى (وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا) والآيات فى المعنى كثيرة يبين تعالى انه كفرهم وأنكر عليهم وتوعدهم بالنار على عبادة غيره ودعاء سواه والعبادة فعل العبد الذى هو الحب مع الله والخضوع والتعظيم والدعاء رغباً ورهباً واطلاق الأرباب على الآلهة كقوله تعالى (أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار) وقوله (ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا) ونحو ذلك انما يراد به ما ذكرنا لأن المعبود يسمى رباً وهذا مما لاخلاف فيه بين المفسرين بل السيد يسمى ربا فتنبه لهذا فقد زل بهذه الشبهة كثير من المنتسبين الى العلم والدين ثم ذكر الشيخ كلاما طويلا عن شيخ الاسلام قال فى آخره ولهذا كان من أتباع هؤلاء من يسجد للشمس والقمر والكواكب ويدعوها ويصوم وينسك لها ويتقرب اليها ثم يقول ان هذا ليس بشرك وانما الشرك اذا اعتقدت أنها المدبرة لى فاذا جعلتها سبباً وواسطة لم أكن مشركا ومن المعلوم بالاضطرار من دين المسلمين ان هذا شرك ،انتهى. فتأمله فان فيه حكاية قول سلف هذا العراقى وفيه أن ما قاله العراقى شرك يعلم بالاضطرار من دين الاسلام والله المستعان .

وأما قول العراقى فيقول الله تعالى أولئك الذين تعبدونهم يتوسلون إلى بمن هو أقرب يعنى فهم محتاجون فقد كذب على الله ما عنى سبحانه وتعالى بهذا المعنى ولا أراده تبارك وتقدس عما يقول الظالمون علواً كبيراً ما أجر هذا المتكلم على الله وعلى كتابه وعلى دينه فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون وتقدم قول المفسرين .

وقول شيخ الاسلام ان هؤلاء المدعوين عبيده كما أن الداعين عبيده وانهم يرجون رحمته ويخافون عذابه نعوذ بالله من اقتحام هذه المهالك والتوثب على تلك الدركات التى تهوى بصاحبها إلى أسفل سافلين قال تعالى (قل انما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغى بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله مالا تعلمون) وقال تعالى (ان الذين يلحدون فى آياتنا لا يخفون علينا أفمن يلقى فى النار خير أم يأتى آمنا يوم القيامة عملوا ما شئتم انه بما تعملون بصير) .

فصل

قال العراقى: ومنها قوله تعالى (ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما) فقد علق تعالى قبول استغفارهم باستغفاره عليه الصلاة والسلام، وفى ذلك صريح دلالة على جواز التوسل به ﷺ وقبول المتوسل به كما يفهم من قوله تعالى (لوجدوا الله توابا رحيما) وأنت تعلم أن استغفاره ﷺ لأمته لا يتقيد بحال حياته كما دلت عليه الاحاديث الواردة مما سننقله لا يقال إن الآية وردت فى قوم معينين فلا عموم لها لأنا نقول إنها وإن وردت فى قوم معينين فى حياته ﷺ تعم بعموم العلة كل من وجد فيه ذلك الوصف سواء كان فى حال حياته أو بعد موته ﷺ.

والجواب أن نقول: قد سبق هؤلاء إلى الاستدلال بهذه الآية السبكى بنحو ما قال هذا وأجابه الحافظ أبو عبد الله محمد بن احمد بن عبد الهادى رحمه الله تعالى فقال: أما استدلاله بقوله تعالى (ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك) الآية، فالكلام فيها فى مقامين: أحدهما عدم دلالتها على مطلوبه، الثانية بيان دلالتها على نقيضه، وانما يتبين الامران بفهم الآية وما أريد بها وسيقت له وما فهمه منها أعلم الامة بالقرآن ومعانيه وهم سلف الامة ومن سلك سبيلهم ولم يفهم منها أحد من السلف والخلف إلا المجيء اليه فى حياته ليستغفر لهم، وقد ذم تعالى من تخلف عن هذا المجيء إذا ظلم نفسه وأخبر أنه من المنافقين فقال تعالى (واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤوسهم ورأيتهم يصدون وهم مستكبرون) وكذلك هذه الآية انما هى فى المنافق الذى رضى بحكم كعب بن الاشرف وغيره من الطواغيت دون حكم رسول الله ﷺ فظلم نفسه بهذا أعظم ظلم حيث لم يجيء إلى رسول الله ﷺ يستغفر له فان المجيء اليه يستغفر له توبة وتنصل من الذنوب وهذه كانت عادة الصحابة معه ﷺ أن أحدهم متى صدر منه ما يقتضى التوبة جاء اليه فقال: يارسول الى فعلت كذا وكذا فاستغفر لى، وهذا كان فرقا بينهم وبين المنافقين، فلما استأثر

الله عز وجل بنبيه ﷺ ونقله من بين أظهرهم الى دار كرامته لم يكن أحد منهم قط يأتى الى قبره ويقول : يا رسول الله فعلت كذا وكذا فاستغفر لى ، ومن نقل هذا عن أحد منهم فقد جاهر بالكذب والبهت ، أفترى عطل الصحابة والتابعون وهم خير القرون على الاطلاق هذا الواجب الذى ذم الله سبحانه من تخلف عنه ، وجعل التخلف عنه من امارات النفاق ، ووقف له من لا يؤبه له من الناس ، ولا يعد فى أهل العلم فكيف أغفل هذا أئمة الاسلام وهداة الانام من أهل الحديث ، والفقه ، والتفسير ، ومن لهم لسان صدق فى الامة ، فلم يدعو اليه ، ولم يحضوا عليه ، ولم يرشدوا اليه ، ولم يفعله أحد منهم البتة ، بل المنقول الثابت عنهم ما قد عرف مما يسوء الغلاة فيما يكرهه وينهى عنه من الغلو والشرك الجفاة عما يحبه ويأمر به من التوحيد والعبودية ، ولما كان هذا المنقول شجى فى حلوق الغلاة ، وقذى فى عيونهم ، وريبة فى قلوبهم ، قابلوه بالتكذيب والطعن فى الناقل ، ومن استحيا منهم من أهل العلم بالآثار قابله بالتحريف والتبديل ويأبى الله إلا أن يعلى منار الحق ، ويظهر أدلته ليهتدى المسترشد ، وتقوم الحجة على المعاند فيعلى الله بالحق من يشاء ، ويضع برده وبطره وغمص أهله من يشاء ، ويالله العجب أكان ظلم الأمة لأنفسها ونبيها بين أظهرها موجود ، وقد دعيت فيه الى المجىء ليستغفر لها ، وذم من تخلف عن المجىء ، فلما توفى ﷺ ارتفع ظلمها لأنفسها بحيث لا يحتاج أحد منهم الى المجىء ليستغفر له ، وهذا يبين أن هذا التأويل الذى تأول عليه المعترض هذه الآية تأويل باطل قطعاً ولو كان حقاً لسبقونا اليه علما وعملا ، وارشاداً ونصيحة . ولا يجوز احداث تأويل فى آية . أو سنة لم يكن على عهد السلف ، ولا عرفوه ، ولا بينوه للأمة ، فانه يتضمن أنهم جهلوا الحق فى هذا ، وضلوا عنه ، واهتدى اليه هذا المعترض المستأخر ، فكيف اذا كان التأويل يخالف تأويلهم ويناقضه ، وبطلان هذا التأويل أظهر من أن يطنب فى رده ، وانما ننبه عليه بعض التنبيه . ومما يدل على بطلانه قطعاً أنه لا يشك مسلم أن من دعى الى رسول الله ﷺ فى حياته وقد ظلم نفسه ليستغفر له فأعرض عن المجىء وأباه مع قدرته عليه كان

مذموما غاية الذم مغموصا بالنفاق . ولا كذلك من دعى الى قبره ليستغفر له ، ومن سوى بين الامرين ، وبين المدعوين ، وبين الدعوتين فقد جاهر بالباطل ، وقال على الله وكلامه ورسوله وأمناء دينه غير الحق . وأما دلالة الآية على خلاف تأويله فهو أنه سبحانه صدّرها بقوله (وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع باذن الله ، ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول) وهذا يدل على أن مجيئهم اليه ليستغفر لهم اذ ظلموا أنفسهم طاعة له . ولهذا ذم من تخلف عن هذه الطاعة ولم يقل مسلم قط ان على من ظلم نفسه بعد موته أن يذهب الى قبره ويسأله أن يستغفر له ولو كان هذا طاعة له لكان خير القرون قد عصوا هذه الطاعة وعطلوها ووفق لها هؤلاء الغلاة العصاة ، وهذا بخلاف قوله (فلا وربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم) فانه نفى الإيمان عمن لم يحكمه ، وتحكيمه هو تحكيم ما جاء به حياً وميتاً ، فى حياته كان هو الحكم بينهم بالوحى ، وبعد وفاته نوابه وخلفاؤه يوضح ذلك أنه قال « لا تجعلوا قبرى عيداً » ولو كان يشرع لكل مذنب أن يأتى الى قبره ليستغفر له لكان القبر أعظم أعياد المذنبين ، وهذا مضادة صريحة لدينه وما جاء به ، ولو كان مشروعا لأمر به أمته وحضهم عليه ، ورغبهم فيه ، ولكان الصحابة وتابعوهم باحسان أرغب شيء فيه وأسبق اليه ، ولم ينقل عن أحد منهم قط وهم القدوة بنوع من أنواع الأسانيد أنه جاء الى قبره ليستغفر له ، ولاشكا اليه ، ولاسأله ، والذى صح عنه مجيء القبر للتسليم فقط ، هو ابن عمر ، وكان يفعل ذلك عند قدومه من السفر ، ولم يكن يزيد على التسليم شيئاً البتة ، ومع هذا فقد قال عبيد الله بن عمر العمرى الذى هو أجل أصحاب نافع ، أو من أجلهم ما نعلم أحداً من أصحاب النبى ﷺ فعل ذلك إلا ابن عمر ، ومعلوم أنه لا هدى أكمل من هدى الصحابة ، ولا تعظيم لرسول الله فوق تعظيمهم ، ولا معرفة لقدره فوق معرفتهم ، فمن خالفهم إما أن يكون أهدى منهم ، أو يكون مرتكباً لنوع من البدع ، كما قال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه لقوم رآهم اجتمعوا على ذكر يقولونه : لأنتم أهدى من أصحاب محمد ﷺ . أو أنتم على شعبة ضلالة ، فتبين أنه لو كان

استغفاره لمن جاءه مستغفراً بعد موته ممكناً أو مشروعا لكان كمال شفقته ورحمته بالأمة تقتضى ترغيبهم فى ذلك وحضهم عليه ، انتهى .

(وأما قوله) فقد علق تعالى قبول استغفارهم باستغفاره وهذا حق ولكنه فى حال حياته لا بعد وفاته .

(وقوله) وفى ذلك صريح دلالة على جواز التوسل به ﷺ وقبول المتوسل به .

فأقول : نعم هذا حق فقد كان الصحابة رضى الله عنهم يتوسلون به فى حال حياته كما قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : اللهم انا كنا اذا أجدبنا نتوسل اليك بنبينا فتسقينا ، وانا نتوسل اليك بعم نبينا فاسقنا ، فلو كان التوسل به بعد وفاته جائزاً لما عدل الفاروق الى عمه العباس مع امكان التوسل به عند قبره لو كان جائزاً ، ومن المعلوم أن التوسل المشروع انما هو بدعائه كما تقدم بيانه ، وكما سيأتى ان شاء الله . بل فى ذلك أصرح دلالة على المنع من التوسل به التوسل الشرعى بعد وفاته بدليل أنه لا أكمل من هدى الصحابة ، ولا تعظيم للرسول فوق تعظيمهم ، ولا معرفة لقدره فوق معرفتهم ، ومع ذلك لم يكن أحد منهم قط يأتى الى قبره ويقول يا رسول الله : فعلت كذا وكذا فاستغفر لى ، ومن نقل هذا عن أحد منهم فقد جاهر بالكذب والبهت .

(وأما قوله) وأنت تعلم أن استغفاره ﷺ لأمته لا يتقيد بحال حياته كما دلت عليه الاحاديث الواردة مما سننقله .

فأقول : لو كان طلب الاستغفار منه ﷺ جائزاً بعد وفاته عند قبره أو من مكان بعيد منه ، أو كان مشروعا لأمر به أمته وحضهم عليه ، ورغبهم فيه ، ولكان الصحابة رضى الله عنهم وتابعوهم باحسان أرغب شىء فيه وأسبق اليه ؛ ولم ينقل عن أحد منهم قط ، وهم القدوة بنوع من أنواع الأسانيد أنه جاء الى قبره ليستغفر له ، ولا شكا اليه ، ولا سأله ، وقد تقدم بيان هذا .

(وأما قوله) لا يقال ان الآية وردت فى قوم معينين فلا عموم لها الخ .

فأقول : نعم الأمر كما أقر به الخصم فى هذا المقام من أن الآية وردت فى

قوم معينين من أهل النفاق يدل عليه قوله تعالى (واذا قيل لهم تعالوا الى ماأنزل الله والى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا) فهى تعم ما وردت فيه وما كان مثله فهى عامة فى حق كل من ظلم نفسه من كل منافق قيل له تعال الى ما أنزل الله والى الرسول فصدّ عن الرسول صدودا وتحاكم الى الطاغوت ، ثم جاء الرسول فى حياته فاستغفر الله واستغفر له الرسول فى حياته ، وأما المؤمن الذى عصى وظلم نفسه فجاء قبر الرسول ﷺ فاستغفر الله فليس مثله لما تقدم بيانه .

فصل

(قال العراقى) ومنها قوله تعالى (فاستغاثه الذى من شيعته على الذى من عدوه) فنسب الله تعالى الاستغاثة الى غيره من المخلوق ، وكفى به دليلا على جوازها ، فان قيل ان المستغاث فى هذه الآية حى وله قدرة ، وانما كلامنا فى الميت ، أجيب بأن نسبة القدرة اليه ان كانت استقلالا فهى كفر ، وان كانت بقدرته تعالى على أن يكون هو السبب والوسيلة ليس إلا فلا ، فرق بين الحى والميت ، فان الميت له كرامة ، واذا لم تنسب الى الله حقيقة والى غيره مجازا كانت الاستغاثة ممنوعة ، ومن هنا تعلم سر نفى النبى ﷺ الاستغاثة عن نفسه عند ما قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه : قوموا بنا نستغيث برسول الله ﷺ من هذا المنافق ، فقال عليه السلام « لا يستغاث بى انما يستغاث بالله » مع أن النبى ﷺ كان حينئذ حياً وله قدرة ، فانما قصد ﷺ نفى الاستغاثة الحقيقية فاراد تعليم أمته انها لا تكون إلا بالله .

(والجواب) أن يقال هذه شبهة داود وانما تصرف فيها هذا ولم يخرج عن مقصوده بشىء فقال شيخنا رحمه الله : وقوف أهل البصائر على هذا الكلام يكفى فى رده وابطاله وبيان ما فيه من الجهل الغليظ وهذا الصنف من الناس انما أوتوا من بعدهم عما جاءت به الرسل وكونهم أجانب عنه ليسوا من أهل الوراثة النبوية فهم فى ظلمات بعضها فوق بعض وهذه الآية الكريمة فيها الخبر عن الاسرائيلى لأنه استغاث موسى على القبطى الذى هو من عدوه ، والافعال العادية القائمة

بفاعلها تنسب اليه وتضاف اليه حقيقة من اضافة الفعل إلى فاعله ، فيقال أكل وشرب وقام وقعد وقال وحكى ودعا واستغاث حقيقة لا مجازاً باجماع العقلاء ولم يخالف فى اضافة الأفعال إلى فاعلها حقيقة إلا من هو أجهل الناس وأضلهم عن سواء السبيل ، وهذا لم نقل بمنعه حتى يستدل علينا بالنسبة التى فى الآية ، مع أن الاستدلال بها يترجم عن جهل المعترض وعدم فهمه عن الله وقد نسب الرب تبارك وتعالى إلى أعدائه ما نسبوه اليه من اتخاذ الصاحبة والولد وجعل الشركاء معه والنسبة لا يستدل بها من يعقل ما يقول بل الدليل فى حكايته على وجه التقرير وعدم الإنكار قال تعالى (وقالوا اتخذ الله ولداً سبحانه بل له مافى السموات والأرض كل له قانتون) وقال تعالى (وقالت اليهود عزير بن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله) وقال تعالى (لقد كفر الذين قالوا أن الله هو المسيح بن مريم) وقال تعالى (لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة) وقال تعالى (واتخذوا من دونه آلهة لعلهم ينصرون) فهذا كله منسوب الى فاعله حقيقة أفيقال بجوازه ؟ وأنه لو كان ممنوعا لما جازت النسبة ، ويقال هذا مجاز أيصح نفيه عنهم ؟ تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً ، والعراقى جاهل الدين والمذهب واللسان بل الجاهلية لاتقول ان النسبة الى الفاعل مجاز ولا تقول أنها تدل على عدم المنع مما نسبه إلى فاعله والغرض بيان مافى كلام هذا من الفساد المتناهى ، والآية ليست مما نحن فيه فان الإغاثة المثبتة ليس الدليل على اثباتها النسبة وانما هو ما جاءت به الشريعة الكاملة من جواز معاطاة الأسباب العادية واستعانة الخلق بعضهم بعضاً فى الجملة والدليل من الآية ترك انكاره وسياقه على وجه التقرير ، ومسألة المخلوق محرمة فى الاصل وانما البحث فى الاسباب العادية للضرورة والحاجة ، ولهذا بايع النبى ﷺ بعض أصحابه على أن لايسألوا الناس ، فكان أحدهم يسقط السوط من يده فلا يقول لأحد ناولينه .

وقول العراقى : وأما ما قيل ان هذا حى ، وله قدرة ، فان كان نسبة القدرة اليه استقلالا فهو كفر ، وان كان بقدرة الله وهو سبب ووسيلة فلا فرق بين الحى والميت (يقال) هذا تخليط وهذيان ، فان المسلمين متفقون على قول

ما شاء الله كان ومالم يشأ لم يكن ، يؤمنون بقوله تعالى (والله خلقكم وماتعلمون) خلق فى الحى اختياراً ومشيئة بها يثاب وبها يعاقب وبها يكلف ، والميت ليس له قدرة الحى ولا يكلف بل ينقطع عمله بموته وتطوى صحيفته ، ولا يسأل ولا يستفتى ولا يرجع اليه فى شىء مما للعباد عليه قدرة ، وسائر الحيوان يفرقون بين الحى والميت .

والعراقى يقول : لا فرق عنده بين الحى والميت ، قال تعالى (وما يستوى الاحياء ولا الأموات ان الله يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من فى القبور) واستغاثة الميت ليست سبباً كاستغاثة المخلوق فيما يقدر عليه ، ولم يجعل هذا سبباً الا عباد الاصنام الذين هم أضل خلق الله ، يجعلون الأموات سبباً ووسيلة ، والميت ليس فى شرع الله وما جاءت به رسله أن يدعو لمن دعاه والكرامة ليست فعله بل هى فعل الله ، والمكرم لايدعى ولا يستغاث به ولا يرجى لشىء من الشدائد ، بل هذا فعل المشركين كما تقدم ، والقول بأن الله يقدره ظن وخرص لا يرجع اليه فى دينه إلا ضال يتمسك بالأوهام الوثنية .

(وقوله) والجميع راجع الى قدرة الله لا ينقذه من المحذور ، فان المشركين يعترفون بربوبية الله لآلهتهم ويعلمون أنها لا تستقل بشىء دونه ، ولا تجوز نسبة الاغاثه الى الموتى والغائبين ولو مجازاً لاختصاصه تعالى بالعلم والقدرة والغوث الباطنى ، والنبى ﷺ نفى الاستغاثة عن نفسه حماية للتوحيد وصيانة لجانبه وأدباً مع ربه ، لا لأن الاغاثة لا تنسب الى المغيث بالتسبب العادى حقيقة وانها تنسب مجازاً كما توهمه الغبى الاكبر ولم يرد تعليم أمته ، ان الاستغاثة انما تنسب للمخلوق مجازاً فان ما جاء به من الكتاب والسنة دال على اضافة الفعل لمكتسبه ومن قام به ، ولذلك رتب الثواب والعقاب والجزاء والحساب ولم يقل قول العراقى الا القدرية المجبرة ومن نحا نحوهم من الجهمية ورد عليهم أهل السنة بما يطول ذكره نقلا وعقلا ، وقالوا لو كان مجازاً لصح نفى أفعال المكلفين عنهم وكانوا بمنزلة الجمادات التى يحركها الغير ويفعل بها من غير قصد لها ولا اختيار ويكون التعذيب والثواب يرجع الى مجرد المشيئة والإرادة من غير فعل للعبد

يستحق به الثواب والعقاب ، وأما اضافة الاغاثة والانبات الى الغيث والربيع كما فى الحديث وكما فى قولهم أنبت الربيع البقل فلم يجعل الغيث فاعلاً ، كما زعمه هذا الاعجمى الذى لا يعقل شيئاً من اللغة غاية ما قالوا إنه مجاز عقلى كما يعلم من رسالة السكاكى والاضافة قد تقع ولو إلى أدنى ملابسة .

(وقول العراقى) فجعل الغيث هو فاعل الاغاثة مع أنه عرض هذا مما يدل على أنه لا يفرق بين العرض والجوهر ومن بلغ جهله الى هذا الحد سقط الكلام معه والقصد اعلام الطالب أن اعداء شيخنا من أجهل الورى وأضلهم الى آخر كلامه رحمه الله .

فصل

(قال العراقى) ومنها قوله تعالى : (لا يملكون الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهدا) ، قال بعض المفسرين إن العهد قول لا إله إلا الله محمد رسول الله ، وعليه فمعنى الآية لايشفع الشافعون إلا لمن قال لا إله إلا الله وهم المؤمنون كقوله تعالى : (لا يشفعون إلا لمن ارتضى) وهو معنى بعيد أن يكون حينئذ تقدير الآية لا يملكون الشفاعة لأحد الا من اتخذ الى آخره ، وفيه من التكلف ما فيه والاحسن أن يكون تفسير قوله لا يملكون بمعنى لا ينالون ، فحينئذ يصح الاستثناء بدون تقدير شىء ، وقيل معناه لا يملك الشفاعة الا من قال لا اله الا الله ، أى لا يشفع الا المؤمنون ومثله قوله تعالى : (ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة الا من شهد بالحق) والشهادة بالحق هى قول (لا اله الا الله) وحيث كان المراد من التوسل بالانبياء والاولياء والصالحين والطلب منهم هو استشفاعهم ، وقد اخبر تعالى أنهم يملكون الشفاعة فأى مانع من طلب شىء مما ملكوه باذنه تعالى فيجوز أن تطلب منهم أن يعطوك مما أعطاهم الله تعالى ، وانما الممنوع هو طلب الشفاعة من الاصنام التى لا تملك شيئاً منها ،

(والجواب) أن يقال : ما أعظم جراءة هذا الملحد على كلام الله بوضعه على غير موضعه وعلى توهين ما قرره أئمة التفسير من السلف رضوان الله عليهم

فنذكر كلام أئمة التفسير ليتبين ضلال هذا الملحد وعدم ادراكه فنقول : قال الامام أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى يقول تعالى ذكره لا يملك هؤلاء الكافرون بربهم يا محمد يوم يحشر الله المتقين اليه وفدا . الشفاعة حين يشفع أهل الايمان بعضهم لبعض عند الله فيشفع بعضهم الا من اتخذ منهم عند الرحمن فى الدنيا عهداً بالايمان به وتصديق رسوله والاقرار به والعمل بما أمر به ، ثم ساق بسنده الى ابن عباس قوله (إلا من اتخذ عند الرحمن عهداً) ، قال العهد شهادة أن لا اله الا الله ويتبرأ الى الله من الحول والقوة ولا يرجون الا الله ، وبسنده عن ابن جريج قال: المؤمنون يومئذ بعضهم لبعض شفعاء (إلا من اتخذ عند الرحمن عهداً) قال عملا صالحاً ، وبسنده الى قتادة قال أى بطاعته ، وبسنده الى عوف ابن مالك قال : قال رسول الله ﷺ « إن شفاعتى لمن مات من أمتى لايشرك بالله شيئاً » ومن فى قوله (الا من) موضع نصب على الاستثناء ولا يكون خفضاً بضمير اللام ولكن قد يكون نصباً فى الكلام فى غير هذا الموضع وذلك كقول القائل أردت المرور اليوم الا العدو فانى لا أمر به فيستثنى العدو من المعنى وليس ذلك كذلك فى قوله (لا يملكون الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهداً لأن معنى الكلام لايملك هؤلاء الكفار الا من آمن بالله فالمؤمنون ليسوا من اعداد الكافرين ومن نصبه على أن معناه الا لمن اتخذ عند الله الرحمن عهداً فانه ينبغى ان يجعل قوله لايملكون الشفاعة للمتقين فيكون معنى الكلام حينئذ : (يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفداً لا يملكون الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهداً) فيكون معناه عند ذلك (الا لمن اتخذ عند الرحمن عهداً) فاذا جعل لا يملكون الشفاعة خبراً عن المجرمين فان من تكون حينئذ نصباً على انه استثناء منقطع فيكون معنى الكلام لا يملكون الشفاعة لكن من اتخذ عند الرحمن عهداً يملكه ، انتهى .

وقال الحافظ بن كثير رحمه الله تعالى (لا يملكون الشفاعة) أى ليس لهم من يشفع لهم كما يشفع المؤمنون بعضهم لبعض كما قال تعالى مخبرا عنهم (فما لنا من شافعين ولاصديق حميم) وقوله (الا من اتخذ عند الرحمن عهدا) هذا استثناء

منقطع بمعنى لكن من اتخذ عند الرحمن عهدا وهو شهادة ان لا إله الا الله والقيام بحقها ، قال عليّ بن أبي طلحة عن ابن عباس ، الا من اتخذ عند الرحمن عهدا ، قال العهد شهادة أن لا إله الا الله ويبرأ الى الله من الحول والقوة ولا يرجو الا الله عز وجل وقال ابن أبي حاتم : حدثنا عثمان بن خالد الواسطى ، حدثنا محمد بن الحسن الواسطى عن المسعودى عن عون بن عبد الله عن ابن أبي فاختة عن الاسود بن يزيد قال : قرأ عبد الله يعنى ابن مسعود هذه الآية (الا من اتخذ عند الرحمن عهدا) ثم قال اتخذوا عند الله عهدا فان الله يقول يوم القيامة من كان له عند الله عهد فليقم قالوا يا أبا عبد الرحمن فعلمنا قال : قولوا اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة فانى أعهد اليك فى هذه الحياة الدنيا ، انك أن تكلنى الى عملى يقربنى من الشر ويباعدنى من الخير ، وانى لا أثق إلا برحمتك ، فاجعل لى عندك عهداً تؤديه الىَّ يوم القيامة انك لا تخلف الميعاد ، قال المسعودى فحدثنى زكريا عن القاسم بن عبد الرحمن أن ابن مسعود كان يلحق بهن خائفاً مستجيراً مستغفراً راهباً راغباً اليك ، ثم رواه من وجه آخر عن المسعودى بنحوه ، انتهى .

فاذا تبين لك كلام أئمة التفسير ، وأن الاستثناء فى آية مريم لا يفيد اثبات الملك ، والأكثر على أنه منقطع أو على القول بأنه متصل فلا حجة فيه بل هو كقوله تعالى (يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضى له قولا) فالاستثناء دليل على حصولها ووقوعها ، لا على أنها تملك كسائر الأملاك العادية وكما يظنه أهل الجاهلية ، وكما يقول هذا الملحد إن الله ملكهم الشفاعة فأى مانع من طلب شيء مما ملكوه باذنه تعالى ؟ الى آخر كلامه . ومراده أنهم يملكونها كما يملك الملاك أموالهم فيتصرفون فيها بما يشاءون ، وهذا خلاف ما دل عليه القرآن والسنة ، وأجمع عليه علماء الأمة فانه قد دل القرآن والسنة واجماع الأمة على أن الشفاعة بيده سبحانه ملكا له خاصة لا يتقدم أحد فيها إلا باذنه ولا تنال إلا من رضى قوله وعمله من أهل الايمان والتوحيد والأحاديث صريحة فى أنه ﷺ ـ وهو سيد الشفعاء ـ لا يشفع ابتداء وأنه يحد له حداً ويعين له من أراد الله

رحمته ، واكرام نبيه بالشفاعة فيه ، فهو عبد مأمور مدبر لا مالك متصرف قال تعالى (ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة) وقوله (لا يملكون الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهداً) وقد تقدم الكلام فيها وان بعض المفسرين قرر أن الاستثناء منقطع ليس فيه اثبات للملك فهو بمعنى الاستدراك من مضمون الجملة ، ويدل هذا نصوص الكتاب والسنة .

قال شيخ الاسلام : وقوله تعالى (قل لا أملك لنفسى نفعاً ولا ضراً الا ما شاء الله) فيه قولان قيل هو استثناء متصل ، وأنه يملك من ذلك ما ملكه الله ، وقيل هو منقطع والمخلوق لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرا بحال ، فقوله (الا ما شاء الله) استثناء منقطع أى لكن يكون من ذلك ما شاء الله ، كقول الخليل ، ولا أخاف ماتشركون به الا أن يشاء ربى شيئا ، أى لا أخاف أن تفعلوا شيئاً لكن إن شاء ربى شيئاً كان . والا لم يكن والا فهم لا يفعلون شيئاً وكذلك قوله (لا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة) ثم قال (الا من شهد بالحق) فتنفعه الشهادة كقوله (لا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له) وقال تعالى (قل لله الشفاعة جميعا) وبسط هذا له موضع آخر ، انتهى .

اذا عرفت هذا فقول هذا الملحد فأى مانع من طلب شيء مما ملكوه باذن الله تعالى ، فيجوز أن تطلب منهم أن يعطوك مما أعطاهم الله تعالى(فيقال) المانع من ذلك أنك قد أتيت بسبب يمنع حصولها ، والله سبحانه وتعالى لم يجعل الاستغاثة بغيره ودعاءه والالتجاء اليه سبباً لحصول اذن الله للشافع أن يشفع ، وانما السبب كمال التوحيد باخلاص الدعاء لله والاستغاثة به لا بغيره والطلب من الله تعالى أن يشفع فيه عبده لا طلبها من العبد ، قال ابن القيم رحمه الله تعالى : ومن أنواعه ـ أى الشرك ـ طلب الحوائج من الموتى والاستغاثة بهم ، وهذا أصل شرك العالم ، فان الميت قد انقطع عمله وهو لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً ، فضلا لمن استغاث به وسأله أن يشفع له الى الله وهذا من جهله بالشافع والمشفوع عنده فانه لا يقدر أن يشفع له عند الله الا باذنه والله لم يجعل استغاثته وسؤاله سبباً لاذنه وانما السبب كمال التوحيد فجاء هذا المشرك بسبب يمنع الاذن وهو بمنزلة من استعان فى حاجته بما يمنع حصولها ، وهذه حال كل مشرك ، فجمعوا

بين الشرك بالمعبود وتغيير دينه ومعادات أهل التوحيد ونسبة أهله الى التنقص بالأموات وهم قد تنقصوا الخالق بالشرك وأولياءه الموحدين بذمهم وعيبهم ومعاداتهم وتنقصوا من أشركوا به غاية التنقص اذ ظنوا أنهم راضون منهم بهذا وأنهم أمروهم به وأنهم يوالونهم عليه وهؤلاء هم أعداء الرسل فى كل زمان ومكان ، وما اكثر المستجيبين لهم وما نجا من شرك هذا الشرك الأكبر الا من جرد توحيد الله وعادى المشركين فى الله وتقرب بمقتهم الى الله واتخذ الله وحده وليه والهه ومعبوده ، فجرد حبه لله وخوفه لله ورجاءه لله وذله لله وتوكله على الله واستغاثته بالله والتجاءه الى الله واستعانته بالله وقصده لله متبعا لأمره متطلبا لمرضاته ، اذا سأل سأل الله واذا استعان استعان بالله ، واذا عمل عمل لله فهو لله وبالله ومع الله ، انتهى .

(وأما قوله) وانما الممنوع هو طلب الشفاعة من الأصنام التى لا تملك شيئا منها .

(فأقول) هذا لم يقله أحد من أهل العلم وانما هى شبهة عراقية وتعلقات خيالية ، لا تليق الا بعقول هؤلاء الوثنية الذين ليس لهم معرفة بالأحكام الشرعية فبعداً للقوم الظالمين .

فصل

قال العراقى : ومنها ما رواه ابن ماجة باسناد صحيح عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « من خرج من بيته الى الصلاة فقال : اللهم انى اسألك بحق السائلين عليك ، وبحق ممشاى هذا اليك فانى لم اخرج اشراً ولا بطراً ولا رياء ولا سمعة خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك فاسألك ان تنقذنى من النار ، وان تغفر لى ذنوبى فانه لا يغفر الذنوب الا انت » اقبل الله عليه بوجهه واستغفر له سبعون الف ملك فقد توسل النبى عليه الصلاة والسلام ، فى قوله « انى اسألك بحق السائلين » عليك بكل عبد مؤمن وأمر اصحابه ان يدعوا بهذا الدعاء فيتوسلوا مثل توسله ولم يزل السلف من التابعين

ومن يتبعهم يستعملون هذا الدعاء عند خروجهم إلى الصلاة ولم ينكر عليهم أحد .

(فالجواب) أن يقال : هذا الحديث رواه عطية العوفى وفيه ضعف ، قال شيخ الإسلام لكن بتقدير ثبوته هو من هذا الباب فان حق السائلين عليه سبحانه أن يجيبهم وحق المطيعين له أن يثيبهم فالسؤال له والطاعة له لحصول اجابته واثابته فهو من التوسل به والتوجه به والتسبب به ولو قدر أنه قسم لكان قسما بما هو من صفاته فان اجابته واثابته من أفعاله وأقواله فصار هذا كقوله ﷺ فى الحديث الصحيح « أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك » والاستعاذة لا تصح بمخلوق كما نص عليه الإمام احمد وغيره من الأئمة إلى آخر كلامه فتبين من كلام الشيخ أن السؤال بحق السائلين هو إجابتهم وسؤاله بحق الطائعين إثابتهم فيكون السائل بهاتين الصفتين سائلا بصفات الله فان الإجابة والاثابة من أفعاله وأقواله سبحانه وتعالى وسؤاله بأسمائه وصفاته والتوسل بها ثابت بالكتاب والسنة قال تعالى (ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها) وفى الحديث عن عبد الله بن بريدة عن أبيه أن رسول الله ﷺ سمع رجلا يقول : اللهم إنى أسألك بأنك أنت الله الذى لا إله الا أنت الأحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد فقال « دعا الله باسمه الأعظم الذى اذا سئل به أعطى واذا دعى به أجاب » رواه الترمذى وأبو داود الى غير ذلك من الاحاديث وكذلك التوسل بالاعمال الصالحة كما ثبت ذلك بالكتاب والسنة كما روى عن ابن عمر عن النبى ﷺ قال « بينما ثلاثة نفر يتماشون أخذهم المطر فمالوا الى غار فى الجبل فانحطت على فم غارهم صخرة من الجبل فأطبقت عليهم فقال بعضهم لبعض انظروا أعمالا عملتموها لله صالحة فادعوا الله بها لعله يفرجها » الحديث متفق عليه وهو فى الصحيحين . فليس فى حديث أبى سعيد الخدرى مايدل على ما ادعاه هذا الملحد من التوسل بذوات الانبياء والاولياء والصالحين فضلا عن دعائهم والاستغاثة بهم والالتجاء اليهم وبهذا يتبين عدم معرفتهم بمعانى ما أنزل الله على رسوله

ومعانى كلام رسوله وأن هذا المعترض وأشباهه أجانب من ذلك لا عهد لهم به ولا تمييز عندهم فالله المستعان .

(قال العراقى) ومنها قوله ﷺ اغفر لأمى فاطمة بنت أسد ووسع عليها مدخلها بحق نبيك والانبياء الذين من قبلى الى آخر الحديث رواه الطبرانى فى الكبير وصححه ابن حبان والحاكم عن أنس بن مالك رضى الله عنه وفاطمة هذه أم علىّ كرم الله وجهه التى ربت النبى ﷺ إلى آخر كلامه .

(والجواب) أن يقال : فى سنده روح بن صلاح المصرى ضعفه ابن عدى وتصحيح الحاكم له لا يجدى شيئاً فانه جمع فى مستدركه من الاحاديث الضعيفة والمنكرة والموضوعة جملة كثيرة وقد روى فيه لجماعة من المجروحين فى كتابه فى الضعفاء . وأما رواية الطبرانى له فيقال لهذا الملحد كم فى الطبرانى حديث يخالف هذا ويدل على وجوب التوسل بأسماء الله وصفاته وانابة الوجوه اليه فما أعمى عينك عنها ؟ هل هناك شىء أعماها سوى الجهل والهوى ؟ وقد تكلم فى هذا الحديث غير واحد وقال شيخ الاسلام قد بالغت فى البحث والاستقصاء فما وجدت أحداً قال بجوازه الا ابن عبد السلام فى حق نبينا عليه أفضل الصلاة والسلام أترى هذا الحديث خفى علماء الامة لم يعلموا ما دل عليه ثم لو سلمنا صحته أو حسنه ففيه ما سيأتى فى حديث الاعمى أن المراد بدعاء نبيك الى آخره وأى وسيلة لذوات الانبياء لمن عصى أمرهم وخرج عما جاءوا به من التوحيد والشرع ، قال شيخ الاسلام فاذا قال الداعى أسألك بحق فلان ـ وفلان لم يدع له ـ وهو لم يسأله باتباعه لذلك الشخص أو محبته وطاعته بل بنفس ذاته وما جعله له ربه من الكرامة لم يكن قد سأله بسبب يوجب المطلوب ، انتهى .

فصل

(قال العراقى) ومنها ما رواه الترمذى والنسائى والبيهقى والطبرانى باسناد صحيح عن عثمان بن حنيف رضى الله عنه أن رجلا ضريراً أتى النبى ﷺ فقال ادع الله أن يعافينى.فقال: « ان شئت دعوت وان شئت صبرت وهو خير لك »

قال : فادعه فأمره ان يتوضأ ويحسن وضوءه ويدعو بهذا الدعاء « اللهم انى أسألك وأتوجه اليك بنبيك محمد نبى الرحمة يا محمد انى أتوجه بك الى ربى فى حاجتى لتقضى ، اللهم فشفعه فىّ » ، فعاد وقد أبصر وخرج هذا الحديث البخارى أيضا فى تاريخه وابن ماجة والحاكم فى المستدرك باسناد صحيح وذكره الجلال السيوطى فى الجامع الكبير والصغير فقد أمر النبى ﷺ الرجل الضرير أن يناديه ويتوسل به الى الله فى قضاء حاجته . قد تقول الوهابيه أن هذا انما كان فى حياة النبى ﷺ فليس يدل على جواز التوسل به بعد موته فتجيب أن الدعاء هذا قد استعمله الصحابة والتابعون أيضا بعد وفاته ﷺ لقضاء حوائجهم ، يدل عليه ما رواه الطبرانى والبيهقى أن رجلا كان يختلف الى عثمان رضى الله عنه زمن خلافته فى حاجة ولم يكن ينظر فى حاجته فشكى الرجل ذلك لعثمان بن حنيف فقال له : إئت الميضأة فتوضأ ثم إئت المسجد فصل ثم قل اللهم إنى أسألك وأتوجه اليك بنبينا محمد نبى الرحمة ، يا محمد إنى أتوجه بك الى ربك لتقضى حاجتى وتذكر حاجتك ، فانطلق الرجل فصنع ذلك ثم أتى باب عثمان رضى الله عنه فجاءه البواب فأخذ بيده وأدخله على عثمان فاجلسه معه وقال اذكر حاجتك فذكر حاجته فقضاها ثم قال له : ما كان لك من حاجة فاذكرها فلما خرج الرجل من عنده لقى ابن حنيف فقال له : جزاك الله خيراً ما كان ينظر فى حاجتى حتى كلمته لى ، فقال ابن حنيف والله ما كلمته ولكن شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أتاه ضرير فشكى اليه ذهاب بصره ، الحديث . فهذا توسل ونداء بعد وفاته صلى الله عليه وسلم على أن النبى ﷺ حىّ فى قبره فليست درجته دون درجة الشهداء الذين صرح الله تعالى بأنهم أحياء عند ربهم يرزقون .

والجواب أن يقال : هذا الحديث - أعنى حديث الاعمى - غير محفوظ وفيه مقال مشهور ، وفى سنده أبو جعفر عيسى بن ابى عيسى بن ماهان الرازى التميمى قال الحافظ بن حجر فى التقريب الاكثرون على ضعفه ، وقال احمد والنسائى ليس بالقوى ، وقال أبو حاتم صدوق ، وقال ابن المدينى ثقة كان يخلط ،

وقال مرة يكتب حديثه إلا أنه يخطىء وقال القلانسى سىء الحفظ ، وقال ابن حبان ينفرد بالمناكير عن المشاهير ، وقال أبو زرعة يهم كثيراً ، وقال الحافظ فى التقريب أيضاً فى ترجمة الرازى التميمى أبو جعفر الرازى التميمى مولاهم مشهور بكنيته واسمه عيسى بن ابى عيسى عبد الله بن ماهان وأصله من مرو ، وكان يتجر إلى الرى صدوق سىء الحفظ خصوصاً عن مغيرة من كبار السابعة مات فى حدود الستين ، انتهى .

وعلى تقدير صحته وثبوته فلا يدل على ما توهمه هذا الملحد ، وبيان هذا الحديث يعلم انما توهمه هؤلاء الغلاة غير صحيح فقوله : اللهم انى اسألك أى أطلب منك وأتوجه اليك بنبيك محمد صرح باسمه مع ورود النهى عن ذلك تواضعاً منه لكون التعليم من قبله ، وفى ذلك قصر السؤال الذى هو أصل الدعاء على الله تعالى الملك المتعال ؛ ولكنه توسل بالنبى ﷺ بدعائه ولذا قال فى آخره : اللهم فشفعه فىّ إذ شفاعته لا تكون إلا بالدعاء لربه قطعاً ولو كان المراد التوسل بذاته فقط لم يكن لذلك التعقيب معنى اذ التوسل بقوله بنبيك كاف فى افادة هذا المعنى فقوله : يا محمد انى توجهت بك الى ربى ، قال الطيبى : الباء فى بك للاستعانة . وقوله : انى توجهت بك بعد قوله أتوجه اليك فيه معنى قوله (من ذا الذى يشفع عنده إلا باذنه) فيكون خطابا لحاضر معاين فى قلبه مرتبط بما توجه به عند ربه من سؤال نبيه بدعائه الذى هو عين شفاعته ، ولذلك أتى بالصيغة الماضوية بعد الصيغة المضارعية . المفيد كل ذلك أن هذا الداعى قد توسل بشفاعة نبيه فى دعائه فكأنه استحضره وقت ندائه ، انتهى .

وقال شيخ الاسلام فى اقتضاء الصراط المستقيم « والميت لا يطلب منه شىء لا دعاء ولا غيره ، وكذلك حديث الاعمى فانه طلب من النبى ﷺ أن يدعو له ليرد الله عليه بصره فعلمه النبى ﷺ دعاء أمره فيه أن يسأل الله قبول شفاعته بنبيه فيه ، فهذا يدل على أن النبى شفع فيه وأمره أن يسأل قبول شفاعته ، وأن قوله أسألك وأتوجه اليك بنبيك محمد نبى الرحمة ،

أى بدعائه وبشفاعته كما قال عمر : كنا نتوسل اليك بنبينا ، فلفظ التوسل والتوجه فى الحديثين بمعنى واحد ، ثم قال : يا محمد يا رسول الله انى أتوجه بك الى ربى فى حاجتى ليقضيها اللهم فشفعه فىّ . فطلب من الله أن يشفع فيه نبيه . وقوله : يا محمد يانبى الله ، هذا وأمثاله نداء يطلب به استحضار المنادى فى القلب فيخاطب المشهود فى القلب كما يقول المصلى : السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته ، والانسان يفعل مثل هذا كثيراً يخاطب من يتصوره فى نفسه ، وان لم يكن فى الخارج من يسمع الخطاب ، فلفظ التوسل بالشخص والتوجه به والسؤال به فيه اجمال واشتراك غلط بسببه من لم يفهم مقصود الصحابة ، يراد به التسبب لكونه داعيا وشافعا مثلا ، أو لكون الداعى محبا له ، مطيعا لأمره ، مقتديا به ، فيكون التسبب اما بمحبة السائل له ، واتباعه له ، واما بدعاء الوسيلة وشفاعته ، ويراد به الاقسام به ، والتوسل بذاته فلا يكون التوسل لا منه ولا من السائل ، بل بذاته أو بمجرد الاقسام به على الله ، فهذا الثانى هو الذى كرهوه ونهوا عنه ، وكذلك السؤال بالشىء قد يراد به المعنى الأول وهو التسبب لكونه سبباً فى حصول المطلوب ، وقد يراد به الاقسام » الى آخر ما قال رحمه الله اذا عرفت هذا فليس فى حديث الاعمى ما يدل على التوسل به ودعائه ، والالتجاء اليه بعد وفاته ، وانما فيه أنه توسل بدعائه كما كان الصحابة يتوسلون بذلك ويسألونه الاستغفار والدعاء .

(وأما قوله) قد تقول الوهابية أن هذا انما كان فى حياة النبى ﷺ الخ . فنقول نعم .

(وقوله) فنجيب أن الدعاء هذا قد استعمله الصحابة والتابعون أيضاً بعد وفاته ﷺ لقضاء حوائجهم .

فنقول : قد علمنا أنك أجبت كما أجاب من قبلك ، ولكن بجهام قد أهريق ماؤه فهو يرعد ويبرق ولا ماء فيه .

(وأما قوله) يدل عليه ما رواه الطبرانى والبيهقى أن رجلا كان يختلف الى عثمان وساق الحديث كما تقدم .

(وجوابه) عما أجاب به أن هذا الحديث لا يصح وفى سنده روح بن صلاح وقد ضعفه بن عدى ، بل قد قال بعضهم ان أمارات الوضع لائحة عليه فكيف يعارض به جميع كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وعمل أصحابه رضوان الله تعالى عليهم أجمعين ، وهل سمعت أحداً منهم جاء اليه بعد وفاته الى قبره الشريف فطلب منه مالا يقدر عليه إلا الله وهم حريصون على مثل هذه المثوبات لا سيما والنفوس مولعة بقضاء حوائجها تتشبث بكل ما تقدر عليه ، فلو صح عند أحد منهم أدنى شىء من ذلك لرأيت أصحابه يتناوبون قبره الشريف فى حوائجهم زمراً زمراً ، ومثل ذلك تتوفر الدواعى على نقله . ولا وسع الله طريقاً لم يتسع للصحابة والتابعين وصلحاء علماء الدين ، نعم كان ابن عمر يأتى إلى القبر المكرم ويقول : السلام عليك يارسول الله ، السلام عليك يا أبا بكر ، السلام عليك يا أبت ثم ينصرف وكذلك أنس وغيره ، فاذا أرادوا الدعاء استقبلوا القبلة ، ثم اعلم ان هذا الحديث مخالف لعمل الصحابة رضى الله عنهم ، وقد قال ﷺ «كل عمل ليس عليه أمرنا فهو رد» ، وأما دعوى هؤلاء الغلاة أن الصحابة استعملوا هذا الدعاء بعد وفاته ، فان هذا مما يعلم بالضرورة أنه من الكذب على الصحابة رضى الله عنهم ، ولو كان هذا الاستعمال صحيحاً لتوفرت الهمم والدواعى على نقله ، ولما عدل الفاروق الى التوسل بدعاء العباس ، ومعاوية بيزيد بن الأسود الجرشى ، ولكان يمكنهم لو كان هذا الحديث صحيحاً معروفا عندهم أن يتوسلوا بالنبى ﷺ ولا يطلبون من العباس أن يدعو لهم ، ومما يوضح لك الأمر وان هذا الحديث غير صحيح أن رواته مختلفون فى متنه وسنده مع أنه لم يذكر فى شىء من الكتب المعتمدة ، وانما ذكره مثل البيهقى والطبرانى والترمذى وأبى نعيم ، وهؤلاء يذكرون مثل هذه الأحاديث الضعيفة أو الموضوعة على وجه التنبيه ، وقد رأى علماء الاسلام الجهابذة النقاد ظلمات الوضع لائحة عليه فأعرضوا عنه ولم يلتفتوا اليه والله اعلم .

(وأما قوله) فليست درجته دون درجة الشهداء الذين صرح الله تعالى انهم أحياء عند ربهم يرزقون .

فأقول : بل درجته فوق درجة الشهداء وأكمل حالا ، وما نال الشهداء تلك المنزلة إلا بالإيمان به ، وتصديقه ، والجهاد معه وفى سبيله فله أجره وأجرهم وأجر من آمن به الى يوم القيامة ، ولكنهم كما قال الله تعالى (عند ربهم) فهو أعلى منهم درجة ووسيلة وأقربهم اليه منزلة ، واذا كان لا يدعى ، ولا يتوسل به بعد وفاته فهم من باب الأولى والأحرى .

فصل

(قال العراقى) ومنها ما رواه البيهقى وابن أبى شيبة باسناد صحيح أن الناس أصابهم قحط فى خلافة عمر رضى الله عنه فجاء بلال بن الحارث رضى الله عنه الى قبر النبى ﷺ وقال يا رسول الله استسق لأمتك فانهم هلكوا فأتاه رسول الله ﷺ فى المنام وأخبره أنهم يسقون واستدلالنا هذا ليس بالرؤيا للنبى ﷺ فان رؤياه وان كانت حقاً لا تثبت بها الاحكام لإمكان اشتباه الكلام على الرائى وانما الاستدلال بفعل أحد أصحابه ﷺ فى اليقظة وهو بلال بن الحارث فانه أتى قبر النبى ﷺ وناداه وطلب منه أن يستسقى لأمته .

(فالجواب) أن نقول : قد كفانا مؤنة ايضاح عدم الاعتبار بالمنامات وأنه لا يثبت بها حكم شرعى لكن نقول هذا الحديث فيه مقال مشهور ، قال الحافظ فى الفتح ، وروى ابن أبى شيبة باسناد صحيح من رواية أبى صالح السمان ، عن مالك الدارى وكان خازن عمر رضى الله عنه قال أصاب الناس قحط فى زمن عمر رضى الله عنه فجاء رجل الى قبر النبى ﷺ فى المنام فقيل له ائت عمر ، الحديث. وقد روى سيف فى الفتوح أن الذى رآى فى المنام المذكور هو بلال بن الحارث المزنى أحد الصحابة فعلم أن ما روى باسناد صحيح ليس فيه أن الجائى أحد الصحابة وما فيه أن الجائى أحد الصحابة ضعيف غاية الضعف ، قال الذهبى فى الميزان سيف بن عمر الضبى الأسدى ، ويقال التميمى البرجمى ، ويقال السعدى الكوفى مصنف الفتوح والردة وغير ذلك هو كالواقدى ، يروى عن هشام ابن عروة وعبد الله بن عمر وجابر الجعفى وخلق كثير من المجهولين كان اخباريا

عارفا ، روى عنه عبادة بن المغلس وأبو معمر القطيعي والنضر بن حماد العتكي وجماعة قال عباس عن يحي ضعيف ، وروى مطين عن يحي : فليس خير منه ، قال أبو داود ليس بشيء ، وقال أبو حاتم متروك ، وقال ابن حبان اتهم بالزندقة ، وقال ابن عدى عامة حديثه منكر البيروتى سمعت جعفر بن أبان سمعت ابن نمير يقول سيف الضبعي تميمى كان جميع يقول حدثنى رجل من بنى تميم ، كان سيف يضع الحديث وقد اتهم بالزندقة ، انتهى ملخصا . قال الحافظ فى التقريب سيف ابن عمر التميمى صاحب الردة ويقال له الضبي ويقال غير ذلك الكوفى ضعيف فى الحديث عمدة فى الاخبار أفحش ابن حبان القول فيه ، انتهى . وقال الذهبي فى الكاشف قال ابن معين وغيره ضعيف ، وقال فى الخلاصة سيف بن تميم الاسدى الكوفى صاحب الردة عن جابر الجعفي وأبى الزبير وعنه محمد بن عيسى الطباع وأبو معمر الهزلى ضعفوه ، انتهى . فهذا ما قيل فى حديث بلال ابن الحارث الذى رواه البيهق وابن أبى شيبة وان كان غير حديث بلال فغاية ما فيه أنه رآى رسول الله ﷺ فى المنام وهو يأمره ان يأتى عمر فيأمره أن يخرج يستسق بالناس وهذا ليس من هذا الباب الذى نحن بصدد الكلام فيه فان هذا قد يقع كثيراً لمن هو دون النبى ﷺ قال شيخ الاسلام : وأيضا ما يروى أن رجلا جاء الى قبر النبى ﷺ فشكا اليه الجدب عام الرمادة فرآه وهو يأمره أن يأتى عمر فيأمره أن يخرج يستسق بالناس ، فان هذا ليس من هذا الباب ومثل هذا يقع كثيرا لمن هو دون النبى ﷺ وأعرف من هذا وقائع ، وكذلك سؤال بعضهم للنبى ﷺ أو لغيره من أمته حاجة فتقضى له ، فان هذا قد وقع كثيراً وليس مما نحن فيه وعليك أن تعلم ان اجابة النبى ﷺ أو غيره لهؤلاء السائلين ليس هو مما يدل على استحباب السؤال ، فانه هو القائل ﷺ « ان أحدهم ليسألنى المسألة فأعطيه اياها فيخرج يتأبطها ناراً » فقالوا يا رسول الله فلم تعطيهم قال « فيأبون إلا أن يسألونى ويأبى الله لى البخل » وأكثر هؤلاء السائلين الملحين لما هم فيه من ضيق الحال لو لم يجابوا لاضطرب ايمانهم كما أن السائلين فى الحياة كانوا كذلك وفيهم من اجيب وأمر بالخروج من

المدينة فهذا القدر اذا وقع يكون كرامة لصاحب القبر اما أنه يدل على حسن حال السائل فلا وفرق بين هذا وهذا ، انتهى . فتبين من كلام العلماء ان الجائى إلى قبر النبي ليس هو بلال بن الحارث كما زعمه المعترض لأنه اعتمد على أن هذا فعل صحابي وحاشا لله من ذلك فانهم كانوا أعلم بالله وبدينه ورسوله وهم أبعد الناس عن سلوك مايتوهمه الغلاة فبطلت الشبهة العراقية ولله الحمد والمنة .

فصل

(قال العراقى) ومنها ما ذكر فى صحيح البخارى من رواية أنس بن مالك رضى الله عنه من استسقاء عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى زمن خلافته بالعباس عم النبى ﷺ لما اشتد القحط عام الرمادة فسقوا ، وفى المواهب اللدنية للعلامة القسطلانى أن عمر رضى الله عنه لما استسق بالعباس رضى الله عنه قال : يا أيها الناس ان رسول الله ﷺ كان يرى للعباس مايرى الولد للوالد فاقتدوا به فى عمه العباس واتخذوه وسيلة الى الله تعالى .

(والجواب) أن نقول : قد ثبت فى صحيح البخارى عن أنس أن عمر استسق بالعباس بن عبد المطلب وقال : اللهم انا كنا إذا أجدبنا نتوسل اليك بنبينا فتسقينا ، وانا نتوسل اليك بعم نبينا فاسقنا فيسقون .

قال شيخ الإسلام : فاستسقوا به كما كانوا يستسقون بالنبى ﷺ فى حياته ، وهو أنهم يتوسلون بدعائه وشفاعته فيدعو لهم ويدعون معه كالإمام والمأمومين من غير أن يكونوا يقسمون على الله بمخلوق كما ليس لهم أن يقسم بعضهم على بعض بمخلوق ، ولما مات ﷺ توسلوا بدعاء العباس واستسقوا به ، ولهذا قال الفقهاء : يستحب الاستسقاء بأهل الخير والدين ، والأفضل أن يكونوا من أهل بيت النبى ﷺ ، وقد استسقى معاوية بين يد ابن الاسود الجرشى ، وقال : اللهم انا نستسقى بيزيد بن الاسود يا يزيد ارفع يديك فرفع يديه ودعا ودعا الناس حتى أمطروا ، وذهب الناس ولم يذهب أحد من الصحابة الى قبر نبى ولا غيره يستسقى عنده ولا به ، انتهى .

فهذا هو التوسل المشروع وهذا هو المنقول عن الصحابة لا كما يلفقه هؤلاء الغلاة من الاحاديث الموضوعة والمعلولة التى لا تثبت بها الأحكام الشرعية، وأما ما ذكره عن القسطلانى فى المواهب اللدنية، فلا شك أنه من الموضوعات لأنه لم يذكره بسند يعتمد على مثله، وفى المواهب اللدنية من الموضوعات والاحاديث المعلولة والاقوال المردودة ما لا يحصى فلا يعتمد على مثل هذا النقل والله أعلم.

فصل

ثم قال العراقى الملحد: لا فرق فى التوسل بين الانبياء وغيرهم من الصلحاء بين كونهم أحياء أو أمواتاً لأنهم فى كلا الحالتين لا يخلقون شيئاً وليس لهم تأثير فى شىء وانما الخلق والايجاد والتأثير لله وحده لا شريك له فى كل ذلك.

(والجواب) أن نقول فيه كلام من وجوه (الاول) انه يعتقد كثير من العوام وبعض الخواص فى أهل القبور وفى المعروفين بالصلاح من الاحياء أنهم يقدرون على مالا يقدر عليه الا الله جل جلاله ويفعلون مالا يفعله إلا الله عز وجل حتى نطقت ألسنتهم بما انطوت عليه قلوبهم فصاروا يدعونهم تارة مع الله وتارة استقلالا ويصرحون بأسمائهم ويعظمونهم تعظيم من يملك الضر والنفع ويخضعون لهم خضوعا زائداً على خضوعهم عند وقوفهم بين يدى ربهم فى الصلاة والدعاء.

(والثانى) أن مجرد عدم اعتقاد التأثير والخلق والإيجاد والاعدام، والنفع والضر إلا لله لا يبرىء من الشرك، فان المشركين الذين بعث الله الرسول اليهم أيضاً، كانوا مقرين بأن الله هو الخالق الرازق، بل لا بد فيه من اخلاص توحيده وأفراده، واخلاص التوحيد لا يتم الا بأن يكون الدعاء كله لله، والنداء والاستغاثة والرجاء واستجلاب الخير واستدفاع الشر له، ومنه لا بغيره ولا من غيره وكذلك النذر والذبح والسجدة كلها تكون لله.

(والثالث) أن مجرد كون الاحياء والاموات شركاء فى أنهم لا يخلقون شيئاً

وليس لهم تأثير فى شيء ، لا يقتضى أن يكون الاحياء والأموات متساويين فى جميع الأحكام حتى يلزم من جواز التوسل بالأحياء جواز التوسل بالأموات وكيف وليس معنى التوسل بالاحياء الا التوسل بدعائهم ، وهو ثابت بالاحاديث الصحيحة ، وأما التوسل بالاموات فلم يثبت بحديث صحيح ولا حسن ، انتهى من كلام بعض المحققين . اذا عرفت ما تقدم فمن المعلوم أن الكفار الذين كانوا على عهد رسول الله ﷺ وقاتلهم واستحل دماءهم وأموالهم كانوا مقرين أن الله هو الخالق الرازق المحي المميت النافع الضار الذى يدبر جميع الأمور ويعتقدون أن الله هو الفاعل لهذه الاشياء كلها ، وأنه لا مشارك له فى ايجاد شيء واعدامه ، وأنهم لا يخلقون شيئاً وأنه ليس لهم تأثير فى شيء وانما الخلق والايجاد والتأثير لله وحده لا شريك له ، وانما كانوا يدعون الانبياء والملائكة والاولياء والصالحين ويلتجئون اليهم ، ويستغيثون بهم ويسألونهم على وجه التوسل بجاههم وشفاعتهم ليقربوهم إلى الله زلفى وليشفعوا لهم عنده ، لأنهم أقرب الى الله وارفع درجة ومنزلة ، ولم يدخلهم ذلك فى الاسلام وقاتلهم رسول الله ﷺ ليكون الدين كله لله ، والدعاء كله لله ، والذبح والنذر لله ، والاستغاثة والاستعانة والالتجاء اليه لا لغيره ولا من غيره ، فالاقرار بتوحيد الربوبية وحده لا يدخل فى الاسلام بل لا بد معه من توحيد الله بافعال العبد الصادرة منه من أنواع العبادة المتقدم ذكرها ، وهذا هو الذى قاتل عليه رسول الله ﷺ كفار العرب .

﴿ وأما قوله ﴾ وأما من يعتقد التأثير للأحياء دون الأموات فلهم أن يفرقوا بين التوسل بهم والتوسل بالاموات .

﴿ فأقول ﴾ لا يجوز لأحد أن يعتقد أن الاحياء يقدرون على مالا يقدر عليه إلا الله فان اعتقاد ذلك شرك واذا كان الأحياء لا يقدرون على شيء من ذلك فالاموات بطريق الاولى وانما يجوز من الحى طلب الدعاء منه والاستغفار والتوسل بدعائه وشفاعته ، إذ هو قادر على ذلك ، وأما الميت فقد انقطع عمله ، وهو لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً فضلا لمن استغاث به أو دعاه أو سأله أن

يشفع له ، كما قال ﷺ « اذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث » الحديث وهذا يدل على انقطاع الحس والحركة من الميت ، وان أعمالهم منقطعة عن زيادة ونقصان فدل ذلك على أنه ليس للميت تصرف فى ذاته فضلاً عن غيره ، فاذا عجز عن حركة نفسه فكيف يتصرف فى غيره ، وأما الاحياء القادرون على الاسباب الظاهرة العادية من الأمور الحسية ، فى قتال أو ادراك عدو أو دفع سبع صائل وغيره فهذا لامانع منه ، وهذا ليس فى قدرة الاموات (ومايستوى الاحياء ولا الأموات) ومن سوى بينهما فقد جمع بين ما فرق الله بينه ، وكفى بذلك عتواً وعناداً .

﴿ وأما قوله ﴾ أما نحن فنقول إن الله هو الخالق لكل شىء (والله خلقكم وما تعلمون) .

﴿ فأقول ﴾ كون الله تعالى هو الخالق لكل شىء وان الله خلق العبد وعمله كما قال تعالى : (والله خلقكم وما تعملون) مما لامرية فيه وهذا معروف من عقائد أهل السنة والجماعة وانما ينفى الفعل حقيقة عن فاعله ومن قام به القدرية المجبرة الذين يزعمون ان العبد مجبور وانه لا اختيار له ولا مشيئة كما هو مبسوط فى موضعه فاذا زعمتم أن دعاء الاموات والاستغاثة بهم والالتجاء اليهم والتعلق عليهم انما هو باعتبار التسبب والكسب العادى وانما المستغاث به فى الحقيقة هو الله فاسناد الغوث الى الله تعالى اسناد حقيقى باعتبار الخلق والايجاد والى الانبياء والصالحين اسناد مجازى ، فاذا كان ذلك كذلك لزم أن يكون اسناد أفعال العباد كلها الى الله تعالى حقيقياً فان اعتقاد أهل السنة والجماعة ان الخالق لافعال العباد هو الله تعالى وهذا يقتضى أن يتصف الله تعالى حقيقة بالايمان والصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد وصلة الرحم وغير ذلك من الأعمال الحسنة ، وكذلك يتصف حقيقة بالاعمال السيئة ، من الكفر والفسوق والفجور والزنا والكذب والسرقة ، والعقوق وقتل النفس وأكل الربا وغيرها ، فانه تعالى هو الخالق لجميع الافعال حسنها وسيئها والتزام هذا فعل من لاعقل له ولا دين ، فانه يستلزم اتصاف الله تعالى بالنقائص وصفات الحدوث واجتماع الاوصاف المتضادة بل

المتناقضة ، وأيضاً فانه لو كان مناط الاسناد المجازى اعتبار التسبب والكسب كما زعمتم ، لزم أن لا يكون الانسان حقيقة مؤمنا ولا كافرا ولا باراً ولا فاجراً ولا كاذبا فيبطل الجزاء والحساب ، وتُلغى الشرائع والجنة والنار ، وهذا لا يقول به أحد من المسلمين ، واسناد أفعال العبد اليه حقيقة من اضافة الفعل إلى فاعله لا مجازا لا ينازع فيه من عرف شيئاً من اللغة فالعبد يفعل حقيقة ويأكل حقيقة ويشرب حقيقة ويهب حقيقة وينصر أخاه ظالما أو مظلوما حقيقة ، والله سبحانه خلق العبد وما يعمل .

(وأما قوله) فالوهابية التى تتظاهر بالذب عن التوحيد ، وتجوز التوسل بالاحياء قد دخل الشرك فى توحيدها من حيث لا تدرى لكونها اعتقدت تأثير الاحياء ، مع أنه لا تأثير فى الحقيقة إلا الله تعالى .

(فأقول) هذا قول من لا يعقل ما يقول فان الوهابية ما أجازت من التوسل بالاحياء إلا ما فعله أصحاب رسول ﷺ ، كما قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : اللهم انا كنا اذا أجدبنا نتوسل اليك بنبينا فتسقينا ، وانا نتوسل اليك بعم نبينا فاسقنا فتوسلوا بدعاء العباس ، كما كانوا يتوسلون بدعاء النبى ﷺ ، فان كان هذا شركا دخل عليهم ، فقد دخل على أصحاب رسول الله ﷺ ، وان لم يكن شركا فالشرك هو العدول الى من قد انقطع عمله ولا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً ، فكيف بمن دعاه واستغاث به .

وأما التوسل بالاحياء فيما يقدرون عليه من الأسباب العادية فهذا مما لا خلاف فى جوازه بين العلماء والله أعلم .

(وأما قوله) والتوسل والتشفع والاستغاثة بمآل واحد فانما المقصود منها التبرك بذكر أحباء الله الذين قد يرحم الله العباد بسببهم سواء كانوا أحياء أو أمواتا فالموجد الحقيقى هو الله تعالى ، وانما هؤلاء الأسباب عادية لا تأثير لهم فى ذلك .

(فأقول) التوسل والتشفع الشرعى هو التوسل والتشفع بدعائهم فى حال حياتهم وطلبهم من الله تعالى كما تقدم بيانه ، وأما بالمعنى الاصلاحى المحدث وهو دعاؤهم والتبرك بهم والالتجاء اليهم وتعليق الآمال بفيض نوالهم فيما لا يقدر

عليه إلا الله تعالى ، فلا فرق بينه وبين الاستغاثة بهم ، بهذا الاعتبار وهذا هو الشرك سواء كان المدعو حياً أو ميتا ، وسواء اعتقد التأثير أو لم يعتقد كما تقدم بيانه بأدلته فيما مضى .

فصل

قال العراقى الملحد : وأما قول العامى من المسلمين ياعبد القادر أدركنى ويابدوى المدد مثلا ، فيحمل على المجاز العقلى كما يحمل عليه قول القائل ، هذا الطعام أشبعنى وهذا الماء أروانى ، وهذا الدواء شفانى ، فان الطعام لا يشبع ، والماء لا يروى ، والدواء لا يشفى ، حقيقة بل المشبع والمروى والشافى الحقيق هو الله تعالى وحده وانما تلك أسباب عادية ينسب لها الفعل لما يرى من حصوله بعدها فى الظاهر .

(فالجواب) أن يقال : قد تقدم فى كلام شيخ الاسلام قوله « فكل من غلا فى نبى أو رجل صالح وجعل فيه نوعا من الالهية مثل أن يقول : ياسيدى فلان انصرنى ، أو أغثنى ، أو ارزقنى ، أو أنا فى حسبك ونحو هذه الأقوال ان هذا شرك وضلال يستتاب صاحبه فان تاب وإلا قتل » إلى آخر كلامه وتقدم قوله : « وأيضاً فان من جعل بينه وبين الله وسائط يتوكل عليهم ويدعوهم ويسألهم كفر اجماعا » وقال صنع الله الحلبى : فمن اعتقد أن لغير الله من نبى ، أو ولىّ ، أو روح . أو غير ذلك فى كشف كربة ، وقضاء حاجة تأثيراً فقد وقع فى وادى جهل خطير فهو على شفا حفرة من السعير ، وأما كونهم مستدلين على أن ذلك منهم كرامات فحاشا لله أن تكون أولياء الله بهذه المثابة فهذا ظن أهل الأوثان كذا أخبر الرحمن (هم شفعاؤنا عند الله ٭ ما نعبدهم إلا ليقربونا الى الله زلفى ٭ أأتخذ من دونه آلهة إن يردن الرحمن بضر لا تغن عنى شفاعتهم شيئاً ولا ينقذون) فان ذكر من ليس من شأنه النفع ولا دفع الضر من نبى وولىّ وغيره على وجه الامداد منه اشراك مع الله إذ لا قادر على الدفع غيره ولا خير إلا خيره ، انتهى . وقال الامام ابن عقيل فى فنونه « لما صعبت التكاليف على

الجهال والطغام عدلوا عن أوضاع الشرع الى تعظيم أوضاع وضعوها لأنفسهم فسهلت عليهم إذ لم يدخلوا بها تحت أمر غيرهم وهم عندى كفار بهذه الأوضاع مثل تعظيم القبور وتخليقها ، وطلب الحوائج من الموتى ، ودس الرقاع فى القبور فيها يامولاى افعل بى كذا وكذا ، انتهى .

(وقوله) فيحمل على المجاز العقلى .

فيقال لهذا الملحد : الجواب من وجوه (الأول) ان هـذه الالفاظ دالة دلالة مطابقة على اعتقاد التأثير من غير الله تعالى .

(والثانى) لو سلم هـذا المحمل لاستحال الارتداد وانسد باب الردة الذى يعقده الفقهاء فى كل مصنف وكتاب من كتب اهل المذاهب الاربعة وغيرها ، فان المسلم الموحد متى صدر منه قول أو فعل موجب للكفر يجب حمله على المجاز والاسلام والتوحيد قرينة على ذلك المجاز .

(والثالث) انه يلزم على هذا ان لا يكون المشركون الذين نطق كتاب الله بشركهم مشركين فانهم كانوا يعتقدون أن الله هو الخالق الرازق ، الضار النافع وان الخير والشر بيده ، لكن كانوا يعبدون الاصنام لتقربهم الى الله زلفى ، فالاعتقاد المذكور قرينة على ان المراد بالعبادة ليس معناه الحقيق ، بل المراد هو المعنى المجازى اى التكريم مثلا ، فما هو جوابكم فهو جوابنا .

(والرابع) ان هؤلاء الذين أولتم عنهم فى تلك الالفاظ الدالة على تأثير غير الله فما تفعلون فى اعمالهم الشركية من دعاء غير الله ، والاستغاثة ، والنذر ، والذبح ، فان الشرك لا يتوقف على اعتقاد تأثير غير الله ، بل اذا صدر من احد عبادة من العبادات لغير الله صار مشركا سواء اعتقد ذلك الغير مؤثراً أم لا .

وقد تقدم الكلام على الأسباب العادية وما يقال فيها فيما مضى .

(وأما قوله) ومعظم الأمة اجمعوا على جواز التوسل به ﷺ وبغيره من الصحابة والصالحين ، فقد صـــدر من كثير من الصحابة والعلماء من السلف والخلف .

(فأقول) أما اجماعهم على جواز التوسل بهم التوسل الشرعى بدعائهم

وشفاعتهم فى حال حياتهم فهذا حق ، وأما بعد وفاتهم فمعاذ الله وقد تقدم بيانه ، واما بالتوسل الشركى فهم مجمعون على كفر فاعله بعد قيام الحجة عليه لا ينكره إلا مكابر .

(وقوله) واجتماع أكثرهم على الحرام والاشراك لا يجوز لقوله ﷺ فى الحديث الصحيح وقيل المتواتر « لا تجمع أمتى على ضلالة » ولقوله تعالى (كنتم خير أمة أخرجت للناس) فكيف تجتمع كلها أو أكثرها على ضلالة .

فأقول : المقصود بالأمة فى الحديث هم أهل السنة والجماعة وهم الفرقة الناجية المنصورون إلى قيام الساعة ، وهم المعينون بقوله فى الحديث الصحيح « وستفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة كلها فى النار إلا واحدة » قيل يا رسول الله من هم ؟ قال « من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابى » فمن كان على مثل ما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ فهو من الامة الذين اجماعهم حجة وهم الفرقة الناجية ، قليلا كانوا أو كثيراً بخلاف عباد القبور المتخذين الانبياء والاولياء ، والصالحين ولائج يدعونهم مع الله ، ويشركونهم فى عبادته ، ويستغيثون بهم فى المهمات والملمات ، ويطلبون منهم قضاء الحاجات ، وتفريج الكربات ، وإغاثة اللهفات ، فهؤلاء ليسوا من أمة الاجابة الذين استجابوا لله والرسول ، بل هؤلاء مجتمعون على خلاف الكتاب والسنة مخالفون لما عليه الامة من أهل السنة والجماعة مجمعون على الضلالة ..

وقد قال الفضيل ابن عياض ما معناه : الزم طرق الهدى ، ولا يغرك قلة السالكين ، وإياك وطرق الضلالة ، ولا تغتر بكثرة الهالكين . وقال بعض السلف : اذا وافقت الشريعة ، ولاحظت الحقيقة ، فلا تبال وإن خالف رأيك جميع الخليقة .

قال الحافظ ابن القيم رحمه الله تعالى فى إغاثة اللهفان « فالبصير الصادق لا يستوحش من قلة الرفيق ، ولا من فقده إذا استشعر قلبه مرافقة الرعيل الاول (الذين أنعم الله عليهم من النبيين ، والصديقين ، والشهداء ، والصالحين وحسن أولئك رفيقاً) منفرد العبد فى طريق طلبه دليل على صدق طلبه ،

إلى أن قال وما أحسن ما قال أبو شامة عبد الرحمن بن اسماعيل فى كتاب الحوادث والبدع حيث جاء الامر بلزوم الجماعة ، فالمراد به لزوم الحق واتباعه وان كان المتمسك به قليلا ، والمخالف له كثيراً لأن الحق هو الذى كانت عليه الجماعة الأولى من عهد النبى ﷺ وأصحابه ، ولا تنظر الى كثرة أهل الباطل بعدهم ، قال عمر وابن ميمون الأودى صحبت معاذاً باليمن فما فارقته حتى واريته فى التراب بالشام ، ثم صحبت بعده أفقه الناس عبد الله بن مسعود فسمعته يقول : عليكم بالجماعة فان يد الله على الجماعة ، ثم سمعته يوما من الأيام وهو يقول : سيلى عليكم ولاة يؤخرون الصلاة عن مواقيتها فصلوا الصلاة لميقاتها فهى الفريضة ، وصلوا معهم فانها لكم نافلة ، فقلت : يا أصحاب محمد ما أدرى ما تحدثونا ، قال : وما ذاك ؟ قلت : تأمرنى بالجماعة وتحضنى عليها ، ثم تقول : صل الصلاة وحدك وهى الفريضة ، وصل مع الجماعة وهى النافلة . قال يا عمر وابن ميمون : قد كنت أظنك من أفقه أهل هذه القرية تدرى ما الجماعة ؟ قلت : لا . قال : ان جمهور الناس الذين فارقوا الجماعة ، الجماعة ما وافق الحق وان كنت وحدك .

وقال نعيم بن حماد : اذا فسدت الجماعة فعليك بما كانت عليه الجماعة قبل أن تفسد ، وان كنت وحدك فانك أنت الجماعة حينئذ . وعن الحسن قال : السنة والذى لا إله إلا هو بين الغالى والجافى فاصبروا عليها رحمكم الله ، فان أهل السنة كانوا أقل الناس فيما بقى الذين لم يذهبوا مع أهل الاتراف فى أترافهم ، ولا مع أهل البدع ، وصبروا على سنتهم حتى لقوا ربهم ، فكذلك انشاء الله فكونوا ، وكان محمد بن أسلم الطوسى الامام المتفق على امامته من اتبع الناس للسنة فى زمانه حتى قال : ما بلغنى سنة عن رسول الله ﷺ الا عملت بها ، ولقد حرصت أن أطوف بالبيت راكباً فما مكنت من ذلك ، وسئل بعض أهل العلم فى زمانه عن السواد الأعظم الذى جاء فيهم الحديث « اذا اختلف الناس فعليكم بالسواد الأعظم » من السواد الاعظم قال محمد بن أسلم الطوسى : هو السواد الاعظم ، انتهى . وكلام العلماء فى الجماعة

الذين هم السواد الأعظم كثير جداً وذكروا أنهم هم الذين كانوا على ما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ ، ولو ذهبنا نذكر أقوالهم لخرجنا عن المقصود بالاختصار والمقصود أن الأمة التى لا تجمع على ضلالة هم أهل السنة والجماعة وان قلوا ، وأن الأكثرين هم الذين قال الله فيهم (وان تطع أكثر من فى الأرض يضلوك عن سبيل الله وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين) .

فصل

قال العراقى : ومن أدلة جواز الاستغاثة ما رواه البخارى فى صحيحه من حديث ابن عباس أن النبى ﷺ ذكر فى قصة هاجر أم اسماعيل عليه السلام أنها لما أدركها وولدها العطش جعلت تسعى فى طلب الماء فسمعت صوتاً ولا ترى شخصاً فقالت : أغث ان كان عندك غوث . فلو كانت الاستغاثة بغير الله شركا لما طلبت الغوث ولما ذكر النبى ﷺ لأصحابه ولم ينكره ولما نقله الصحابة من بعده وذكر المحدثون .

(والجواب) أن نقول الكلام فيمن يستغاث به عند الأمور التى لا يقدر عليها الا الله أو سؤال مالا يعطيه الا الله ولا يمنعه الا الله وأما ما عدا ذلك مما يجرى فيه التعاون والتعاضد بين الناس واستغاثة بعضهم ببعض فى الأمور العادية فهذا لا نمنع منه ونقول به وليس الكلام فيه ولفظ الاستغاثة لفظ مشترك بين ما يجوز وبين مالا يجوز فاما ما يجوز فما قدمنا ذكره مما هو فى مقدور العبد والذى لا يجوز وفاعله يكون مشركا هو طلبها من الأموات والغائبين من الامور التى لا يقدر عليها الا الله كما نطقت بذلك الآيات والاحاديث النبوية وقصة هاجر قد أوردها البخارى فى باب قوله تعالى (واتخذ الله ابراهيم خليلا) من كتاب أحاديث الانبياء عليهم الصلاة والسلام والمقصود من القصة أن هاجر عليها السلام لم تطلب الا من حاضر محسوس وليس ما طلبته مما اختص طلبه بالله سبحانه فانها طلبت من المصوت مايسد جوعتها ويروى غلتها كما يقول المنقطع فى الطريق العادم الزاد والماء اذا مرَّ عليه أحد وأحس به اغثنى بما عندك من ماء وطعام

واعطى مما تفضل الله به عليك من الانعام ،أفيقال لهذا انه طاب مالا يقدر عليه الا الله والتجأ فى شدته الى من سواه، فقاتل الله أهل الكفر والضلال كيف لعب الشيطان بعقولهم حتى أوردهم المهالك ، انتهى باختصار من قول بعض أهل التحقيق من أهل العلم .

فصل

قال العراقى . ومنها ما رواه البخارى فى حديث الشفاعة « ان الخلق بينما هم فى هول القيامة استغاثوا بآدم ثم بنوح ثم بابراهيم ثم بموسى ثم بعيسى وكلهم يعتذرون ويقول عيسى اذهبوا الى محمد فيأتون اليه ﷺ فيقول أنا لها »الحديث فلو كانت الاستغاثة بالمخلوق ممنوعة لما ذكرها النبى ﷺ لأصحابه رضى الله عنهم وأجاب المانعون أن هذا يكون يوم القيامة حيث يكون للنبى ﷺ قدرة ورد عليهم انهم فى حياتهم الدنيوية لا قدرة لهم إلا بنوع التسبب فكذلك بعد الموت على أنهم أحياء فى قبورهم يتسببون .

(والجواب) أن نقول : قال بعض المحققين من أهل العلم فى جوابه « ان استغاثة الناس بالنبى ﷺ وقبله بآدم ثم بنوح الى آخر حديث الشفاعة فهذه شفاعة بالدعاء ، والاستغاثة بما يقدر عليه المستغاث مستحسنة عقلا وشرعا ومن ذلك الرفقة يستغيث بعضهم بعضاً أى فى مهماتهم التى يقدرون عليها وكذلك ما طلب الناس منه وهى الشفاعة التى هى الدعاء وكذلك يقول سيد الشفعاء ﷺ فى آخر الحديث فأجىء فأسجد وأنه يلهمه الله من الثناء والدعاء شيئاً لم يلهمه لغيره ﷺ فعند ذلك يأذن الله بالشفاعة ويقول له كما ورد فى الحديث : يامحمد ارفع رأسك وقل يسمع واشفع تشفع وهذا ظاهر جداً وأما ما أورده على الجواب من أن المستغاث بهم قدرة كسبية وتسبباً فتنسب الاغاثة اليهم بهذا المعنى سواء كانوا أحياء أم أمواتاً وسواء كانت الاستغاثة بما يقدر عليه المستغاث أم لا مدفوع بأن كون العبد له قدرة كسبية لا يخرج بها عن مشيئة رب البرية لا يستغاث به فيما لا يقدر عليه إلا الله ولا يستعان به ولا يتوكل عليه ولا يلجأ

فى ذلك اليه فلا يقال لأحد حي أو ميت قريب أو بعيد ارزقنى أو أمتنى أو أحى ميتى أو اشف مريضى الى غير ذلك مما هو من الافعال الخاصة بالواحد الأحد الفرد الصمد بل يقال لمن له قدرة كسبية قد جرت العادة بحصولها ممن أهله الله لها أعنى فى حمل متاعى أو غير ذلك والقرآن ناطق بحصر الدعاء عن كل أحد لا من الاحياء ولا من الاموات سواء كانوا أنبياء أوصالحين أو غيرهم وسواء كان الدعاء بلفظ الاستغاثة أو بغيرها فان الامور الغير المقدورة للعباد لا تطلب إلا من خالق القدر ومنشىء البشر كيف والدعاء عبادة وهى مختصة به سبحانه بقى ما أدلى به العراقى واضرابه علينا من حياة الانبياء ليتوصلوا به الى ترويج مدّعاهم من استحسان دعائهم وطلب إغاثتهم وأولوه بأن مرادهم من ذلك الاستشفاع طلب أن يدعوا لهم فنقول هذا حق ثابت فنعتقد حياتهم صلى الله تعالى عليهم وسلم حياة برزخية فوق حياة الشهداء وأن نبينا ﷺ قد جعل عند قبره الشريف ملك يبلغه سلام المسلمين الذين عند ضريحه المكرم والنائين عنه وأن الانبياء جميعهم طريون لا تأكل الارض أجسامهم الشريفة ولكنا نمنع أن يطلب منهم شيء فلا يسألوا شيئاً بعـــد وفاتهم سواء كان بلفظ الاستغاثة أو توجه أو استشفاع أو غير ذلك لجميع ذلك من وظائف الألوهية فلا يليق جعلها لمن يتصف بالعبودية من البرية فان ادعى أحد أن حياتهم صلى الله تعالى عليهم وسلم اذا ثبتت الرواية بها حقيقة كما هو الأصل فى حمل الالفاظ على حقائقها ولم تثبت قرينة على التجوز بها فتبقى على حقيقتها أجبناه قائلين لا شك أنه لا يراد بهذه الحياة الحقيقية ولو أريدت لاقتضت جميع لوازمها من أعمال وتكليف وعبادة ونطق وغير ذلك من وظائف الحياة وحيث انتفت حقيقة هذه الحياة الدنيوية بانتفاء لوازمها وبحصول الانتقال بالموت الحال به ﷺ ـ وأرواحنا له الفداء ـ كما قال تعالى : (انك ميت وانهم ميتون) وقال عز من قائل (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أو قتل) الآية ، وحلول الموت به ﷺ أمر لا يمكن انكاره ـ الى أن قال ـ تثبت الحياة الاخرى برزخية وهى متفاوتة فحياة الشهداء فوق حياة المؤمنين وحياة الانبياء أعلى من

حياة الشهداء فنقتصر على ما يثبت لها فى النصوص القطعية من الاحوال المستحسنة المرضية ، الى آخر كلامه وقد تقدم الكلام على قوله فكذلك بعد الموت على أنهم أحياء فى قبورهم يتسببون وان الميت قد انقطع عمله فلا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً فكيف بمن استغاث به وهذا ظاهر ولله الحمد والمنة .

فصل

قال العراقى : ومنها ما رواه الطبرانى عن زيد بن عتبة بن غزوان عن النبى ﷺ قال : « اذا أضل أحدكم شيئاً أو أراد عوناً وهو بأرض ليس فيها انيس فليقل يا عباد الله اعينونى فان لله عباداً لا يراهم » لا يقال أن المقصود بعباد الله هم الملائكة أو مسلمو الجن أو رجال الغيب ، وهؤلاء كلهم أحياء فلا يستدل بالحديث على الاستغاثة بالاموات والكلام فيهم ، لأنا نقول لا صراحة فى الحديث بأن المقصود بعباد الله هم من ذكر لا غير ، ولو سلمنا فالحديث حجة على الوهابية من جهة أخرى ، وهى نداء الغائب الذى لم يجوزوه كنداء الميت ولا يفيد الوهابية طعنها ببعض رواة هذا الحديث فانه قد روى بطرق شتى يعضد بعضها بعضاً فقد رواه الحاكم فى صحيحه وأبو عوانة والبزار بسند صحيح عن النبى ﷺ بهذا اللفظ أنه قال : « اذا انفلتت دابة أحدكم بأرض فلاة فليناد يا عباد الله احبسوا » وقد ذكر هذا الحديث شيخ الاسلام ابن تيمية فى كتابه الكلم الطيب عن أبى عوانة فى صحيحه وابن القيم فى الكلم الطيب له والنووى فى الاذكار والجزرى فى الحصن الحصين وغيرهم ممن لا يحصى من المحدثين وهذا لفظ رواية ابن مسعود مرفوعا ورواية ابن مسعود موقوفاً عليه : فليناد أعينونى يا عباد الله .

(والجواب) ان نقول : كل أسانيد هذه الروايات لا تخلو من مقال وعلى تقدير صحتها فليس فيه إلاّ نداء الاحياء والطلب منهم ما يقدر هؤلاء الاحياء عليه وذلك مما لا يجحده أحد ، وأين هذا من الاستغاثة باصحاب القبور

الأولياء والصالحين وكون المراد بعباد الله رجال الغيب كما يزعم بعض المتصوفة فهو مردود بل هو من الخرافات ومثله زعم وجود الاوتاد والاقطاب والاربعين وما أشبه ذلك .

(وأما قوله) ولو سلمنا فالحديث حجة على الوهابية من جهة أخرى ، وهى نداء الغائب الذى لم يجوزوه كنداء الميت .

(فأقول) هذا مردود أيضا بما سبق بأن هؤلاء العباد ليسوا بغائبين وعدم رؤيتهم لا يستلزم غيبتهم فانا لا نرى الحفظة ومع ذلك فهم حاضرون ولا نرى الجن ومع ذلك فهم حاضرون وكذلك الشياطين والهواء ونحو ذلك فان علة الرؤية ليس هو الوجود فقط .

قال العراقى : ونقل عن عبد الله بن أحمد حنبل ، قال سمعت أبى يقول حججت خمس حجج فضللت فى احداهن الطريق وكنت ماشياً فجعلت أقول يا عباد الله دلونا على الطريق ، فلم أزل أقول ذلك حتى وقعت على الطريق فقل للوهابية التى تدعى نسبتها الى الامام احمد جاز له أن يطلب الدلالة على الطريق من غير الله وهو غائب من غير أن يراه .

والجواب أن نقول : هكذا ذكره هذا العراقى ولم يعزه الى كتاب وقد رأيته فى الآداب الكبرى لابن مفلح عن ابن الامام احمد (وجوابه) ما تقدم وهو أن هؤلاء العباد ليسوا بغائبين وعدم رؤيتهم لا يستلزم غيبتهم ، كما تقدم وهذا لا يفيده شيئاً غير ما تقدم إيضاحه .

ثم قال العراقى : ومن شبه الوهابية فى تكفير من استغاث ونادى غائباً من نبى أو ولى قد مات ان الذين ينادون نبياً أو ولياً مستغيثين به قد يكون نداؤهم فى أماكن متعددة فى زمان واحد ويكون عددهم كثيراً جداً مما يبلغ مئات ألوف وهم يعتقدون أن المستغاث به يحضر حين ندائه فى ذلك الآن وهذا بصرف النظر عن كونه كفراً وشركا لما فيه من جعل ذلك المنادى موصوفا بما هو من صفات الرب عز وجل ممتنع عقلا فمن البديهى أن الجسم الواحد لا يكون فى زمان واحد موجوداً فى أماكن متعددة .

قال والجواب : أنه ليس من معتقد المسلمين حضور المنادى بشخصه حين ندائه فى الأماكن المتعددة فان ذلك المعتقد كفر وذلك الحضور محال وانما المعتقد حضور البركة بخلق الله تعالى اياها فى تلك الاماكن المتعددة لطفاً منه ورحمة بالمستغيث لكرامة المستغاث به وليس فى ذلك محال ، فان رحمة الله تعالى واسعة ليس لها حد .

(والجواب) أن يقال : (أولا) نعم ليس هذا من معتقد المسلمين وحاشا لله بل هو من معتقد من أشرك بالله غيره فى عبادته . ويقال (ثانياً) دعوى حضور البركة بخلق الله تعالى اياها فى تلك الاماكن المتعددة دعوى مجردة عن الدليل ، وكيف يكون ذلك وقد قال تعالى (ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم) وقال تعالى (فزيلنا بينهم وقال شركاؤهم ما كنتم إيانا تعبدون فكفى فالله شهيدا بيننا وبينكم ان كنا عن عبادتكم لغافلين) وهذا كما هو بين فى القرآن فهو بعيد فى العقل فاذا كان المدعو فى حال حياته واجتماع حواسه وحركاته لا يسمع من دعاه على البعد ولو مسيرة فرسخ فكيف يجوز فى عقل من له أدنى مسكة من عقل أنه اذا مات وفارقت روحه جسده وذهبت حواسه وحركته بالكلية وصار رهيناً فى الثرى جسدا بلا روح انه والحالة هذه يسمع من البعيد ولو مسيرة شهر أو أكثر ويجيب فكل عقل صحيح يحيل ذلك ويعلم أنه من أمحل المحال لكن هؤلاء المشركون فسدت عقولهم وفطرهم وزين لهم الشيطان ما يعتقدون من الكذب والمحال والشرك والضلال حتى آل الأمر بهم الى أن زعموا فى معتقدهم حضور البركة بخلق الله تعالى اياها فى تلك الاماكن المتعددة لطفاً منه ورحمة بالمستغيث به لكونه أشرك فى عبادة الله غيره ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار (فان قيل) ان هذا الذى أردناه من هؤلاء الأموات يحصل لنا من أرواحهم ، قيل وهذا منتف فى العقل ،كما نفاه القرآن وذلك أن أرواح الأنبياء والصالحين فى أعلى عليين فيمتنع عقلا وشرعا وفطرة وقدرا أن الأرواح التى فوق السموات السبع وفى أعلى عليين أنها تسمع دعاء أهل الأرض وتنفعهم وتتصرف فيهم هذا محال

قطعاً وضلال مبين فان الله قال (وهم عن دعائهم غافلون) فكل من دعى من الأموات والغائبين والانبياء والصالحين فمن دونهم غافل عن دعاء داعيه بنصوص القرآن العزيز الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد فسبحان من أنزل كتابه روحا وهدى ونوراً وبرهاناً يهتدى به من هداه الله الى صراطه المستقيم .

فصل

ثم قال العراقى : ثم ان الوهابية لما رمت المسلمين بهذا المعتقد الذين هم براء منه ساقت على بطلانه ما ذكره الفقهاء فى شرائط النكاح وذلك انهم قالوا لو تزوج رجل امرأة بشهادة الله ورسوله لا ينعقد النكاح وقالت لو كان النبى يعلم نداء المستغيث به اذا ناداه من بعيد لكان علام الغيوب ولصح انعقاد النكاح الذى قال الفقهاء ببطلانه . ثم لم يأت بجواب ينقض على الوهابية إلا عدم حضوره المستغاث عند ندائه وانه لا يعتقد هو والمشركون الداعون غير الله علم الغيب لأحد ثم اعتذر عن عدم انعقاد النكاح انه صيانة لحقوق الزوجية وبما ذكر بعده مما لا ينقض على الوهابية مدعاهم لكن تجارى به كفره وعناده الى أن قال وحينئذ لا يمكن لأحد الخصمين ان يثبت دعواه بشهادة الله ورسوله إذ نحن لو فرضنا ان الله ـ تعالى عما يقول الظالمون ـ جسم ينزل الى السماء الدنيا كما زعمت الوهابية نقول ما جرت عادته تعالى أن ينزل الى غرفة الحاكم فيؤدى شهادته أمامه حسما لنزاع المخاصمين فتعالى الله وتقدس عن كفر هذا العراقى وإلحاده وجرأته على الله وعلى شرعه كيف تجارى به كفره الى هذه المقالة والوهابية لا يقولون ان الله تعالى جسم كما تقدم بيانه بل يثبتون لله تعالى ما أثبته لنفسه وأثبته له رسوله ولا يشبهون الله بخلقه فمن شبه الله بخلقه فقد كفر ومن جحد ما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله فقد كفر وليس ما وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله كفراً .

ثم قال العراقى الملحد : قد علمت أن الوهابية كفرت من نادى غير الله تعالى

كقوله يارسول الله ونحو ذلك ، ونحن إذا أمعنا النظر رأينا أن كفر هذا الذى يقول يارسول الله مثلا لا يخلو إما أن يكون لأنه يعتقد أن من ناداه يحضر بنفسه حين ندائه ويسمع نداءه ويقضى بنفسه له حاجة وينجيه من الورطة التى ناداه من أجلها أو يكون لأنه يعتقد أن الذى يناديه يسمع ندائه باسماع الله إياه بمحض قدرته وان الله تعالى لا غيره يقضى حاجته ببركة ذلك المنادى وأن الله تعالى ينجيه من الورطة التى هو فيها بجاه ذلك النبى وعلى كلا التقديرين ففيه من السقط مافيه .

أما الاول فلأن من اعتقد أن أحداً غير الله تعالى يقضى الحاجة وينجى من الورطة فقد كفر سواء نادى ذلك الاحد أو لم يناده فلا وجه لتخصيص كفره بحالة النداء وأنت تعلم أن لا أحد من المسلمين يعتقد هذا المعتقد ، وأما الثانى فلأن من كان قلبه عريقاً بالايمان معتقداً أن الذى يقضى الحوائج وينجى من المهالك إنما هو الله تعالى لا غيره لا يجوز أن يكون كافراً بمجرد نداء غائب معتقداً أن الله سبحانه يخلق فيه السماع .

(والجواب) أن نقول : إذا نادى المشرك من يدعوه من دون الله فى قضاء حاجة من حوائجه ولينجيه من الورطة التى ناداه من أجلها فقد أشركه مع الله فى عبادته التى هو مختص بها سواء اعتقد حضوره حين نداه وسماعه له أو لم يعتقد أو اعتقد انه يقضى حاجته بنفسه أو لم يعتقد فمن فعل هذا فهو كافر مشرك لأن الله تعالى قد نفى سماع من يدعونه ونفى استجابته لهم وأخبر أن من يدعونه غافلا عن دعائهم قال تعالى (إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير) وقال تعالى (وهم عن دعائهم غافلون وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين) والكفار الجهال يعلمون أن الله هو الخالق وأن الامور كلها بيده ، وأنه النافع الضار وأنه هو الذى يجيب المضطر إذا دعاه ولكنهم ما أرادوا إلا الجاه والشفاعة ممن يدعونه فما يقوله هؤلاء هو كما يقوله من قبلهم من الكافرين سواء بسواء .

واما الجواب عن الثانى فلأن من كان قلبه عريقاً بالايمان لا يدعو مع الله أحداً بل يخلص الدعاء لله وحده ولا يشرك معه أحداً سواه (فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً) فان من دعا مع الله أحداً من خلقه وأشركه معه فى عبادته لا ينفعه اعتقاده إن الله هو القادر على خلق الاشياء وهو يشرك معه غيره (فان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة) .

فصل

قال الملحد : ومن الجهل ماقالته الوهابية هنا من أن الشرع يحكم بالظاهر والظاهر من نداء أحد لغير الله انه يعتقد فى ذلك الغير علماً محيطاً بالغيب وقدرة بالغة على قضاء الحوائج وتصرفاً تاماً فى الكون مما هو مختص بالبارى عز وجل ويكون اعتقاده فى كفره كفراً وشركا .

قال : والجواب أن الظاهر من حال من نادى غير الله تعالى يدل على أنه نادى غير الله فقط لأنه اعتقد فى ذلك الغير قدرة ، وقضاء للحوائج وغير ذلك مما ذكرته الوهابية ، والاعتقاد أمر باطنى قد يدل بعض الظاهر عليه لكن النداء ليس من قبيلها ، فقل للوهابية التى تجعل ظاهر النداء دالا على الشرك والكفر مالكم لا تنظرون الى ما للمسلم الذى تكفرونه من ظاهر الصلاة والصوم والزكاة وغير ذلك من أركان الدين ، فتعدونه دالا على ايمانه ، وحسن اعتقاده ومن العجيب أن ذلك المسلم الذى ينادى يصرح بعدم اعتقاده القدرة وما شاكلها لمن ناداه وأنتم مع ذلك تجعلون ظاهر ندائه دالا على ذلك الاعتقاد الذى نفاه عن نفسه ، فليت شعرى أى حكم لاستدلالكم بظاهر نداء الرجل على سوء اعتقاده فى مقابلة تصريحه لكم بحسن ما يعتقده .

(والجواب) أن نقول : سبحان من طبع على قلوب أعدائه حتى رأوا حسنا ما ليس بالحسن فان من نادى غير الله ودعاه والتجأ اليه واستغاث به لايدعوه ولا يلجأ اليه ، ويستغيث به الا لما يعتقد أنه ينفعه ويسمع دعاءه ويغيثه ، لأن الاستغاثة

طلب الغوث ، وهو ازالة الشدة ، واذا طلب العبد هذا من غير الله فقد أشرك بالله فى عبادته غيره ، لأن الله هو المختص بهذه الأشياء سواء اعتقد التأثير منه أو لم يعتقد ولا ينفعه ذلك مع وجود الشرك ، والنداء المجرد من غير اعتقاد لا يتصور وقوعه إلا من مجذوب العقل الذى ينطق بما لا يعقل .

(وأما قوله) « مالكم لا تنظرون الى ما المسلم الذى تكفرونه من ظاهر الصلاة والصوم والزكاة الى آخره » .

(فنقول) اذا أشرك بالله فى عبادته غيره لا تنفعه الصلاة والصوم والزكاة وغيرها من الأعمال الظاهرة ، ولا تدل على حسن باطنه وهو عرى من التقوى واخلاص الدين لله وحده ، قال الله تعالى (وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءاً منثورا) يوضحه أن المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله ﷺ يشهدون أن لا إله الا الله وأن محمداً رسول الله ويصلون ويصومون ويزكون ويجاهدون مع النبى ﷺ ، ولم يكن ظاهر الشهادتين والصلاة والصوم والزكاة والجهاد دالا على حسن اعتقادهم ، بل كانوا فى الدرك الأسفل من النار تحت عبدة الأوثان والصلبان .

وأما جعلنا ظاهر ندائه دالا على ذلك الاعتقاد ، وان نفاه عن نفسه فلأنه لا يكون فى العقل أن من دعا غير الله لا يعتقد أنه لا يرجو بدعائه طلب نفع أو دفع ضر أو قضاء حاجة ممن يدعوه ، فاذا اعتقد ذلك فيمن يدعوه فلا ينفعه . ان ذلك انما يكون ببركة من يدعوه لجاهه عند الله وان الله هو الفاعل لذلك خلقاً وإيجاداً مع وجود السبب الداعى الى الشرك المنافى للتوحيد لأنه لا فرق بين الدعاء والنداء ، فمن دعا أو نادى غير الله فقد أشرك ذلك المنادى المدعو مع الله فى عبادته لأن المشركين الاولين لم يريدوا إلا الشفاعة بجاه من يدعونه وبركته .

(قال العراقى الملحد) ـــ الوهابية وتكفيرها من زار القبور ـــ

لو سأل سائل عما تمذهبت به الوهابية ماهو وعن غايته ما هى فقلنا فى جو[اب] كلا السؤالين هو تكفير كافة المسلمين لكان جوابا على اختصاره تعريفاً كافيا

لمذهبها ، وان من أنعم النظر فيما جاءت به رآها تتحرى فى كل مسألة تكفير كافة المسلمين الذين رضى الله لهم الاسلام ديناً فقد كفرتهم لتنزيههم الله تعالى عن الجسمية ، وكفرتهم لتقليدهم الأئمة المجتهدين فى الدين وكفرتهم لاستشفاعهم بنبيهم ﷺ بعد موته وتوسلهم به الى الله تعالى وكفرتهم لزيارة القبور .

(والجواب) أن نقول : الله أكبر على هؤلاء الملاحدة الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا ويفسدون فى الارض والله لا يحب المفسدين ، فلو سأل سائل عما تمذهبت به هؤلاء الغلاة النافون لعلو الله على عرشه المعطلون لأسمائه وصفاته الجاحدون لصفات كماله ، ونعوت جلاله ، المشركون بالله فى عبادته غيره من مخلوقاته ، وعن غاية ما تريد بذلك قلنا هو الكفر الذى أجمع المسلمون على كفر من قام به ذلك ، ونطق القرآن والسنة بكفر من فعل ذلك واعتقده كما قدمناه بأدلته من الكتاب والسنة واجماع العلماء .

وأما الوهابية : فيعتقدون أن الدين الذى رضيه الله للمسلمين هو دين الاسلام ومنه أن الله تعالى على عرشه ، بائن من خلقه ، ويعتقدون أن الله تعالى له وجه ويدان ، وأن الله تعالى يرى فى الآخرة كما يُرى القمر ليلة البدر ، وكما ترى الشمس صحواً ليس من دونها سحاب ، وأن الله ينزل الى السماء الدنيا كل آخر ليلة فينادى هل من سائل فأعطيه ، هل من مستغفر فأغفر له ، هل من داع فأجيبه حتى ينفجر الفجر ، وأن الله يشار اليه بالاصبع اشارة حسية ، كما أشار اليه أعرف الخلق به فى أعظم مجمع وجد على ظهر الارض ، وأن الله تعالى يوم القيامة يجعل السموات على اصبع ، والارضين على اصبع ، والشجر على اصبع ، والماء على اصبع ، والثرى على اصبع ، وسائر الخلق على اصبع ، فيقول أنا الملك كما صحت بذلك الاحاديث عن رسول الله ﷺ ، الى غيره مما جاء فى الكتاب والسنة مما وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله من غير تشبيه ولا تمثيل ، ومن غير تكييف ولا تعطيل . وأما الجسمية فلا يقولون بها نفياً ولا اثباتا ، لأنه يراد بها معنى صحيح ومعنى باطل ولأنه لم يرد بذلك قرآن ولا سنة ولا نطق بذلك الصحابة ولا التابعون ولا الأئمة المهتدون ، وأما زعمه

أنهم كفروا من أخذ بالاجماع وكفروا من قلد الأئمة المجتهدين ، فمن الكذب الواضح والافك الفاضح ، وأما تكفيرهم من دعا الانبياء والاولياء والصالحين والتجأ اليهم واستغاث بهم فى مهماته وملماته ، وسمى ذلك تشفعاً وتوسلا فلكون ذلك هو الشرك الصريح المخرج من الملة بدلائل الكتاب والسنة واجماع علماء الأمة من أئمة السلف ومن تبعهم باحسان بعد قيام الحجة على من فعل ذلك .

فصل

(قال الملحد) لا يخفى على البصير أن زائر القبور يقصد بزيارتها ، اما الاستشفاع والتوسل الى الله بأصحابها والتبرك بهم ، كما فى زيارة قبور الانبياء والاولياء ، وأما الاعتبار بالقوم الماضين تمكينا للخضوع من قلبه ونيلا للأجر بقراءة الفاتحة والدعاء لهم بالمغفرة ، كما فى زيارة قبور المسلمين أو يقصد تذكر من مات من ذويه الاقربين وأحبائه الراحلين وأعزته الذين غالتهم يد المنون فأسكنتهم القبور بعد القصور فذهبوا عنه ذهابا ليس وراءه إياب وغادروه كئيباً يندب الأسى ولسان حاله يقول :

ألا يا راحلا عنا مجدا ... على مهل فديتك من مجد
فلا تعجل وسر سير الهوينا ... لأنك راحل من غير عود

وتدفعه احساساته الى زيارة قبورهم فيقف على دوارس أجداثهم حزينا يسكب على ترابها عبرات الاسف ولسان حاله ينشد :

ذهب الذين أحبهم ... وبقيت مثل السيف فردا
كم من أخ لى صالح ... بوءته بيدى لحدا

وليس فى كل هذا ما يستلزم تكفير المسلم الذى شهد أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله ولا أظن أن الجاهل الغر من الناس فضلا عن العالم المتشرع تدفعه جهالته أن يقصد بزيارة القبر عبادته ، وأن يعتقد كونه يقضى حاجته فيخلق له ما يريد .

(والجواب) أن يقال : لا يخفى على البصير أن زائر القبور يقصد بزيارتها

الاستشفاع والتوسل إلى الله بأصحابها والتبرك بهم ، كما فى زيارة قبور الانبياء والأولياء ودعائهم هى الزيارة الشركية التى ذكرها العلماء كما قال ابن القيم رحمه الله تعالى فى إغاثة اللهفان « وأما الزيارة الشركية فأصلها مأخوذ من عباد الاصنام قالوا الميت المعظم الذى لروحه قرب ومنزلة ومزية عند الله تعالى لا يزال تأتيه الالطاف من الله تعالى ويفيض على روحه الخيرات ، فاذا علق الزائر روحه به وأدناه منه فاض من روح المزور على روح الزائر من تلك الالطاف بواسطتها كما ينعكس الشعاع من المرآة الصافية والماء ونحوه على الجسم المقابل له ، قالوا : فتمام الزيارة أن يتوجه الزائر وبروحه وقلبه إلى الميت ويعكف بهمته عليه ويوجه قصده كله واقباله عليه بحيث لا يبقى فيه التفات إلى غيره وكلما كان جمع الهمة والقلب عليه أعظم كان أقرب إلى انتفاعه ، وقد ذكر هذه الزيارة على هذا الوجه ابن سينا والفارابى وغيرهما ، وصرح بها عباد الكواكب فى عبادتها وقالوا إذا تعلقت النفس الناطقة بالأرواح العلوية فاض عليها منها النور ، وبهذا السر عبدت الكواكب واتخذت لها الهياكل وصنفت لها الدعوات واتخذت الأصنام المجسدة لها ، وهذا بعينه هو الذى أوجب لعباد القبور اتخذها أعياداً وتعليق الستور عليها ، وايقاد السرج عليها ، وبناء المساجد عليها ، وهو الذى قصد رسول الله ﷺ إبطاله ومحوه بالكلية ، وسد الذرائع المفضية اليه ، فوقف المشركون فى طريقه وناقضوه فى قصده ، وكان ﷺ فى شق وهؤلاء فى شق ، وهذا الذى ذكره هؤلاء المشركون فى زيارة القبور هو الشفاعة التى ظنوا ان آلهتهم تنفعهم بها وتشفع لهم عند الله تعالى ، قالوا : فان العبد إذا تعلقت روحه بروح الوجيه المقرب عند الله وتوجه بهمته اليه وعكف بقلبه صار بينه وبينه اتصال يفيض به عليه منه نصيب مما يحصل له من الله وشبهوا ذلك بمن يخدم ذا جاه وحظوة وقرب من السلطان فهو شديد التعلق به فما يحصل لذلك السلطان من الانعام والافضال ينال ذلك المتعلق به بحسب تعلقه به ، فهذا سر عبادة الاصنام ، وهو الذى بعث الله رسله وأنزل كتبه بابطاله وتكفير أصحابه ولعنهم وأباح دماءهم وأموالهم وسبى ذراريهم وأوجب لهم النار ،

والقرآن من أوله إلى آخره مملوء من الرد على أهله وإبطال مذهبهم ، قال تعالى (أم اتخذوا من دون الله شفعاء ؟ قل : أو لو كانوا لا يملكون شيئاً ولا يعقلون ، قل : لله الشفاعة جميعاً له ملك السموات والأرض) فأخبر ان الشفاعة لمن له ملك السموات والأرض وهو الله وحده ، فهو الذى يشفع بنفسه الى نفسه ليرحم عبده ، فيأذن هو لمن يشاء ان يشفع فيه فصارت الشفاعة فى الحقيقة انما هى له والذى يشفع عنده انما يشفع باذنه له وأمره بعد شفاعته سبحانه وهى ارادته من نفسه ان يرحم عبده ، وهذا ضد الشفاعة الشركية التى أثبتها هؤلاء المشركون ومن وافقهم ، وهى التى أبطلها سبحانه فى كتابه بقوله (واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة) وقوله (يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتى يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة) وقال تعالى (وانذر به الذين يخافون أن يحشروا الى ربهم ليس لهم من دونه ولىّ ولا شفيع لعلهم يتقون) وقال (الله الذى خلق السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام ثم استوى على العرش مالكم من دونه من ولىّ ولا شفيع) فأخبر سبحانه انه ليس للعباد شفيع من دونه ، بل إذا أراد الله سبحانه رحمة عبده أذن هو لمن يشفع فيه كما قال تعالى (مامن شفيع الا من بعد إذنه) وقال تعالى (من ذا الذى يشفع عنده إلا باذنه) فالشفاعة باذنه ليست شفاعة من دونه ولا الشافع شفيعاً من دونه بل شفيع باذنه والفرق بين الشفيعين كالفرق بين الشريك والعبد المأمور ، فالشفاعة التى أبطلها شفاعة الشريك فانه لا شريك له والتى أثبتها شفاعة العبد المأمور الذى لا يشفع ولا يتقدم بين يدى مالكه حتى يأذن له ويقول اشفع فى فلان ، ولهذا كان أسعد الناس بشفاعة سيد الشفعاء يوم القيامة أهل التوحيد الذين جردوا التوحيد وأخلصوه من تعلقات الشرك وشوائبه ، وهم الذين ارتضى الله سبحانه قال تعالى (ولا يشفعون إلا لمن ارتضى) وقال (يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضى له قولا) فأخبر انه لا يحصل يومئذ شفاعة تنفع الا بعد رضاه قول المشفوع له وإذنه للشافع فيه ، فأما المشرك فانه لا يرتضيه ولا يرضى

قوله فلا يأذن للشفعاء أن يشفعوا فيه ، فانه سبحانه علقها بأمرين : رضاه عن المشفوع له ، واذنه للشافع ، فما لم يوجد مجموع الامرين لم توجد الشفاعة ، وسر ذلك ان الامر كله لله وحده ، فليس لأحد معه من الامر شيء ، وأعلى الخلق وأفضلهم وأكرمهم عنده هم الرسل والملائكة المقربون ، وهم عبيد محض لا يسبقونه بالقول ولا يتقدمون بين يديه ولا يفعلون شيئاً إلا بعد اذنه لهم وأمرهم ولا سيما يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً فهم مملوكون مربوبون ، أفعالهم مقيدة بأمره واذنه فاذا أشرك بهم المشرك واتخذهم شفعاء من دونه ظنا منه انه إذا فعل ذلك تقدموا وشفعوا له عند الله فهو أجهل الناس بحق الرب سبحانه وما يجب له ويمتنع عليه ، فان هذا ممتنع شبيه قياس الرب تعالى على الملوك والكبراء حيث يتخذ الرجل من خواصهم وأوليائهم من يشفع له عندهم فى الحوائج ، وبهذا القياس الفاسد عبدت الاصنام واتخذ المشركون من دون الله الشفيع والولىّ ، والفرق بينهما هو الفرق بين المخلوق والخالق والرب والعبد والمالك والمملوك والغنى والفقير والذى لا حاجة به إلى أحد قط والمحتاج من كل وجه إلى غيره ، فالشفعاء عند المخلوقين هم شركاؤهم فان قيام مصالحهم بهم وهم أعوانهم وأنصارهم الذين قيام الملك والكبراء بهم ، ولولاهم ما انبسطت أيديهم وألسنتهم فى الناس ، فلحاجتهم اليهم يحتاجون الى قبول شفاعتهم وإن لم يأذنوا فيها ولم يرضوا عن الشافع لأنهم يخافون أن يردوا شفاعتهم فتنقص طاعتهم لهم ويذهبون الى غيرهم فلا يجدون بدّاً من قبول شفاعتهم على الكره والرضا ، فأما الغنى الذى غناه من لوازم ذاته وكل ماسواه فقير اليه بذاته وكل من فى السموات والارض عبيد له مقهورون بقهره مصرفون بمشيئته لو أهلكهم جميعاً لم ينقص من عزه وسلطانه وملكه وربوبيته وآلهيته مثقال ذرة . وذكر آيات فى المعنى ، ثم قال ـ فتبين ان الشفاعة التى نفاها الله سبحانه فى القرآن هى هذه الشفاعة الشركية التى يعرفها الناس ويفعلها بعضهم مع بعض ، ولهذا يطلق نفيها تارة بناء على أنها هى المعروفة المتعاهدة عند الناس ، ويقيدها تارة بأنه لا تنفع إلا بعد إذنه ـ الى أن قال : فمتخذ الشفيع مشرك لاتنفعه شفاعته ولا يشفع فيه ومتخذ الرب

وحده آلهه ومعبوده ومحبوبه ومرجوه ومخوفه الذى يتقرب اليه ويطلب رضاه ويتباعد من سخطه هو الذى يأذن الله سبحانه للشفيع أن يشفع فيه ، وذكر الآيات فى ذلك وذكر كلاماً حسناً تركناه لطلب الاختصار .

(وأما قوله) واما الاعتبار بالقوم الماضين الى آخره .

(فأقول) قد ذكر ابن القيم رحمه الله تعالى الزيارة الشرعية وليس لنا أن نتقدم بين يديه لأنه قد جاء بما يكفى ويشفى وهو من أئمة المسلمين والعلماء المجتهدين ، قال رحمه الله تعالى بعد ذكر المفاسد العظيمة باتخاذ القبور أعياداً « ومنها أن الذى شرعه الرسول ﷺ عند زيارة القبور انما هو تذكر الآخرة والاحسان الى المزور بالدعاء والترحم عليه والاستغفار له وسؤال العافية له فيكون الزائر محسناً الى نفسه والى الميت فقلب المشركون هذا الامر وعكسوا الدين وجعلوا المقصود بالزيارة الشرك بالميت ودعاءه والدعاء به وسؤالهم حوائجهم واستنزال البركات منه ونصره لهم على الاعداء ونحو ذلك فصاروا مسيئين الى نفوسهم والى الميت ولو لم يكن إلا مجرد مابه تركه ماشرعه الله من الدعاء له والترحم عليه والاستغفار له فاسمع الآن زيارة أهل الايمان التى شرعها الله تعالى على لسان رسوله ﷺ ثم وازن بينها وبين زيارة أهل الاشراك التى شرعها لهم الشيطان واختر لنفسك ، قالت عائشة رضى الله عنها كان رسول الله ﷺ إذا كان ليلتى منه يخرج من آخر الليل الى البقيع فيقول « السلام عليكم دار قوم مؤمنين وأتاكم ما توعدون غداً مؤجلون وانا ان شاء الله بكم لاحقون اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد » رواه مسلم وفى صحيحه عنها أيضاً أن جبريل أتاه فقال ان ربك يأمرك أن تأتى أهل البقيع فتستغفر لهم ، قالت : قلت كيف أقول يا رسول الله ، قال : قولى « السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ويرحم الله المستقدمين والمستأخرين وانا ان شاء الله بكم لاحقون » .

وفى صحيحه أيضاً عن سليمان بن بريدة عن أبيه قال : كان رسول الله ﷺ يعلمهم اذا خرجوا الى المقابر أن يقولوا « السلام على أهل الديار

وفى لفظ السلام عليكم أهل الديار ـ من المؤمنين والمسلمين وانا ان شاء بكم لاحقون نسأل الله لنا ولكم العافية » وعن بريدة قال : قال رسول ﷺ «كنت نهيتكم عن زيارة القبور فمن أراد أن يزور فليزر ولا تقولوا هجرا » رواه أحمد والنسائى وكان رسول الله ﷺ قد نهى الرجال عن زيارة القبور سداً للذريعة فلما تمكن التوحيد فى قلوبهم أذن لهم فى زيارتها على الوجه الذى شرعه ونهاهم أن يقولوا هجرا فمن زارها على غير الوجه المشروع الذى يحبه الله ورسوله فان زيارته غير مأذون فيها ومن أعظم الهجر الشرك عندها قولا وفعلا وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « زوروا القبور فانها تذكركم الموت » ثم ذكر أحاديث نحوا مما تقدم ثم قال فهذه الزيارة التى شرعها رسول الله ﷺ لأمته وعلمهم اياها هل تجد فيها مما يعتمده أهل الشرك والبدع أم تجدها مضادة لما هم عليه من كل وجه وما أحسن ما قال مالك بن أنس رحمه الله لن يصلح آخر هذه الامة إلا ما أصلح أولها ولكن كلما ضعف تمسك الامم بعهود أنبيائهم عوضوا عن ذلك بما أحدثوه من البدع والشرك ولقد جرد السلف الصالح التوحيد وحموا جانبه حتى كان أحدهم اذا سلم على النبى ﷺ ثم أراد الدعاء استقبل القبلة وجعل ظهره الى جدار القبر ثم دعا فقال سلمة بن وردان رأيت أنس بن مالك رضى الله عنه يسلم على النبى ﷺ ثم يسند ظهره الى جدار القبر ثم يدعو ونص على ذلك الأئمة الاربعة أنه يستقبل القبلة وقت الدعاء حتى لا يدعو عند القبر فان الدعاء عبادة وفى الترمذى وغيرها مرفوعاً الدعاء هو العبادة ولم يفعلوا عند القبور منها إلا ما أذن فيه رسول الله ﷺ السلام على أصحابها والاستغفار لهم والترحم عليهم و[illegible] الة فالميت قد انقطع عمله فهو محتاج الى من يدعو له ويشفع له ولهذا شرع فى الصلاة عليه من الدعاء له وجوباً أو استحباباً ما لم يشرع مثله فى الدعاء للحى قال عوف بن مالك صلى رسول الله ﷺ على جنازة فحفظت من دعائه وهو يقول « اللهم اغفر له وارحمه وعافه واعف عنه واكرم نزله ووسع مدخله واغسله بالماء والثلج والبرد ونقه من الخطايا كما نقيت الثوب الابيض من الدنس وابدله داراً خيراً من داره

واهلا خيراً من أهله وزوجا خيراً من زوجه وادخله الجنة وأعذه من عذاب القبر أو من عذاب النار » حتى تمنيت أن أكون أنا الميت لدعاء رسول الله ﷺ على ذلك الميت رواه مسلم وذكر أحاديث نحو هذا ثم قال فهذا مقصود الصلاة على الميت وهو الدعاء له والاستغفار له والشفاعة فيه ومعلوم أنه فى قبره أشد حاجة منه على نعشه فانه حينئذ معرض للسؤال وغيره وقد كان عليه السلام يقف على القبر بعد الدفن فيقول « سلوا له التثبيت فانه الآن يسأل فعلم انه أحوج الى الدعاء له بعد الدفن فاذا كنا على جنازته ندعو له لا ندعو به ونشفع له لا نستشفع به فبعد الدفن أولى وأحرى فبدل أهل البدع والشرك قولا غير الذى قيل لهم بدلوا الدعاء له بدعائه نفسه والشفاعة له بالاستشفاع به وقصدوا بالزيارة التى شرعها رسول الله صلى الله عليه وسلم إحسانا إلى الميت واحسانا الى الزائر وتذكيراً بالآخرة سؤال الميت والاقسام به على الله وتخصيص تلك البقعة بالدعاء الذى هو مخ العبادة وحضور القلب عندها وخشوعه أعظم منه فى المساجد وأوقات الأسحار ومن المحال أن يكون دعاء الموتى أو الدعاء بهم أو الدعاء عندهم مشروعا وعملا صالحا ويصرف عنه القرون الثلاثة المفضلة بنص رسول الله ﷺ ثم يرزقه الخلوف الذين يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرن فهذه سنة رسول الله ﷺ فى أهل القبور بضعا وعشرين سنة حتى توفاه الله تعالى وهذه سنة خلفائه الراشدين وهذه طريقة جميع الصحابة والتابعين لهم باحسان هل يمكن بشراً على وجه الارض أن يأتى عنهم بنقل صحيح أو حسن أو ضعيف أو منقطع انهم كانوا اذا كان لهم حاجة قصدوا القبور فدعوا عندها وتمسحوا فضلا أن يصلوا عندها أو يسألوا الله باصحابها أو يسألوهم حوائجهم فليوقفونا على أثر واحد أوحرف واحد فى ذلك بل يمكنهم أن يأتوا عن الخلوف التى خلفت بعدهم بكثير من ذلك وكلما تأخر الزمان وطال العهد كان ذلك أكثر حتى لقد وجد فى ذلك مصنفات ليس فيها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عن خلفائه الراشدين ولا عن أصحابه حرف واحد من ذلك بل فيها من خلاف ذلك كثير كما قدمناه

من الأحاديث وأما آثار الصحابة فأكثر من أن يحاط بها ، ثم ذكر رحمه الله قصة الرجل الذى وجد فى بيت مال الهرمزان ثم قال : فى هذه القصة ما فعله المهاجرون والأنصار من تعمية قبره لئلا يفتتن به الناس ولم يبرزوه للدعاء عنده والتبرك به ولو ظفر به المتأخرون لجالدوا عليه بالسيوف ولعبدوه من دون الله فهم قد اتخذوا من القبور أوثاناً من لا يدانى هذا ولا يقاربه وأقاموا له سدنة وجعلوها معابد أعظم من المساجد فلو كان الدعاء عند القبور والصلاة عندها والتبرك بها فضيلة أو سنة أو مباحا لنصب المهاجرون والانصار هذا القبر علماً لذلك دعوا عنده وسنوا ذلك لمن بعدهم ولكن كانوا أعلم بالله ورسوله ودينه من الخلوف التى خلفت بعدهم وكذلك التابعون لهم باحسان راحوا على هذا السبيل وقد كان عندهم من قبور أصحاب رسول الله ﷺ بالأمصار عدد كثير وهم متوافرون فما منهم من استغاث عند قبر صاحب ولا دعاه ولا دعا به ولا عنده ولا استسقى به ولا استنصر به ومعلوم أن مثل هذا مما تتوفر الهمم والدواعى على نقله بل على نقل ما هو دونه وحينئذ فلا يخلو إما أن يكون الدعاء عندها والدعاء بأربابها أفضل منه فى غير تلك البقعة أو لا يكون فان كان أفضل فكيف خفى علما وعملا عن الصحابة والتابعين وتابعيهم فتكون القرون الثلاثة الفاضلة جاهلة بهذا الفضل العظيم وتظهر به الخلوف علماً وعملا ولا يجوز أن يعلموه ويزهدوا فيه مع حرصهم على كل خير لا سيما الدعاء فان المضطر يتشبث بكل سبب وان كان فيه كراهة ما فكيف يكونون مضطرين فى كثير من الدعاء وهم يعلمون فضل الدعاء عند القبور ثم لا يقصدونه هذا محال طبعاً وشرعاً فتعين القسم الثانى وهو انه لا فضل للدعاء عندها ولا مشروع ولا مأذون فيه بقصد الخصوص بل تخصيصها بالدعاء عندها ذريعة الى ما تقدم من المفاسد ومثل هذا مما لا يشرعه الله ورسوله البتة بل استحباب الدعاء عندها شرع عبادة لم يشرعها الله ولم ينزل بها سلطانا . الى آخر الفصل . فهذا كلامه رحمه الله فى الدعاء عندها والدعاء بأربابها فكيف بدعائهم وطلب الحوائج منهم والاستغاثة بهم كما تقدم فى أول كلامه .

فصل

ونذكر نموذجا من معتقد عباد القبور والصالحين وحقيقة ما هم عليه من الدين ليعلم الواقف عليه أى الفريقين أحق بالأمن ان كان الواقف ممن اختصه الله بالفضل والمن ولئلا يلتبس الامر بتسميتهم لكفرهم ومحالهم تشفعاً وتوسلا قال ابن القيم رحمه الله فى إغاثة اللهفان « فمن مفاسد اتخاذها أعياد الصلاة اليها والطواف بها وتقبيلها واستلامها وتعفير الخدود على ترباتها وعبادة أصحابها والاستغاثة بهم وسؤالهم النصر والرزق والعافية وقضاء الديون وتفريج الكربات وإغاثة اللهفات وغير ذلك من أنواع الطلبات التى كان عباد الاوثان يسألونها أوثانهم فلو رأيت غلاة المتخذين لها عيداً وقد نزلوا عن الاكوار والدواب اذا رأوها من مكان بعيد فوضعوا لها الجباه وقبلوا الارض وكشفوا الرؤوس وارتفعت أصواتهم بالضجيج وتباكوا حتى تسمع لهم النشيج ورأوا انهم قد أربوا فى الربح على الحجيج فاستغاثوا بمن لا يبدى ولا يعيد ونادوا ولكن من مكان بعيد حتى اذا دنوا منها صلوا عند القبر ركعتين ورأوا انهم قد أحرزوا من الاجر ولا أجر من صلى الى القبلتين فتراهم حول القبر ركعاً سجداً يبتغون فضلا من الميت ورضوانا وقد ملأوا أكفهم خيبة وخسرانا فلغير الله بل للشيطان مايراق هناك من العبرات ويرتفع من الاصوات ويطلب من الميت من الحاجات ويسأل من تفريج الكربات واغناء ذوى الفاقات ومعافاة أولى العاهات والبليات ثم انبثوا بعد ذلك حول القبر طائفين تشبيهاً له بالبيت الحرام الذى جعله الله مباركا وهدى للعالمين ثم أخذوا فى التقبيل والاستلام أرأيت الحجر الأسود وما يفعل به وفد البيت الحرام ثم عفروا لديه تلك الجباه والخدود التى يعلم الله انها لم تعفر كذلك بين يديه فى السجود ثم كملوا مناسك حج القبر بالتقصير هناك والحلاق واستمتعوا بخلاقهم من ذلك الوثن اذ لم يكن لهم عند الله من خلاق وقربوا لذلك الوثن القرابين وكانت صلاتهم ونسكهم وقربانهم لغير الله رب العالمين . فلو رأيتهم يهنى بعضهم بعضا ويقول أجزل الله لنا ولكم أجراً

وافراً وحظا فاذا رجعوا سألهم غلاة المتخلفين أن يبيع أحدهم ثواب حجة القبر بحج المتخلف الى البيت الحرام فيقول : لا ، ولو بحجك كل عام هذا ولم نتجاوز فيما حكيناه عنهم ولا استقصينا جميع بدعتهم وضلالهم ، اذ هى فوق ما يخطر بالبال أو يدور فى الخيال وهذا كان مبدأ عبادة الاصنام فى قوم نوح ، كما تقدم وكل من شم أدنى رائحة من العلم والفقه يعلم أن من أهم الأمور سد الذريعة الى هذا المحذور وان صاحب الشرع أعلم بعاقبة ما نهى عنه وما يؤول اليه وأحكم فى نهيه عنه وتوعده عليه وأن الخير والهدى فى اتباعه وطاعته والشر والضلال فى معصيته ومخالفته » ثم ذكر رحمه الله كلاماً طويلا .

وقال شيخنا الشيخ عبد اللطيف قدس الله روحه . ومما بلغنا عن بعض علماء زبيد أن رجلين قصدا الطائف فقال أحدهما لصاحبه والمسئول ممن يترشح للعلم: أهل الطائف لا يعرفون الله إنما يعرفون ابن عباس فأجابه بأن معرفتهم لابن عباس كافية لأنه يعرف الله فأى ملة صان الله ملة الاسلام لا تمانع هذه الكفريات ولا تدافعها ، وذكر الزبيدى أيضاً أن رجلا كان بمكة عند بعض المشاهد قال لمن عنده أريد الذهاب إلى الطواف ، فقال بعض غلاتهم : مقامك هاهنا أكرم ومن وقف على كتاب مناقب الاربعة المعبودين بمصر وهم البدوى والرفاعى والدسوقى ورابعهم فيما أظن أبو العلاء فقد وقف على ساحل كفرهم وعرف صفة إفكهم ، قال : وقد اجتمع جماعة من الموحدين من أهل الاسلام فى بيت رجل من أهل مصر وبقربه رجل يدعى العلم فأرسل اليه صاحب البيت فسأله بجمع من الحاضرين فقال له كم يتصرف فى الكون ، قال يا سيدى سبعة ، قال من هم ؟ قال فلان وفلان وعدّ أربعة من المعبودين بمصر ، فقال صاحب الدار لمن بحضرته من الموحدين انما بعثت لهذا الرجل وسألته لأعرفكم قدر ما أنتم فيه من نعمة الاسلام أو كلاما نحو هذا . قال : وقد ذكر هذا شيخ الاسلام فى منهاجه عن غلاة الرافضة فى علىّ فعاد الامر إلى الشرك فى توحيد الربوبية والتدبير والتأثير ولم يبلغ شرك الجاهلية الاولى الى هذه الغاية بل ذكر الله جل ذكره أنهم يعترفون له بتوحيد الربوبية ويقرون به ولذلك احتج عليهم

فى غير موضع من كتابه بما أقروا به من الربوبية والتدبير على ما أنكروه من الالهية ومن ذلك وهو من عجيب أمرهم ما ذكره حسين بن محمد النعمى فى بعض رسائله أن امرأة كف بصرها فنادت وليها أما الله فقد صنع ما ترى ولم يبق إلا حسبك ، انتهى .

قال الشيخ وحدثنى سعد بن عبد الله بن سرور الهاشمى رحمه الله أن بعض المغاربة قدموا مصر يريدون الحج فذهبوا إلى الضريح المنسوب إلى الحسين رضى الله عنه بالقاهرة فاستقبلوا القبر وأحرموا ووقفوا وركعوا وسجدوا لصاحب القبر حتى أنكر عليهم سدنة المشهد وبعض الحاضرين ، فقالوا هذا محبة فى سيدنا الحسين . وذكر بعض المؤلفين من أهل اليمن أن مثل هذا وقع عندهم وحدثنى الشيخ خليل الرشيدى بالجامع الازهر أن بعض أعيان المدرسين هناك قال : لا يدق وتد فى القاهرة إلا باذن أحمد البدوى قال ، فقلت له : هذا لا يكون إلا الله أو كلاما نحو هذا فقال حى فى سيدى احمد البدوى اقتضى هذا .

وحكى أن رجلا سأل الآخر كيف رأيت الجمع عند زيارة الشيخ الفلانى فقال لم أر اكثر منه إلا فى جبال عرفات إلا انى لم أرهم سجدوا لله سجدة قط ولا صلوا مدة ثلاثة أيام فقال السائل قد تحملها الشيخ قال بعض الافاضل وباب تحمل الشيخ مصراعاه ما بين بصرى وعدن قد اتسع خرقه وتتابع فتقه ونال رشاش زقومه الزائر والمعتقد وساكن البلد ، انتهى .

قلت وحدثنى الشيخ اسحاق انه رأى ايام رحلته الى مصر للطلب هذا المجمع العظيم الذى يسمونه مولد احمد البدوى فذكر انه اعظم مما رآه فى جبال عرفات قال ورأيت فيه سوقا طويلا للبغايا اللواتى أوقفن أنفسهم للزنا فى هذا المجمع صدقة لسيدهن احمد البدوى وليس هذا بعجيب ولا غريب من فعلهم فانه يجرى منهم فى ذلك الجمع من الكفر بالله والاشراك به مالم يصل إلى ساحله كفر ابى جهل وأشياعه فالله المستعان .

وأما قول العراقى : وأما الاعتبار بالقوم الماضين تمكيناً للخضوع من قلبه ونيلا للأجر بقراءة الفاتحة .

(فأقول) أما قراءة الفاتحة فمن البدع المحدثة ولو كان فى قراءتها نيل للأجر فى ذلك المكان لأمر بها رسول الله ﷺ أصحابه .

(وأما قوله) وليس فى كل هذا ما يستلزم تكفير المسلم الى آخره (فيقال) لهذا إن طلب الحوائج من الموتى والاستشفاع بهم والاستغاثة بهم ناقض لشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، ولا تنفعه الشهادتان مع الاشراك بالله شيئاً وقد تقدم بيان ذلك .

فصل

(ثم ذكر العراقى) اختلاف العلماء فى شد الرحال الى المشاهد .

وهذه المسألة قد فرغ منها فمن أراد الوقوف على الصحيح من كلام العلماء فهو مبسوط فى رد شيخ الاسلام على ابن الاخنائى ورد الحافظ بن عبد الهادى على السبكى والحق فى ذلك واضح فلاحاجة بنا الى التطويل بذكره مع وضوحه فى كلام العلماء المحققين .

وقد قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله : وأما السفر الى مجرد زيارة قبر الخليل أو غيره من مقابر الانبياء ، والصالحين ، ومشاهدهم ، وآثارهم فلم يستحبه أحد من أئمة المسلمين لا الاربعة ولا غيرهم ، بل لو نذر ذلك ناذر لم يجب عليه الوفاء بهذا النذر عند الائمة الاربعة ، وغيرهم بخلاف المساجد الثلاثة ، فانه اذا نذر الحج أو العمرة لزمه باتفاق المسلمين ، واذا نذر السفر الى المسجدين الآخرين لزمه عند أكثرهم كمالك ، واحمد ، والشافعى فى أظهر قوليه لقول النبى ﷺ « من نذر أن يطيع الله فليطعه ، ومن نذر أن يعصى الله فلا يعصه » رواه البخارى . وانما يجب الوفاء بنذر كل ما كان طاعة مثل من نذر صلاة ، او صوما او إعتكافا او صدقة لله او حجا ، ولهذا لا يجب بالنذر السفر الى غير المساجد الثلاثة لأنه ليس بطاعة لقول النبى ﷺ « لا تشد الرحال إلا لثلاثة مساجد » فغير المساجد أولى بالمنع مع ان قوله لا تشد الرحال إلا لثلاثة مساجد يتناول السفر الى كل بقعة مقصودة بخلاف السفر للتجارة

وطلب العلم ونحو ذلك ، فان السفر لطلب تلك الحاجة حيث كان ، وكذلك السفر لزيارة الاخ فى الله ، فانه هو المقصود حيث كان ، وقد ذكر بعض المتأخرين من العلماء أنه لا يأس بالسفر الى المشاهد واحتجوا بأن النبى ﷺ كان يأتى قباء كل سبت راكبا وماشيا . أخرجاه فى الصحيحين ولا حجة لهم فيه لأن قباء ليس مشهدا بل مسجد وهو منهى عن السفر اليها باتفاق الائمة لأن ذلك ليس بسفر مشروع ، بل لو سافر الى قباء من دويرة أهله لم تجز ، ولكن لو سافر الى المسجد النبوى ثم ذهب منه الى قباء فهذا يستحب كما يستحب زيارة قبور أهل البقيع وشهداء أحد ، انتهى .

(ثم قال العراقى) ويدل على جواز شد الرحال لزيارة القبور ما قاله عمر رضى الله عنه بعد فتح الشام لكعب الاحبار يا كعب ألا تريد أن تأتى معنا الى المدينة فتزور سيد المرسلين ، قال نعم يا أمير المؤمنين أنا أفعل ذلك يدل عليه مجىء بلال رضى الله عنه من الشام الى المدينة لزيارة قبره عليه الصلاة والسلام وذلك فى خلافة عمر رضى الله عنه .

(والجواب) أن نقول : هؤلاء الغلاة يتعلقون بأذيال الموضوعات ويعتمدون الاقوال المكذوبات ويحسبون أنهم على شىء ألا انهم هم الكاذبون.

قال الحافظ بن عبد الهادى فى جوابه للسبكى وهو مطالب أولا ببيان صحته وثانيا ببيان دلالته على مطلوبه ولا سبيل له الى واحد من الأمرين . ومن المعلوم أن هذا من الأكاذيب والموضوعات على عمر بن الخطاب رضى الله عنه وفتوح الشام فيه كذب كثير وهذا لا يخفى على آحاد طلبة العلم ، ولكن شأن هذا المعترض الاحتجاج دائما بما يظنه موافقا لهواه ولو كان من المنخنقة والموقوذة والمتردية ، وليس هذا شأن العلماء بل على المستدل بحديث أو أثر عليه أن يبين صحته ودلالته على مطلوبه . وهذا المنقول عن عمر رضى الله عنه لو كان ثابتاً عنه لم يكن فيه دليل على محل النزاع ، وقد عرف أن شيخ الإسلام لا ينكر الزيارة على الوجه المشروع ولا يكرهها ، بل يحضها ويندب الى فعلها ، انتهى .

اقول وكذلك الوهابية لا ينكرون الزيارة على الوجه المشروع بل هى عندهم من أفضل الأعمال والله المستعان .

(ثم ذكر العراقى) أن من القائلين بالجواز الامام النووى والقسطلانى والامام الغزالى وهؤلاء مقابلون بأفضل منهم وأعلم وأتبع لرسول الله ﷺ ولأصحابه والتابعين لهم ، ومن العلماء المانعين من شد الرحال الامام مالك رحمه الله ولم يخالفه أحد من الأئمة الثلاثة ومنهم الامام أبو عبد الله بن بطة وأبو الوفاء ابن عقيل وغيرهم من العلماء الراسخين .

(ثم ذكر العراقى) مسئلة سماع أهل القبور وذكر من التخليط ما لا مزيد عليه وقد أجاب على ذلك كله محمود شكرى بن عبد الله بن محمود الألوسى فى تتمته وبه الكفاية فلا نطيل بذكره إلا انا نقول : إن سماع أهل القليب قليب بدر لكلام رسول الله ﷺ سماع حقيق ، وكذلك سماع أهل القبور سلام المسلم عليهم وردهم عليه ، وأن اعادة الأرواح لتلك الاشباح بعد مفارقتها إياها إنما هى إعادة عارضة لا إعادة مستقرة مستمرة بل لسماع الكلام ورد السلام والسؤال فقط ، وأما دعوى إجابة الدعوات وإغاثة اللهفات وتفريج الكربات وقضاء الحاجات من الأموات فمن الممتنعات عقلا وشرعاً وفطرة وقدراً كما هو صريح نصوص الآيات القرآنية والاحاديث النبوية ، ولكن قد ذكر هذا الملحد فى قصة المعراج رؤية النبى ﷺ لعيسى وموسى وابراهيم ، فقال : وعن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى ﷺ أنه قال « رأيت عيسى وموسى وابراهيم عليهم الصلاة والسلام » رواه الشيخان ومالك فى الموطأ والمقصود أن هذا الملحد لما أتى إلى هذا المقام لم يذكر فيه أنه رآهم فى السموات على قدر منازلهم فأخرس عن ذلك أخرس الله لسانه لأنه قد ذكر فيما تقدم من الحاده أن عروج النبى ﷺ إلى الله تعالى هو بمعنى العروج إلى موضع يتقرب اليه بالطاعات فيه لأنه ينكر أن يكون الله فوق السموات على عرشه فلذلك جحد عروج النبى ﷺ إلى الله بذاته الشريفة .

(فنقول) الوهابية لهذا الملحد المعطل كيف جاز لك أن تحتج علينا بسماع

الشهداء والانبياء نداء من ينادى وهم عند الله وبأن النبي ﷺ رأى عيسى وموسى وابراهيم وهم أرفع منزلة عند الله من الشهداء وقد صحت الاحاديث بأنه رآى عيسى فى السماء الثانية ، ورآى موسى فى السماء السادسة ، ورآى ابراهيم فى السماء السابعة وكل هذا عندك لا حقيقة له ، فان كانوا فى السماء كما رآهم النبي ﷺ ، لما عرج به الى الله بطل ما تذهب اليه من أن العروج هو الى موضع يتقرب اليه بالطاعات لا إلى السماء وان لم يكن رآهم فى السموات ففى أى مكان رآهم ولا بد من تعيين ذلك الموضع ، وقد كان من المعلوم أن أرواح الشهداء بعضها فى حواصل طير خضر تسرح فى الجنة وتأكل من ثمارها وتأوى الى قناديل تحت العرش وبعضها على بارق بباب الجنة ويخرج اليهم رزقهم من الجنة وبعضهم فى قباب فى رياض بفناء الجنة ، وفى بعض الاحاديث أن أرواح المؤمنين فى عليين ، ومن المعلوم أن أرواح الانبياء فى أعلى عليين وأنهم أرفع منزلة من الشهداء ، فيمتنع عقلا وشرعاً وفطرة وقدراً ، أن الارواح التى فوق السموات السبع وفى أعلى عليين أنها تسمع دعاء أهل الارض وتنفعهم وتتصرف فيهم هذا محال قطعاً وضلال مبين ، فان الله قال (وهم عن دعائهم غافلون) فكل من دعى من الاموات والغائبين والانبياء والصالحين ، فمن دونهم غافل عن دعاء داعيه بنصوص القرآن العزيز الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، بقى من هذه المسألة مسألة ، وهى أن المسلم اذا سلم على أهل القبور رد الله على المسلم عليه روحه حتى يرد السلام ، قال ابن عبد البر ثبت عن النبي ﷺ أنه قال « ما من مسلم يمر على قبر أخيه كان يعرفه فى الدنيا فيسلم عليه الا رد الله عليه روحه حتى يرد عليه السلام » وعن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ « ما من رجل يزور قبر أخيه ويجلس عنده الا استأنس به ورد عليه حتى يقوم » وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : اذا مَرَّ الرجل بقبر أخيه يعرفه فسلم عليه رد عليه السلام وعرفه ، واذا مَرَّ بقبر لا يعرفه فسلم عليه رد عليه السلام ، ذكره ابن أبى الدنيا فى كتاب القبور ، وفى سنن أبى داود من حديث أبى هريرة قال :

قال رسول الله ﷺ « ما من أحد يسلم عليّ إلا رد الله على روحى حتى ارد عليه السلام » وهذه الأحاديث تدل على أنهم ليسوا باحياء فى قبورهم بدليل قوله ﷺ « مامن أحد يسلم عليّ إلا رد الله على روحى حتى أرد عليه السلام » ففى هذا دليـــل على أن الأرواح قد فارقت الأشباح ، وانما ترد الأرواح لرد السلام ، قال ابن القيم رحمه الله تعالى بعد كلام سبق « على أن قوله ثم تعاد روحه فى جسده لا يدل على حياة مستقرة وانما يدل على اعادة لها إلى البدن وتعلق به الروح لم تزل متعلقة ببدنها وان بلى وتمزق وسر ذلك أن الروح لها بالبدن خمسة أنواع من التعلق متغايرة الأحكام أحدها تعلقها به فى بطن الأم جنينا ، الثانى تعلقها به بعد خروجه الى وجه الأرض ، الثالث تعلقها به فى حال النوم فلها به تعلق من وجه ومفارقة من وجه ، الرابع تعلقها به فى البرزخ ، فانها وان فارقته وتجردت عنه فانها لم تفارقه فراقا كليا بحيث لا يبقى لها التفات اليه البتة ، وقد ذكرنا فى أول الجواب من الأحاديث والآثار ما يدل على ردها اليه وقت سلام المسلم وهذا الرد اعاده خاصة لا يوجب حياة البدن قبل يوم القيامة ، الخامس تعلقها به يوم بعث الأجساد الى اخر كلامه رحمه الله .

(وأما قوله) ومن الأدلة على أن الله تعالى يحي الموتى فى قبورهم فيسمعون قوله تعالى ــ حكاية على سبيل التصديق ــ (ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين) فالمراد باحدى الاماتتين الاماتة قبل مزار القبور ، وبالاخرى الاماتة بعد مزار القبور فانهم لو لم يحيوا فى القبور ثانية ما صحت اماتتهم ثانية .

وأما جواب الوهابية أن الاماتة الاولى هى حال العدم قبل الخلق . والثانية الاماتة بعد الخلق ، فما يضحك الصبيان لأن الاماتة لا تكون إلا بعد الحياة ، ولا حياة قبل أن يخلق الله الحياة . وأما جوابها أن الاماتة الاولى هى اماتة الناس بعد حياتهم فى عالم الذر فهو أوهن من جوابها الاول لأن الناس فى عالم الذر لم يكونوا غير أرواح خلقها الله تعالى فسألهم (ألست بربكم) فأجابوا قائلين : بلى ، وأنت تعلم أن الموت عبارة عن مفارقة الروح للجسد ، وحيث لا جسد فلا موت نعم يجوز أن يفنى الله الارواح بعد خلقها

فى عالم الذر ، ولكن ذلك ليس من الموت فى شىء لما تقدم .

(فالجواب) أن يقال : ليس هذا جواب الوهابية فقط ، بل قد ذكره ابن القيم رحمه الله فى كتاب الروح فقال : وأما قول أهل النار (ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين) فتفسير هذه الآية الآية التى فى البقرة وهى قوله تعالى (كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم ، ثم يميتكم ، ثم يحييكم) فكانوا أمواتاً وهم نطف فى أصلاب آبائهم ، وفى أرحام أمهاتهم ، ثم أحياهم بعد ذلك ثم أماتهم ، ثم يحييهم يوم النشور ، فصار جوابك هو الذى يضحك منه الصبيان لأنه مكابرة للقرآن لأن الله وحده قد أخبر أنهم كانوا أمواتاً وهم نطف فى أصلاب آبائهم ، وفى أرحام أمهاتهم (ولا ينبئك مثل خبير - ومن أصدق من الله قيلا - ومن أحسن من الله حديثاً) ثم أحياهم سبحانه باخراجهم الى دار الدنيا ، ثم أماتهم سبحانه ثم يحييهم يوم النشور . وبما ذكره ابن القيم رحمه الله قال أهل التفسير : قال الحافظ ابن كثير رحمه الله على هذه الآية يقول الله تعالى مخبراً عن الكفار أنهم ينادون يوم القيامة وهم فى غمرات النيران يتلظون ، وذلك عندما باشروا من عذاب الله تعالى مالا قبل لأحد - إلى أن قال .

(أما قوله) (قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين) قال الثورى عن أبى اسحق عن أبى الاحوص عن ابن مسعود رضى الله عنه هذه الآية كقوله تعالى (كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم ، ثم يميتكم ، ثم يحييكم ، ثم اليه ترجعون) وكذا قال ابن عباس والضحاك وقتادة وأبو مالك وهذا هو الصواب الذى لاشك فيه ولا مرية . وقال السدى: أميتوا فى الدنيا ، ثم أحيوا فى قبورهم فخوطبوا ، ثم أميتوا ثم أحيوا يوم القيامة . وقال ابن زيد: أحيوا حين أخذ عليهم الميثاق من صلب آدم عليه السلام ، ثم خلقهم فى الارحام ، ثم أماتهم ثم أحياهم يوم القيامة ، وهذان القولان من السدى وابن زيد ضعيفان لأنه يلزمهما على ما قالا ثلاث احياءات واماتات ، والصحيح قول ابن مسعود وابن عباس ومن تابعهما الى آخر كلامه رحمه الله ، فان كان ما قال أصحاب رسول الله ﷺ يضحك الصبيان فليس على وجه الارض صحيح إلا ما صححه هذ الملحد بمعقوله

الذى هو بكلام المجاذيب أشبه به من كلام المجانين ،وحيث نسب تفسير إصحاب رسول الله ﷺ إلى الوهابية فأهلا به أهلا فانا به قائلون ، وعلى ما أثبتوه معتمدون ، ولما سواه نافون .

(وأما قول العراق) وأما جوابها أن الاماتة الاولى هى اماتة الناس بعد حياتهم فى عالم الذر فهو أوهن من جوابها الأول لأن الناس فى عالم الذر لم يكونوا غير أرواح الخ .

فأقول : هذا الجواب ليس هو للوهابية ، بل هو كلام ابن زيد وقد ضعفه ابن كثير كما تقدم وهو مبنى على خلاف العلماء فى خلق الارواح هل هو مقدم على أبدانها أم متأخر ، والصحيح الذى تشهد له النصوص من الكتاب والسنة أن خلقها بعد خلق الابدان وذلك بعد ارسال الله ملك الارواح الى النطق فى بطون الامهات ينفخ فيهـــا الروح والذى ثبت انما هو اثبات القدر السابق وتقسيمهم إلى شقى وسعيد . وأما الاحاديث التى وردت فى تقدم خلقها على أبدانها فلا يصح منها شىء ، والصحيح الثابت هو ما ذكره ابن القيم من الوجوه التى ذكرها فى الفصل الذى ذكر فيه الادلة على أن خلق الارواح متأخر عن خلق الابدان وبه الكفاية فمن أراد تحقيق المسألة فهى مبسوطة فى كتاب الروح فى هذا الفصل ، واذا تقرر هذا فليس للوهابية كلام على هذه المسألة منسوب اليها فيكون هذا الجواب جوابا له ، بل هو جواب باطل فاسد على أصل لا يصح بدليل شرعى ثابت ، فان كان تكلم فى هذه المسألة أحد ممن تنسبونه إلى الوهابية فربما . وأما الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأتباعه فليس لهم فيهـا كلام معروف غير ما ذكره ابن القيم رحمه الله تعالى والقول الذى نعتمده فى هذه المسائل كلها هو ما ذكره ابن القيم رحمه الله تعالى فى الكافية الشافية فى الانتصار للفرقة الناجية ، قال رحمه الله تعالى :

فصل

فى الكلام فى حياة الأنبياء فى قبورهم

ولأجل هذا رام ناصر قولكم ترقيعه يا كثرة الخلقان

قال الرسول بقبره حي كما قد كان فوق الأرض والرجمان

من فوقه أطباق ذاك الترب واللـ ـبنات قد عرضت على الجدران

لو كان حياً فى الضريح حياته قبل الممات بغير ما فرقان

ما كان تحت الارض بل من فوقها والله هـذي سنة الرحمان

أتراه تحت الأرض حياً ثم لا يفتيهموا بشرائع الايمان

ويريح أمته من الآراء والـ ـخلف العظيم وسائر البهتان

أم كان حياً عاجزاً عن نطقه وعن الجواب لسائل لهفان

وعن الحراك فما الحياة اللاء قد أثبتموها أوضحوا ببيان

هـذا ولم لا جاءه أصحابه يشكون بأس الفاجر الفتان

إذ كان ذلك دأبهم ونبيهم حي يشاهدهم شهود عيان

هل جاءكم أثر بأن صحابه سألوه فتياً وهو فى الاكفان

فأجابهم بجواب حي ناطق فأتوا إذاً بالحق والبرهان

هلا أجابهموا جوابا شافياً ان كان حياً ناطقاً بلسان

هذا وما شدت ركائبه عن الحـ ـجرات للقاصي من البلدان

مع شدة الحرص العظيم له على ارشادهم بطرائق التبيان

أتراه يشهد رأيهم وخلافهم ويكون للتبيان ذا كتمان

إن قلتموه سبق البيان صدقتمو قد كان بالتكرار ذا تبيان

هذا وكم من أمراً شكل بعده أعني على العلماء كل زمان

أو ما ترى الفاروق ودَّ بأنه قد كان منه العهد ذا تبيان

بالجد فى ميراثه وكلالة وببعض أبواب الربا الفتان

قد قصر الفاروق عند فريقكم إذ لم يسله وهو فى الاكفان

أتراهمو يأتون حول ضريحه | لسؤال أمهموا أعز حصان
ونبيهم حي يشاهدهم ويسـ | ـمعهم ولا يأتي لهم ببيان
أفكان يعجز أن يجيب بقوله | إن كان حياً داخل البنيان
ياقومنا استحيوا من العقلاء والمـ | ـبعوث بالقرآن والرحمن
والله لا قدر الرسول عرفتموا | كلا ولا للنفس والانسان
من كان هذا القدر مبلغ علمه | فليستتر بالصمت والكتمان
ولقد أبان الله أن رسوله | ميت كما قد جاء في القرآن
أفجاء أن الله باعثه لنا | في القبر قبل قيامة الابدان
أثلاث موتات تكون لرسله | ولغيرهم من خلقه موتان
إذ عند نفخ الصور لا يبقى امرء | في الارض حياً قط بالبرهان
أفهل يموت الرسل أم يبقوا اذا | مات الورى أم هل لكم قولان
فتكلموا بالعلم لا الدعوى وجيـ | ـئوا بالدليل فنحن ذو أذهان
أو لم يقل من قبلكم للرافع الا | صوات حول القبر بالنكران
لا ترفعوا الاصوات حرمة عبده | ميتاً كحرمته لدى الحيوان
قد كان يمكنهم يقولوا انه | حي فغضوا الصوت بالاحسان
لكنهم بالله أعلم منكموا | ورسوله وحقائق الايمان
ولقد أتوا يوما الى العباس يسـ | ـتسقون من قحط وجدب زمان
هذا وبينهموا وبين نبيهم | عرض الجدار وحجرة النسوان
فنبيهم حي ويستسقون غيـ | ـر نبيهم حاشا أولي الايمان

فصل

فيما احتجوا به على حياة الرسل في القبور

فان احتججتم بالشهيد بأنه | حيٌّ كما قد جاء في القرآن
والرسل أكمل حالة منه بلا | شك وهذا ظاهر التبيان

فلذاك كانوا بالحياة أحق من ... شهـدائنا بالعقل والايمان
وبأن عقد نسائه لم ينفسخ ... فنساؤه في عصمة وصيان
ولأجل هـذا لم يحـل لغيره ... منهن واحـدة مدى الأزمان
أفليس في هذا دليل أنه ... حيّ لمن كانت له أذنان
أو لم يرى المختار موسى قائما ... في قبره لصلاة ذي القربان
أفميت يأتي الصلاة وإن ذا ... عين المحـال وواضح البطلان
أيرد ميت السـلام على الذي ... يأتى بتسليم مع الاحسان
أو لم يقل إني أرد على الذي ... يأتي به هـذا من البهتان
هذا وقد جاء الحديث بأنهم ... أحياء فى الأجداث ذا تبيان
وبأن أعمـال العباد عليه تعـ ... ـرض دائما فى جمعة يومان
يوم الخميس ويوم الاثنين الذي ... قد خص بالفضل العظيم الشان

فصل

فى الجواب عما احتجوا به فى هذه المسألة

فيقال أصل دليلكم في ذاك حجـ ... ـتنا عليكم وهي ذات بيان
إن الشهيد حياته منصوصة ... لا بالقيـاس القائم الأركان
هذا مع النهي المؤكد أننا ... ندعوه ميتاً ذاك في القرآن
ونساؤه حل لنا من بعده ... والمال مقسوم على السهمان
هذا وإن الارض تأكل لحمه ... وسباعها مع أمة الديدان
لكنه مع ذاك حي فارح ... مستبشر بكرامة الرحمن
فالرسل أولى بالحياة لديه مع ... موت الجسوم وهذه الابدان
وهي الطرية في التراب وأكلها ... فهو الحرام عليه بالبرهان
ولبعض أتباع الرسول يكون ذا ... أيضا وقد وجدوه رأي عيان
فانظر إلى قلب الدليل عليهموا ... حرفاً بحرف ظاهر التبيان

لـكن رسول الله خص نساؤه بخصيصة عن سائر النسوان
خيرن بين رسوله وسواه فاخـ ـترن الرسول لصحة الايمان
شـكر الاله لهن ذاك وربنـا سبحانه للعبد ذو شـكران
قصر الرسول على أولئك رحمة منه بهن وشـكر ذي الاحسان
وكذاك أيضاً قصرهن عليه معـ ـلوم بلا شك ولا حسبان
زوجاته في هـذه الدنيا وفي الأ خرى يقيناً واضح البرهان
فلذا حرمن على سواه بعده إذ ذاك صون عن فراش ثان
لكن أتين بعدة شرعية فيها الحدود وملزم الأوطان
هذا ورؤيته الـكليم مصلياً في قبره أثر عظيم الشان
في القلب منه حسيكة هل قاله فالحق ما قد قال ذو البرهان
ولذاك أعرض في الصحيح محمد عنه على عمـد بلا نسيان
والدارقطني الامام أعله برواية معـلومة التبيان
أنس يقول رأى الـكليم مصلياً في قبره فاعجب لذا الفرقان
بين السياق إلى السياق تفاوتاً لا تطرحه فما هما سيان
لـكن تقلد مسلم وسواه ممـ ـن صح هذا عنده ببيان
فرواته الاثبات أعلام الهدى حفاظ هذا الدين في الأزمان
لـكنّ هذا ليس مختصاً به والله ذو فضل وذو احسان
فروى ابن حبان الصدوق وغيره خبراً صحيحاً عنده ذا شان
فيه صلاة العصر في قبر الذي قد مات وهو محقق الايمان
فتمثل الشمس الذي قد كان يرعاها لأجل صلاة ذي القربان
عند الغروب يخاف فوت صلاته فيقول للملـكين هل تدعان
حتى أصل العصر قبل فواتها قالا سنفعل ذاك بعد الآن
هذا مع الموت المحقق لا الذي حكيت لنا بثبوته القولان
هـذا وثابت البناني قد دعا الـ ـرحمان دعوة صادق الايقان
أن لا يزال مصلياً في قبره إن كان أعطى ذاك من انسان

لـكنّ رؤيته لموسى ليلة الـ ـمعراج فوق جميع ذي الأكوان
يرويه أصحاب الصحاح جميعهم والقطع موجبه بلا نكران
ولذاك ظُن معارضاً لصلاته في قبره إذ ليس يجتمعان
وأجيب عنه بأنه أسرى به ليراه ثم مشاهداً بعيان
فرآه ثم وفي الضريح وليس ذا بتناقض إذ أمكن الوقتان
هذا ورد نبينا لسلام من يأتي بتسليم مع الاحسان
ما ذاك مختصاً به أيضا كما قد قاله المبعوث بالقرآن
من زار قبر أخ له فأتى بتسـ ـليم عليه وهو ذو إيمان
رد الاله عليه حقاً روحه حتى يرد عليه رد بيان
وحديث ذكر حياتهم بقبورهم لما يصح وظاهر النكران
فانظر الى الاسناد تعرف حاله إن كنت ذا علم بهذا الشان
هذا ونحن نقول هم أحياء لا كن عندنا كحياة ذي الابدان
والترب تحتهموا وفوق رؤوسهم وعن الشمائل ثم عن إيمان
مثل الذي قد قلتموه معاذنا بالله من إفك ومن بهتان
بل عند ربهموا تعالى مثلما قد قال في الشهداء في القرآن
لـكن حياتهموا أجل وحالهم أعلى وأكمل عند ذي الاحسان
هذا وأما عرض أعمال العبا د عليه فهو الحق ذو امكان
وأتى به أثر فان صح الحديـ ـث به فحق ليس ذا نكران
لـكن هـذا ليس مختصاً به أيضـاً بآثار روين حسان
فعلى أبي الانسان يعرض سعيه وعلى أقاربه مع الاخوان
إن كان سعياً صالحاً فرحوا به واستبشروا باللذة الفرحان
أو كان سعياً سيئاً حزنوا وقا لوا رب راجعه الى الاحسان
ولذا استعاذ من الصحابة من روى هذا الحديث عقيبه بلسان
يا رب أني عائذ من خزية أخزى بها عند القريب الدان
ذاك الشهيد المرتضى ابن رواحة المحبو بالغفران والرضوان

لـكن هذا ذو اختصاص والذي للمصطفى ما يعمل الثقلان
هذي نهايات لأقدام الورى في ذا المقام الضنك صعب الشان
والحق فيه ليس تحمله عقو ل بني الزمان لغلظة الاذهان
ولجهلهم بالروح مع أحكامها وصفاتها للألف بالابدان
فارض الذي رضي الاله لهم به أتريد تنقض حكمة الديان
هل فى عقولهمو بأن الروح فى أعلى الرفيق مقيمة بجنان
وترد أوقات السلام عليه من اتباعه فى سائر الأزمان
وكذاك ان زرت القبور مسلماً ردت لهم أرواحهم للآن
فهمو يردون السلام عليك لا كن لست تسمعه بذي الأذنان
هذا وأجواف الطيور الخضر مسـ ـكنها لدى الجنات والرضوان
من ليس يحمل عقله هذا فلا تظلمه وعذره على النكران
للروح شأن غير ذي الاجسام لا تهمله شأن الروح أعجب شان
وهو الذي حار الورى فيه فلم يعرفه غير الفرد فى الأزمان
وهذا وأمر فوق ذا لو قلته بادرت بالانكار والعدوان
فلذاك أمسكت العنان ولو أرى ذاك الرفيق جريت فى الميدان
هـذا وقولي إنها مخلوقة وحدوثها المعلوم بالبرهان
هذا وقولي إنها ليست كما قد قال أهل الأفك والبهتان
لا داخل فينا ولا هي خارج عنا كما قالوه فى الديان
والله لا الرحمن أثبتم ولا أرواحكم يا مدعي العرفان
عطلتموا الأبدان من أرواحها والعرش عطلتم من الرحمان

فصل

(قال العراقى) الوهابية وتكفيرها الحالف بغير الله والناذر والذابح ، قاتل الله الوهابية إنها تتحرى فى كل أمر أسباب تكفير المسلمين مما يثبت أن همها الأكبر هو تكفيرهم لا غير ، فتراها تكفر من يتوسل الى الله تعالى بنبيه ﷺ ويستعين باستشفاعه الى الله تعالى على قضاء حوائجه ، وهى لا تخجل إذ تستعين بدولة الكفر على قضاء حاجاتها التى هى قهر المسلمين وحربهم وشق عصاهم والمروق عن طاعة أمير المؤمنين الذى أمر الله تعالى فى كتابه المبين بلزوم طاعته كما بسطناه فى مقدمات الرسالة ، وتتخذ أعداء الدين أولياء يستمد منهم فى إحضار القوى التى تسعى بها الى الفساد وتلج بها فى الغواية والعناد ، قال الله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء) سحقاً للوهابية انها لا تدرى ان أولئك الأولياء الذين تتخذهم ذريعة لقهر المسلمين اذا ثبت قدمهم فانهم يقرونها ويهتضمونها أيضاً مع من تعده خصما مخالفاً لمذهبها .

(فأقول إيه يابن اللخنا) لقد - والله - علمتم أنكم لأنتم أخدان إخوان القردة والخنازير ، وإخوان عبدة الصليب أصحاب السعير ، وأنا لم ننزع اليهم ولم نستعن بهم فى شيء من الامور التى تزعمونها ، وانا لم نتخذهم أولياء وقد علمتم انه ليس فى ديارنا لهم علما ، ولا جعلنا فى أوطاننا قناصل ، ولم نلتزم فى ملتنا قوانينهم ونقدمها على شرع الله ورسوله ، ونحن نبرأ الى الله منهم ومنكم ، كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده ولكن قد غلبت عليكم القحة والتظاهر بالكذب والعدوان لكى تطفئوا نور الله بأفواهكم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون ·

فانظر قاتلك الله يا عدو الله من قناصل أعداء الله ورسوله عنده ، ومن أعلامهم منصوبة فى ديارهم ، ومن اليهود والنصارى والرافضة فى جملة عساكرهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين ، وتدرى من سعى

فى الارض بالفساد ولج فى الغواية والعناد وعام فى بحر الضلالة وتدرع برداء الشرك والجهالة .

﴿ وأما قوله ﴾ من غير مرة إن ديدن الوهابية تكفير كافة المسلمين بكل أمر فهى تكفرهم لتوسلهم بجاه الانبياء والاولياء وندائهم (فأقول) أما تكفير عامة المسلمين فمن الكذب الواضح وقد بيناه غير مرة وأما التوسل بجاه الانبياء والأولياء فالوهابية لا يكفرون بمجرد التوسل بجاههم وأما دعاؤهم والاستغاثة بهم والاستشفاع بهم والالتجاء اليهم فهو كفر مخرج عن الملة وقد قدمنا أدلة ذلك وكلام أهل العلم فى ذلك .

﴿ وأما قوله ﴾ وتكفرهم بالحلف بغير الله (فأقول) وهذا أيضاً من الكذب على الوهابية والأوهام الوبية .

﴿ وأما قوله ﴾ والنذر لذلك الغير والذبح له فسيأتى الكلام عليه قريباً .

﴿ وقوله ﴾ ولو سلمنا أن فى بعض الاقوال التى تنسبها الوهابية الى المسلمين كفراً يصح أن يقال فيه إن قائل هذا القول يكفر لما صح أن تكفر جميع الأمة أو تكفر شخصاً معينا قال ذلك القول فقد يكون القائل لم تبلغه النصوص الموجبة لمعرفة الحق أو لم تثبت عنده أو لم يتمكن من معرفتها وفهمها أو يكون قد عرضت له شبهات يعذره الله تعالى فيها .

﴿ فأقول ﴾ الوهابية لا يكفرون إلا من كفر الله ورسوله وقامت عليه الحجة التى يكفر تاركها ولا يلزم من تكفير من قام به الكفر وقامت عليه الحجة تكفير جميع المسلمين فان هذا من اللوازم الباطلة والاقوال الداحضة (وأما) تكفير الشخص المعين فلا مانع من تكفيره اذا صدر منه ما يوجب تكفيره فان عبادة الله وحده لا شريك له من الأمور الضرورية المعلومة من دين الاسلام فمن بلغته دعوة الرسول وبلغه القرآن فقد قامت عليه الحجة (وأما) الامور التى لا يكفر فاعلها حتى تقوم الحجة إنما هو فى المسائل النظرية والاجتهادية التى قد يخفى دليلها (وأما) عباد القبور فهم عند السلف وأهل العلم يسمون الغالية لأن فعلهم غلو يشبه غلو النصارى فى الانبياء والصالحين وعبادتهم ،

فمسالة توحيد الله واخلاص العبادة له لم ينازع فى وجوبها أحد من أهل الاسلام لا أهل الاهواء ولا غيرهم وهى معلومة من الدين بالضرورة كل من بلغته الرسالة وتصورها على ما هى عليه عرف أن هذا زبدتها وحاصلها ، وسائر الاحكام تدور عليه ، قال شيخ الاسلام ابن تيمية فى الرد على المتكلمين لما ذكر ان بعض أئمتهم توجد منهم الردة عن الاسلام كثيراً قال « وهذا وان كان فى المقالات الخفية فقد يقال فيها إنه مخطىء ضال لم تقم عليه الحجة التى يكفر تاركها لكن هذا يصدر منهم فى أمور يعلمها الخاصة والعامة من المسلمين أن رسول الله ﷺ بعث بها وكفر من خالفها مثل عبادة الله وحده لا شريك له ونهيه عن عبادة أحد سواه من الملائكة والنبيين وغيرهم فان هذا أظهر شرائع الاسلام ومثل ايجابه للصلوات الخمس وتعظيم شأنها ومثل تحريم الفواحش والزنا والخمر والميسر ثم تجد كثيراً من رؤوسهم وقعوا فيها فكانوا مرتدين ، وأبلغ من ذلك أن منهم من صنف فى دين المشركين كما فعل أبو عبد الله الرازى - قال وهذه ردة صريحة ، انتهى . فالشخص المعين اذا صدر منه ما يوجب كفره من الأمور التى هى من ضروريات الاسلام مثل عبادة غير الله سبحانه وتعالى فان الله قد أقام الحجة بانزال كتبه وبعث رسله لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وهذا مما لا اشكال فيه .

(وأما قوله) فقد يقول القائل لم تبلغه النصوص الموجبة لمعرفة الحق إلى آخره .

(فأقول) أما ما عدا الأمور الضرورية المعلومة من دين الاسلام فانا لا نكفر من قال قولا لم يبلغه النص فى ذلك بتكفير من فعله لأن الشرائع لا تلزم الا بعد البلوغ وكذلك من لم يثبت عنده النص أو قام لديه معارض من نص آخر أو وقعت له شبهة يعذره الله بها هذا مما لا اشكال فيه عند أهل العلم .

(وأما قول) هذا الجاهل المركب أو لم يتمكن من معرفتها وفهمها (فانما) هى من عدم معرفته بالفرق بين قيام الحجة وفهم الحجة فان من بلغته دعوة

الرسل فقد قامت عليه الحجة ان كان على وجه يمكن معه العلم ولا يشترط فى قيام الحجة أن يفهم عن الله ورسوله ما يفهمه أهل الايمان والقبول والانقياد لما جاء به الرسول فان فهم الحجة نوع آخر غير قيامها قال الله تعالى (أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا) وقال تعالى (ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة) وقال تعالى (وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفى آذانهم وقرا) وقال تعالى (قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه) الآية .

(وأما قوله) فالذى يؤمن بالله ورسوله فان الله قد يغفر له برحمته بعض الذنوب القولية والعملية .

(فأقول) هذا حق وذلك فيمن أتى ذنباً لا يخرجه من الملة أو كان ذلك القول أو الفعل مما ليس بضرورى فى الدين كما تقدم بيانه وما من أشرك بالله فى عبادته فقد قال تعالى (ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) فأما من أتى بالشرك الاكبر فالله قد حرم عليه الجنة ومأواه النار وان زعم أنه مؤمن بالله ورسوله وتلفظ بالشهادتين فان هذا لا ينفعه مع فعل الشرك المخرج من الملة كدعائه غير الله واستغاثته بمن سواه والالتجاء اليه وطلب الحوائج من الولائج فان هذا مناف لشهادة أن لا إله الا الله وأن محمداً رسول الله وما نزل من الآيات فى الوعيد على من اقترف ذنباً لا يخرجه من الاسلام فهو تحت مشيئة الله ان شاء عذبه وان شاء عفى عنه ولا يكفر بهذه الذنوب الا الخوارج .

(وأما قوله) قال ابن القيم رحمه الله تعالى فى مدارج السالكين ما ملخصه ان أهل السنة متفقون على أن الشخص الواحد قد يكون فيه ولاية لله تعالى وعداوة من وجهين مختلفين وقد يكون فيه ايمان ونفاق وايمان وكفر ويكون أحدهما اليه أقرب من الآخر فيكون من أهله قال الله تعالى (هم للكفر يومئذ أقرب منهم للايمان) .

(فاقول هذا حق) فقد يكون الشخص فيه ولاية لله تعالى وعداوة وذلك كمثل الصحابي الذي كان يكثر من شرب الخمر فقال رجل: لعنه الله ما أكثر مايؤتى به فقال رسول الله ﷺ « لا تلعنه فانه يحب الله ورسوله » وكذلك كمثل الصحابي الذي كان يكثر من شرب الخمر فقال رجل : لعنه الله ما أكثر ما يؤتى به كان فيه خصلة من النفاق كمن اذا خاصم فجر واذا إئتمن خان واذا حدث كذب واذا عاهد غدر وكذلك الكفر مع الايمان كقوله ﷺ لا ترجعوا بعدى كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض ومن حلف بغير الله فقد كفر الى غير ذلك من الأمور التى لا تخرج من الملة من الأقوال والأعمال وبالجملة فالقلب الذى لم يتمكن منه الايمان ولم يزهر فيه سراجه حيث لم يتجرد للحق المحض الذى بعث الله رسوله بل فيه مادتان مادة منه ومادة من خلافه فتارة يكون للكفر أقرب منه للايمان وتارة يكون للايمان أقرب منه للكفر والحكم للغالب واليه يرجع فهذا وأمثاله لا يدخل فى مسألة من صرف لغير الله نوعا من العبادة فانا قد بينا فيما تقدم الأدلة على كفره من الكتاب والسنة وأقوال العلماء فالمغالطة بادخال هذه الأمور فى مسألة عبادة غير الله سفسطة وتمويه ومزج للحق بالباطل فسحقاً وبعداً للقوم الظالمين .

(وأما قول العراقى) أما الحلف بغير الله فلا يخرج مرتكبه عن الاسلام الى آخر كلامه (فأقول) قد كان من المعلوم أن مجرد الحلف بغير الله لا يخرج من الملة ومن زعم انا نكفر بهذه الاشياء كفراً مخرجا عن الملة فهو من أكذب خلق الله وأجرأهم على الفرية وقول الزور وقد ذكر ابن القيم رحمه الله ان من عظم مخلوقا بالحلف تعظيما كتعظيم الله فقد أشرك شركا أكبر وقال لما عدّ من هذه الالفاظ ونحوها فى شرح المدارج وقد يكون ذلك شركا أكبر بحسب ما قام بقلب فاعله وحديث ابن عمر صريح فى اطلاق الكفر والشرك بالحلف بغير الله فمن منع الاطلاق فهو مشاق لله ولرسوله ولكن ساق البخارى فى صحيحه قول ابن عباس كفر دون كفر وشرك دون شرك وظلم دون ظلم .

(وأما قوله) من حلف بغير الله فقد كفر فقد حمله أئمة الحديث من شافعية

وحنفية وحنابلة ومالكية على أن المقصود به كفر النعمة (فأقول) هذا الحمل ضعيف جدا إذ ما من معصية وذنب يفعله المكلف المختار إلا وفيه من كفر النعمة بحسبه والشكر هو استعمال النعمة فى طاعة معطيها ومسديها مع محبته والرضا عنه والثناء بها عليه والشكر ضد الكفر فمن أخل بشيء من الشكر ففيه من كفر النعمة بحسب ذلك فتحصل ان كفر النعمة لا يختص بما أطلق عليه الشارع الكفر من الافعال فلا بد للنص من معنى يخصه وحكمة فى تخصيص بعض الافراد وهذا معلوم بالشرع والفطرة إذ تخصيص بعض أفراد الجنس من غير مخصص يقتضى ذلك تحكم محض وترجيح بلا مرجح .

(وأما قوله) حتى إن أصحاب الشافعي قالوا بأنه مكروه تنزيها لا تحريما فالحلف الذى قد اختلف فيه العلماء أنه مكروه أو حرام لا يجوز أن يقال فى مرتكبه إنه كافر خارج عن الملة (فأقول) اما كونه مكروها كراهة تنزيه لا كراهة تحريم فهذا مما لا دليل عليه من الكتاب والسنة بل هو عرف حادث والكراهة فى عرف الكتاب والسنة وقدماء العلماء تطلق على التحريم قال الله تعالى بعد ذكر المحرمات (كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروهاً) وكما فى الحديث « ويكره لكم قيل وقال وكثرة السؤال واضاعة المال » فلا عبرة بخلاف من خالف ما يقتضيه الكتاب والسنة بالاصلاح الحادث وأما دعوى أن ذلك يخرج عن الملة فقد بينا أنه من الكذب والبهتان .

فصل

(ثم قال العراقى) وأما النذر لغير الله فقد صرح الشيخ تقى الدين ابن تيمية وابن القيم وهما من أعظم من شدد فيه بعدم جوازه وكونه معصية لا أنه كفر وشرك مخرج عن الاسلام فلا يجوز الوفاء به ولو تصدق بما نذر من ذلك على من يستحقه من الفقراء كان خيراً له عند الله فلو كان الناذر لغير الله كافراً لما أمراه بالصدقة لأن الصدقة لا تقبل من الكافر بل أمراه بتجديد إسلامه .

(والجواب أن نقول) قد أجاب على هذه الشبهة شيخنا الشيخ عبد اللطيف

رحمه الله في رده شبهات داود ابن جرجيس فقال رحمه الله « ليس في كلام الشيخ وكلام ابن القيم ما يدل على أن النذر الواقع من عباد القبور لمن يدعونه ويقصدونه لحوائجهم واغاثتهم في الشدائد ليس بشرك بل كلام الشيخ وابن القيم صريح في أنه نذر معصية واشراك بالله تعالى فكيف يسوقه وقد عده ابن القيم من أنواع الشرك الاكبر وقرنه بالتوكل على غير الله والعمل لغيره والانابة والخضوع والذل لغير الله وابتغاء الرزق من عند غيره وقد تقدم ذلك فراجع كلامه في موضعه تعرف كذب هذا العراقي على الله وعلى رسوله وعلى أولى العلم من خلقه فرحم الله امرأ نظر لنفسه قبل أن تزل قدمه ويحال بينه وبين أهل العمل وكذلك الشيخ صرح بأنه معصية والمعصية تصدق بالشرك وغيره من الكبائر اذا أطلقت واستدلال المعترض بأنه لم يقل هذا ، هذا النذر كفر مخرج عن الملة فاطلاق المعصية كاف في المقصود وأيضاً فالكفر انما يطلق بعد قيام الحجة وقول العراقي فكيف يكفر من نذر لأحد الانبياء وقصده لوجه الله في هذه العبارة شيئان (الأول) استبعاده تكفير من نذر للأنبياء وجعله ذلك دون النذر للشجرة والبقعة مع أن الفتنة بقبور المعظمين أشد محنة من الشجر والبقاع وقد قال النبي ﷺ « اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » فالشرك بالانبياء والصالحين أخوف وأعظم فتنة كما هو معروف (والثاني) إضافة النذر لأحد الانبياء وقوله بعده وقصده لوجه الله فاذا كان النذر نفسه للانبياء والصالحين بطل قوله وقصده لوجه الله وانما يكون ذلك نذراً لله وحده وجعل الثواب لمن شاء من عباده ومسألة اهداء ثواب القرب الى الانبياء لايخفى ما فيها من القول بالمنع على من له أدنى ممارسة والقصد هنا بيان تناقض العراقي وان كلامه يدفع بعضه بعضا وقوله فان ذلك لا يضر بالاتفاق كذب ظاهر فان قول الشيخين إنه يصرف الى الفقراء دليل على أنه يضر اذا صدر منه لغير الله وانه مأمور بالتوبة وصرف ذلك الى الجهة المشروعة وقد صرف النبي ﷺ مال اللات في الجهاد والمصارف الشرعية التي يستعان بها على عبادة الله وحده لاشريك له والاستدلال بصرفها

فى ذلك المصرف الشرعى على انها شرك وضلال أوجه من الاستدلال بذلك على أن النذر للاصنام ونحوها ليس بشرك .

(وأما قوله) فلو كان الناذر كافراً عندهما لم يأمراه بالصدقة ، فان الصدقة لا تقبل من الكافر .

(فالجواب) من وجوه : (الاول) أنه اذا أقلع عن الذنب وصرف المال فى مصرفه الشرعى فهذا رجوع عما كان عليه وتوبة منه ، (الثانى) انه لا يقال بالكفر مطلقاً لكل ناذر لغير الله حتى تقوم الحجة الرسالية ، واما ما نقله عن ابن القيم فقد صرح فيه بأنه نذر معصية واشراك . وشبهة هذا العراقى انه لو كان شركا مخرجاً عن الملة لما جاز صرفه للفقراء .

(فالعراقى) لم يفرق بين النذر والمنذور ، فكون النذر شركا لا يمنع الانتفاع بالمنذور فى الجهة الشرعية كما تقدم من فعله ﷺ بمال اللات (الوجه الثالث) أن الذى يصرفه فى المصارف الشرعية ولاة الأمر ، وأهل العلم ، وليس المقصود أن يصرفه الناذر نفسه ، فان هذا لا يعتبر بل يرد إلى المشروع قسراً ويعامل بنقيض قصده وكلام الشيخ وأمثاله من أهل العلم ليس حجة مستقلة بل الحجة فيما يساق من الادلة وقد تقدم أن القصد هنا بيان جهله بكلام الشيخ والكشف عن تحريف هذا العراقى لما نقله عن الشيخين ، وإلا فالمرجع إلى أدلة الكتاب والسنة قال الله تعالى (وما أنفقتم من نفقة أو نذر تم من نذر فان الله يعلمه) ، وقال تعالى : (يوفون بالنذر ويخافون يوماً كان شره مستطيرا) فوصف خواص عباده بالوفاء بالنذر وأثنى عليهم بذلك ، وفى الآية الاخرى الوعد بالاثابة والجزاء فثبت أنه عبادة يحبها الرب ويرضاها ، أى الوفاء به وما كان كذلك فيجب اخلاصه لله ، لأن صرف العبادة لغير الله شرك .

وفى حديث علىّ « لعن الله من ذبح لغير الله » ، وهذا العراقى وامثاله من القبوريين دفعوا فى صدر النصوص وردوها بشبهات وهذيان لا يصدر عمن يعقل ما يقول ، وفى آخر العبارة التى نقلها العراقى عن شيخ الاسلام ابن تيمية « وهذا الحكم العام فى قبر نفيسة ومن هو أكبر من نفيسة من الصحابة مثل قبر طلحة

والزبير وغيرهما بالبصرة ، وفى سلمان وغيره بالعراق ، (قلت) وفيها بيان تدليس العراق وأنه أسقطها ليروج قوله : فكيف يكفر من نذر لأحد الأنبياء والصالحين الى أن قال الشيخ « فيعتقدون أنها باب الحوائج الى الله وأنها تكشف الضر أو تفتح الرزق أو تحفظ مصر فان هـذا كافر مشرك يجب قتله وكذلك من اعتقد ذلك فى غيرها كائناً من كان (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا — قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة فى السموات ولا فى الأرض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير ، ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له) والقرآن من أوله الى آخره بل وجميع الكتب والرسل انما بعثوا بأن يعبد الله وحده لا شريك له ، وأن لا يجعل مع الله إلها آخر والاله من يألهه القلب عبادة واستعانة واجلالا واكراما وخوفا ورجاء كما هو حال المشركين فى آلهتهم ، وان اعتقد المشرك أن ما يألهه مخلوق ومصنوع كما كان المشركون يقولون فى تلبيتهم : لبيك لا شريك لك ، لا شريك هو لك تملكه وما ملك ، وقال النبى ﷺ الحصين الخزاعى « ياحصين كم تعبد ، قال : أعبد سبعة آلهة ستة فى الأرض وواحد فى السماء ، قال « فمن الذى تعد لرغبتك ورهبتك ؟ ، قال الذى فى السماء ، قال : ياحصين فاسلم حتى أعلمك كلمات ينفعك الله بهن ، فلما أسلم قال « قل اللهم ألهمنى رشدى وقنى شر نفسى ، والله أعلم ، انتهى .

(قلت) فانظر الى تصريح الشيخ ان من اعتقد فى مخلوق أنه باب الحوائج الى الله يعنى واسطة فى الحوائج أو أنه يكشف الضر أو يفتح الرزق أو يحفظ مصر أنه كافر مشرك يجب قتله وهذا بعينه هو معتقد عباد القبور الناذرين للموتى المستغيثين بهم وهو طريقة العراق ومذهبه الذى نصره وقرره واستظهره وزعم أنه لا يضر الا اذا اعتقد الاستقلال لغير الله كما مرّ عنه فى غير موضع وسيأتيك هذا القيد فيما يأتى من كلامه فى مواضع متعددة ، والشيخ قد رد عليه فى هذا وأبطل هذا الشرط بقوله ، وان اعتقد المشرك ان ما يألهه مخلوق مصنوع وساق ما يقوله المشركون فى تلبيتهم وساق حديث حصين وهذا لأن الآيات

القرآنية دالة على تكفير هذا النوع ، أعني من اتخذ الشفعاء والوسائط وقصدهم في حاجاته وملماته كما كان يفعله المشركون مع آلهتهم فكل هذا أعمى الله بصيرة العراقي عنه (وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون) .

قال الشيخ صنع الله الحلبي نزيل مكة ، وأما كونهم جوّزوا الذبائح والنذور وأثبتوا لهم فيهما الأجور فيقال هذا الذبح والنذر إن كان على اسم فلان وفلان فهو لغير الله فيكون باطلا وفي التنزيل (ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق) والحديث « لا نذر إلا فيما يبتغى به وجه الله » متفق عليه . وورد أن من حلف بغير الله فقد أشرك ، رواه الحاكم وغيره ونحو النذر لغير الله الذبح وفي التنزيل (قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين) الآية أي ان صلاتي وذبحي لله كما به نظير قوله تعالى (فصل لربك وانحر) الآية وفي الحديث « لا نذر في معصية الله » رواه أبو داود وغيره والنذر لغير الله إشراك مع الله فلا أكبر من معصيته وفي التنزيل (حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله) الآية . فالنذر لغير الله كالذبح لغيره .

وقال الفقهاء خمسة لغير الله شرك ، الركوع والسجود والذبح والنذر واليمين ومن ذكر غير اسم على ذبيحته فهي ميتة يحرم أكلها ولو أشرك مع اسمه أحداً كقوله باسم الله ومحمد ﷺ بواو العطف فكذا تحرم ذبيحته وكذا لو ترك اسم الله عمداً على الذبيحة لا تؤكل عندنا فهي ميتة بصريح قوله جل ذكره (ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه) فترك المؤمن ذكر الله عمداً كذكر غيره . نعم لو قال هذا النذر لله يذبح في مكان كذا ويصرف على جماعة فلان أو على رباط فلان فلا بأس به كما في الوقف على فلان وفلان فان قوله لله ملك له وتصرف غلته على من عينه الواقف وكذا هنا . والحاصل أن النذر لغير الله فجور فمن أين لهم الأجور ، وكذا الذبائح ومن قال إن هذا النذر لفلان وهذه الذبيحة لفلان فهو من العصيان ، ومن نذر لله ذبحاً أو غيره وقال يذبح بمكان كذا ويأكله قوم جاز والله الهادي .

قلت : واذا نذر لله وجعل مصرفه على السدنة والمجاورين عند القبور فهو

نذر معصية لا يجوز صرفه فى القرب الشرعية كالحجاج والمعتكفين فى المساجد وقد ذكر هذا غير واحد والمنع منه لما فيه من الاعانة على العكوف عند القبور الذى هو من أكبر الوسائل والذرائع إلى عبادتها أو دعائها قال تعالى (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان) وفى الحديث: أن رجلا نذر أن ينحر إبلا ببوانة قبل اسلامه، فلما أسلم سأل رسول الله ﷺ عن نذره، فقال «هل كان بها وثن من أوثان الجاهلية؟» قال: لا، قال «هل كان بها عيد من أعياد الجاهلية؟» قال: لا، قال «فاوف بنذرك» ففيه المنع من عبادة الله فى أماكن الشرك وعبادة غيره للمشابهة الصورية، وإن لم تقصد فكيف بالذرائع والوسائل القريبة المفضية إلى عين الشرك، ونفس المحذور الأكبر فقف وتأمل ان كان لك بصيرة تدرك بها أسرار الشريعة، انتهى.

(وأما قوله) وأما الذبح فقد ذكره ابن القيم فى المحرمات لا فى المكفرات إلا إذا ذبح لما عبد من دون الله وكذلك أهل العلم ذكروا أنه مما أهل به لغير الله ولم يكفروا صاحبه.

(فالجواب أن نقول) ما ذكره فى كتاب الكبائر من الذبح لغير الله وجعله من المحرم فنعم هو محرم قال تعالى (قل تعالوا اتل ماحرم ربكم عليكم أن لاتشركوا به شيئاً - إلى قوله - لعلكم تتقون) فجعل هذا كله محرماً. هذا عرف القرآن والسنة والشرع، والعراقى لجهله وسوء قصده يحمل كلام أهل العلم على العرف النبطى الحادث واصطلاح العامة فقاتل الله الجهل والهوى، فما أغلظهما حجاباً بين العبد والهدى.

قال شيخ الاسلام فى اقتضاء الصراط المستقيم «وأيضاً فان قوله تعالى (وما أهل به لغير الله) ظاهره ما ذبح لغير الله سواء لفظ فيه به أو لم يلفظ، وتحريم هذا أظهر من تحريم ما ذبح للحم، وقال فيه باسم المسيح ونحوه كما أن ما ذبحناه متقربين به إلى الله أزكى مما ذبحناه للحم وقلنا عليه باسم الله، فان عبادة الله بالصلاة له والنسك له أعظم من الاستعانة باسمه فى فواتح الأمور،

والعبادة لغير الله أعظم كفراً من الاستعانة بغير الله ، فلو ذبح لغير الله متقرباً اليه لحرم ، ولو قال فيه بسم الله كما يفعله طائفة من منافق هذه الأمة ، وان كان هؤلاء مرتدين لا تباح ذبيحتهم بحال ، لكن يجتمع فى الذبيحة مانعان ، ومن هذا ما يفعل بمكة وغيرها من الذبح للجن ، انتهى كلام الشيخ . فأخذ هؤلاء المعترضون السطر الأخير من كلامه أو بعض السطر ، وأخذ المشبه وترك المشبه به لأن فى الأول التصريح بردة من ذبح لغير الله ، وأن الذبح للجن مانع آخر لأنه مما أهل به لغير الله ، وقوله فى العبارة فان عبادة الله بالصلاة له والنسك له أعظم من الاستعانة باسمه فى فواتح الأمور ، والعبادة لغير الله أعظم كفراً من الاستعانة بغير الله فتركوا هذا وسرقوا بعض العبارة واختلسوا منها كاختلاس الشيطان من صلاة العبد واختطافه بعضها ، وفى العبارة التصريح بكفر من استعان بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله خلافاً للعراقى وشيعته من عباد القبور الصادين عن سبيل الله المحرفين للكلم عن مواضعه ، الوارثين لليهود فى تحريف كلمات الله وتبديل دينه .

وقال صاحب الروض من كتب الشافعية « اذا ذبح المسلم للنبى ﷺ كفر » نقله شيخنا رحمه الله وذكره غير واحد من المفسرين فى الكلام على (وما أهل لغير الله به) ونقل بعضهم عن فقهاء بخارى أنهم أفتوا بتحريم ما عقر بين يدى الملوك تعظيما لهم لأنه مما أهل لغير الله به . قال العلامة الشوكانى . قال بعض أهل العلم ، ان اراقة دماء الانعام عبادة لأنها اما هدى أو أضحية أو نسك وكذلك ما يذبح للبيع لأنه مكسب حلال فانه عبادة ويتحصل من ذلك شكل وضعى هو اراقة دم الانعام عبادة وكل عبادة لا تكون إلا لله ، فاراقة دم الانعام لا تكون إلا لله ، ودليل الكبرى قوله تعالى (اعبدوا الله مالكم من إله غيره . واياى فاعبدون . إياك نعبد . وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه . وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين) انتهى . ويكفى المؤمن فى هذا الباب قوله تعالى (قل ان صلاتى ، ونسكى ، ومحياى ، ومماتى لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين) وقوله تعالى (إنا أعطيناك

الكوثر ، فصل لربك وانحر) وقال تعالى (لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ، ولكن يناله التقوى منكم ، كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم ، وبشر المحسنين) فان الاحسان أعلى مراتب الايمان ، ودخول العبادة فيه لأن السياق لها ظاهر لا يخفى .

« وفى المسند عن طارق بن شهاب أن رسول الله ﷺ قال « دخل الجنة رجل فى ذباب ودخل النار رجل فى ذباب » قالوا كيف ذلك يا رسول الله ؟ قال « مر رجلان على قوم لهم صنم لا يجوزه أحد حتى يقرب اليه شيئاً ، فقالوا لأحدهما : قرب ، قال ما عندى شىء أقربه ، قالوا : قرب ولو ذبابا فقرب ذبابا فخلوا سبيله فدخل النار ، فقالوا للآخر : قرب ، قال ما كنت أقرب لأحد دون الله عز وجل فضربوا عنقه فدخل الجنة ، فقف على هذا وتأمل حكمة الشريعة وسرها فى اخلاص العبادة والتعظيم الذى لا ينبغى إلا لله ولو بأحقر شىء كالذباب فكيف بكرائم الأموال والله المستعان ، انتهى .

ثم ان من العجب استدلال هذا الملحد بكلام ابن القيم رحمه الله تعالى فى هذا الموضع وفى غيره مما تقدم .

وهذا الملحد قد ذكر فيما تقدم من قوله : والوهابية قد خبطت كل الخبط فى تنزيهه تعالى حيث أبت إلا جعل استوائه سبحانه ثبوتاً على عرشه ، واستقراراً وعلواً فوقه ، وأثبتت له الوجه واليدين ، وبعضته سبحانه فجعلته ماسكا بالسموات على أصبع ، والأرض على أصبع ، والشجر على أصبع ، والملك على أصبع ، ثم أثبتت له الجهة فقالت : هو فوق السموات ثابت على العرش يشار اليه بالأصابع إلى فوق اشارة حسية ، وينزل إلى السماء الدنيا ويصعد . وقد علمت أن نفى هذا وجحده هو مذهب الجهمية ، وقد قال ابن القيم رحمه الله تعالى .

ولقد تقلد كفرهم خمسون فى   عشر من العلماء فى البلدان
واللالكائى الامام حكاه عنهم   بل قد حكاه قبله الطبرانى

فذكر رحمه الله كفرهم عن خمسمائة عالم . وقال شيخ الاسلام لما ذكر أهل

الأهواء قيل لابن المبارك فالجهمية قال : ليست من أمة محمد ﷺ ، فطائفة هذا الملحد عند شيخ الاسلام وابن القيم هم من أكفر خلق الله وأبعدهم عن سواء السبيل .

قال ابن القيم رحمه الله فى الجواب الشافى : الشرك شركان ، شرك يتعلق بذات المعبود وأسمائه وصفاته وأفعاله ، وشرك فى عبادته ومعاملته وإن كان صاحبه يعتقد أنه سبحانه لا شريك له فى ذاته ولا فى صفاته ولا فى أفعاله ، والشرك الاول نوعان : أحدهما شرك التعطيل وهو أقبح أنواع الشرك كشرك فرعون إذ قال : وما رب العالمين ، وقال تعالى مخبراً عنه (ياهامان ابن لى صرحا لعلى اطلع الى إله موسى وانى لأظنه كاذبا) فالشرك والتعطيل متلازمان ، فكل مشرك معطل ، وكل معطل مشرك ، لكن الشرك لا يستلزم أصل التعطيل ، بل قد يكون المشرك مقربا للخالق سبحانه وصفاته ، ولكن عطل حق التوحيد ، وأصل الشرك وقاعدته التى يرجع اليها هو التعطيل وهو ثلاثة أقسام : تعطيل المصنوع عن صانعه وخالقه ، وتعطيل الصانع سبحانه عن كماله المقدس بتعطيل أسمائه وصفاته وأفعاله وتعطيل معاملته عما يجب على العبد من حقيقة التوحيد ،

والمقصود أن هذا العراقى اجتمع فيه من الكفر تعطيل الصانع سبحانه عن كماله المقدس بتعطيل أسمائه وصفاته فزعم أن الله تعالى ليس على السموات على عرشه ، ولا هو فوقه ، ولا يشار اليه الى فوق ، بل زعم انما ورد من الاشارة اليه فى السماء محمول على أنه تعالى خالق السماء وأن السماء مظهر قدرته ، وأنكر عروج النبى ﷺ الى السماء حين أسرى به ، فقال وكذلك العروج اليه تعالى هو بمعنى العروج الى موضع يتقرب اليه بالطاعات ، وأنكر رؤية الله تعالى فى الآخرة ، وأنكر أحاديث النزول ، وذكر أن من قال أن الله ينزل الى السماء الدنيا كل آخر ليلة ، فقد زعم أن الله جسم ، وأن الله منزه عن ذلك ، فعطل الله من أوصافه وأفعاله المقدسة وأضاف الى هذا الكفر الشرك فى معاملته سبحانه باجازته الاستغاثة بغير الله والاستشفاع به ، والالتجاء اليه ، وأن النذر والذبح لغير الله ليس بشرك اذا اعتقد أن الله هو الخالق المتفرد بالايجاد ، وأنه هو

المؤثر لا غيره ، ومع هـذا كله يستدل بكلام شيخ الاسلام وابن القيم وهما يكفرانه وهو يعلم ذلك ولكنه أراد التلبيس على خفافيش الابصار أن شيخ الاسلام وابن القيم لا يكفران من نذر لغير الله ، أو ذبح لغير الله . والمقصود بيان ضلاله وخروجه عن الصراط المستقيم ، واتباعه غير سبيل المؤمنين ، وأنه ممن نكب عن الصراط المستقيم ، ودخل فى جملة أصحاب الجحيم .

فصل

(ثم اعلم) أيها الواقف على هذا الكتاب ، والناظر فى هذا الجواب انا قد حررنا فيما مضى شيئاً يسيراً على ما افتراه هذا العراقى على الوهابية من الكذب والزور ، والافك والفجور ، بزعمه أنهم نزعوا إلى الدولة الأجنبية يعنى الانقليز النصارى ، وأنهم استعانوا بهم كما ذكره فى مقـــدمة رسالته وفى آخرها ، قال

« فتراها تكفر من يتوسل الى الله تعالى بنبيه ﷺ ويستعين باستشفاعه الى الله تعالى على قضاء حوائجه وهى لا تخجل إذ تستعين بدولة الكفر على قضاء حاجتها التى هى قهر المسلمين وحربهم ، وشق عصاهم ، والمروق عن طاعة أمير المؤمنين الذى أمر الله تعالى فى كتابه المبين بلزوم طاعتـه كما بسطناه فى مقدمات الرسالة ، وتتخذ أعداء الدين أولياء تستمد منهم فى احضار القوى التى تسعى بها إلى الفساد ، وتلج بها فى الغواية والعناد ، قال الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء) سحقاً للوهابية إنهـا لا تدرى أن أولئك الاولياء الذين تتخذهم ذريعة لقهر المسلمين اذا ثبت قدمهم فانهم يقهرونها ويهتضمونها أيضاً مع من تعده خصما مخالفاً لمذهبها » هذا قول هذا الملحد بحروفه

وجميع ما ذكره من الكذب الفاضح والافك الواضح على الوهابية بل هؤلاء الذين يزعم أنهم المسلمون قد ظهر مكنون ما لديهم ومحصول ما انطوت عليه ضمائرهم من الميل الى أعداء الله وأعداء رسوله ودينه وهذا الملحد المفترى من جملتهم ومن أنصارهم وأعوانهم ، فانه قد كذب على الوهابية ورماهم بما هو

وحزبه أهله لا أهل الاسلام فقد أ كذبه الله ونكسه على رأسه وعاد بجوره عليه وعلى من قام فى نصرته بما أظهروه واجتمعوا عليه من الدستور ، وما أعلنوه من الكفر والفجور ، سنة ١٣٢٦ لست وعشرين بعد الثلثمائة والالف فصرحوا فيه انها عيسوية موسوية عثمانية عربية وأن كل هذه الطوائف المتباينة فى أديانها تكون اخوانا وانها تجتمع على حرب من خرج عن حكم هذا الدستور ، ونصبوا فى كل الاماكن من ديارهم مدارس يعلمون الناس دين النصرانية وجعلوا قاضياً عاما من الاقليز الكفار يحكم بين الناس لأنه بزعمهم أعلم بالسياسات يكون ذلك القاضى بمصر فتبين بهذا أنهم هم الذين نزعوا اليهم واتخذوا أعداء الدين أولياء واخواناً وانهم هم الذين سعوا بهذا الى الفساد ، وولجوا به فى الغواية والعناد .

قال الله تعالى : « ترى كثيراً منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم أنفسهم ان سخط الله عليهم وفى العذاب هم خالدون * ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل اليه ما اتخذوهم أولياء » ، الآية .

وأنهم هم الذين مرقوا عن طاعة أميرهم وسلطانهم حتى عزلوه وجعلوا الامر شورى بين من نزع الى أعداء الله ورسوله واتخذوهم أولياء وجعلوهم اخواناً واخداناً ، فما حكم به هذا الملحد فى مقدمات رسالته من مروق الوهابية بزعمه عاد عليه وعلى اخوانه ، فهلا نصح هذا العراقى نفسه ورجع اليها باللوم والعتاب ، وترك أهل الاسلام المتمسكين بحكم السنة والكتاب الذين باينوا أعداء الله ورسوله من جميع الطوائف ولم يدخلوا تحت أوامرهم ، ولا أخذوا بقوانينهم ولم ينبذوا كتاب الله وسنة رسوله وراء ظهورهم كما فعله أعداء الله ورسوله وقد كان من المعلوم والمتقرر المفهوم ان ما حكاه عن الوهابية من نزوعهم الى الدولة الاجنبية انه من الكذب الظاهر وانه هو وأشياعه هم الذين نزعوا اليهم وحكموا قوانينهم فبعداً للقوم الظالمين .

وهذا كتاب الله ينادى بكفر من اتخذهم أولياء ، قال الله تعالى : « يا أيها

الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فانه منهم » ، الآية .

وقال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعباً من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء واتقوا الله ان كنتم مؤمنين وإذا ناديتم الى الصلاة اتخذوها هزواً ولعباً ذلك بأنهم قوم لا يعقلون » الى غير ذلك من الآيات وهذا لا يخفى على من له أدنى مسكة من عقل ودين وقد وضح الحق واستبان وما بعد الحق إلا الضلال .

والحمد لله الذى هدانا لدين الاسلام وجنبنا طريقة هؤلاء الجهلة الطغام الذين نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم واتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل

والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات وصلى الله وسلم على عبده ورسوله سيد المرسلين وامام المتقين وقائد الغر المحجلين محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين . وقد فرض على جواب جميل رجل يقال له عبد الصمد بن احمد النساك وهذا جواب على تقريظه ومن الله استمد الصواب .

ألا قل لأهل الجهل من كل مأزق ... وكل كفور من ذوي الغيّ مارق

كلام جميل لا جميل فينتقى ... ولا بسديد يرتضى فى الحقائق

على أنه همط وخرط ملفق ... أكاذيب لا تعزى الى نقل صادق

أتى فيه بالكفر الصريح مجاهراً ... ومرتضياً ما قد أتى من شقاشق

لعمرى لقد أوهى به مهيع الهدى ... وأعلى به سبل الردى بالمخارق

وهدّ به ركناً من الدين شامخاً ... وشاد من الكفران أخنع زاهق

كتاب حوى إفكا وزوراً ومنكراً ... وكفراً وتعطيلا لرب الخلائق

فعطل أوصاف الكمال لربنا ... وعن كونه من فوق سبع الطرائق

وأنكر معراج الرسول حقيقة ... بذات رسول الله سحقاً لمارق

وأوله تأويل من ليس مؤمناً ... بمن جاء بالوحيين أصدق صادق

وأنكر رؤيا المؤمنين لربهم ... فتباً له تبا وسحقاً لمازق

وسمى كتاب الله والسنن التي ... أتت عن رسول الله أزكى الخلائق
ظواهر لا تبدي يقيناً لأنها ... على زعمه ظنية فى الحقائق
فلا يستفيد المؤمنون بها الهدى ... ولكن بمعقولات أهل الشقاشق
فان خالفت معقول من أسسوا لهم ... قواعد كفر شامخات الشواهق
فحق على كل امرىء بل وواجب ... تؤول عن مدلوها بالمخارق
وتصرف للمرجوح عن حكم راجح ... لأجل مقالات الغواة الموارق
وإلا فبالتفويض حتما لديهموا ... اذا لم تؤول فى خلاف الحقائق
وتفويضهم إبطالها عن حقائق ... تدل عليها بالمعاني الشقاشق
فلا عالماً بالعلم فيما لديهموا ... ولا راحماً ذو رحمة بالخلائق
ولا قادراً ذو قدرة فصفاته ... تؤول عن وصف لهـا بالحقائق
فليست معانيها بأسماء ربنا ... بمشتقة ذا قول كل مشاقق
وقدم حكم العقل حتما بزعمه ... على النقل فيما قد رأى كل مارق
لأن لديهم إنما العقل أصله ... وهذا افتراء من جهول ممازق
فتباً لمن يبدى ثناء ومدحة ... لتأليفه أو ما حوى من شقاشق
فما كان فجراً صادقاً فى ظهوره ... ولكنه فجران يبدو لرامق
ووالله ما أبدى صواباً ولم يكن ... على المنهج الأسنى وليس برائق
وليس يروق الكفر إلا لزائغ ... عن الحق أو مستغرق بالعوائق
وجوز أن يدعى سوى الله بالرجا ... وبالخوف والتعظيم فعل المشاقق
وأن يستغيث المشركون بغيره ... وان يلجئوا فى كل خطب مضايق
فتباً لعباد القبور الذين هم ... حماة ذوى الاهواء من كل مارق
فقد نبذوا الوحيين خلف ظهورهم ... وقد حكموا القانون بين الخلائق
وقد أحكموا عقد الاخوة بينهم ... وبين النصارى واليهود الموارق
وقد أحكم الله المداوة بيننا ... وبين ذوي الكفران أهل الشقاشق
وآراؤهم لم تقض إلا اخوة ... وصلحاً وتوفيقاً بمحض التطابق
وعابوا علينا باتباع نبينا ... وقد تبعوا أحكام كل منافق

وقد زعموا انا وهم أهل خلة | لأهل الكتاب المارقين السوابق
ونحن براء من ذوى الكفر جملة | فلسنا واياهم بحكم التوافق
ونحن على دين النبي محمد | ونكفر بالطاغوت دين المشاقق
ونرمي عداء الدين من كل مارق | وكل جهول ماذق بالجلاهق
ودونك من هذا الضياء شوارقا | توضح منهاجا لاهدى الطرائق
وتنشر أعلام الهدى مستنيرة | وتمحق أهل الكفر من كل مارق
وتصعقهم صعقاً فينثل عرشهم | وتهدم من أركانهم كل شاهق
وذاك يقال الله قال رسوله | وما قاله الاصحاب أهل السوابق
وأتباعهم والتابعون ومن على | طريقتهم من كل حبر موافق
وصل على المعصوم ربي واله | وأصحابه أهل النهى والحقائق
وتابعهم والتابعين لنهجهم | على السنن المحمود من كل لاحق

تم بحمد الله

تقريظ الشيخ محمد بن حسين الانصاري

طائر السعد بالتهاني أتاني بسرور مبشراً بالأماني
أن بدا طالع الزمان بحبر ثابت الجأش ماله من ثاني
بعلوم بها لقد أفحم الخصـ ـم وفيها قد قام بالبرهان
أعني حبر الانام قدوة نجد ذا سليمان عالي البنيان
فسليمان جل قدراً وفضلا وعلوماً تسمو مدى الملوان
سالم العرض والشمائل والاخـ ـلاق مما يشين فى كل آن
قامع الملحدين منه بوعظ وبكتب تخال مثل السنان
بلسان كوابل الغيث فى السـ ـلم وسيف فى حلبة الميدان
يفحم الخصم بالدليل وإلا فبعضب يرى كسيف يماني
يطلب الحق والرشاد إلى الحـ ـق له ديدن على كل شاني
دام فى العز والسعادة والمجـ ـد بنصر وخصمه فى الهوان
فى أمان الاله يرعى ويحظى بالذي يرتجى ونيل الأماني
مع عبد العزيز آل سعود نجل عبد الرحمن فخر الزمان
جاهداً فى الاله حق جهاد بسنان وساعد وجنان
شاهر السيف والسنان على من قد غدا ملحداً وذا عدوان
ناصر الدين تابع الحق أضحى ثابت الجأش كامل الايمان
دام يرقى إلى المعالي بسعد وبنصر علا على رغم شانى
قامع الابتداع من كل قطر مفحم القرن قائم البرهان
ما تغنت بلابل الايك تشدو وتلتها حمائم الاغصان
أو حدا بالقريض نجل حسين بو خليل فى الهند سيف يماني

الفهرس

الصفحة	الموضوع

صفحة	الموضوع



كتاب
الضياء الشارق
في رد شبهات الماذق المارق

تأليف

العالم العامل ، والأستاذ الفاضل

الشيخ سليمان بن سحمان

من علماء نجد الأعلام

رحمه الله تعالى
آمين

رئاسة ادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد